

سِطْرُ جَمِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ

تأليف

محمود محمد الزينى



دار المعارف



٠٠٧٣٨

مكتولوجية الشخصية بين النظرية والتطبيق

تأليف

محمد الزيني

بكالوريوس خدمة اجتماعية بدرجة جيد جداً
دبلوم في التربية الأساسية

ماجستير في التوجيه والارشاد النفسى بتقدير ممتاز من جامعة انديانا بأمریکا
أسناذ علم النفس المساعد
بالمعهد العالى للتربية الرياضية والمعهد العالى للخدمة الاجتماعية
بالامكنندرية

١٩٧٤



دار المعارف بمصر

« وفی انفسکم افلا تبصرون ،

(قرآن کریم)

الهدوء

إلى زوجتي شريكة عمري وزميلة كفاسحي

إلى إبنتي سامية طالبة الطب

إلى ابني محمد طالب المعهد العالي للبيـتـرول

إلى ابني ماهر طالب الثانوي

إلى طلابي الأعزاء الذين هم في منزلة أبنائي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن محاولة فهم النفس والتعبير عنها يجتمع فيه عندى تحقيق وجودها واستكناة حقيقتها وحقيقة ما حولها ، وليس فوق هذا المطلب من مطلب رفيع يتطلع إليه موجود شاعر بوجوده .

لذلك فاني اتطلع إلى اليوم الذى نطبق فيه روح السادس من أكتوبر العظيم بما فيها من عزم وحزم وحرارة تصميم على مجال نظريات الشخصية الانسانية وتطبيقاتها فى ميادين الحياة الحيوية بما يكفل للفرد السعادة والمجتمع المنفعة .

إن سعادة الفرد ورفاهية المجتمع ترتبط ارتباطا عضويا بعملية المواءمة بين بناء الشخصية وديناميكيته وقدراتها ، ومتطلبات النجاح فى أهم ميادين الحياة وهى: الأسرة والمدرسة ، والعمل وحل المشكلات التى تعرقل التكيف الأسرى والتعليمى والمهنى .

وبمعنى أدق أريد أن نأخذ الحكم على بناء الشخصية وديناميكيته بأخذ الجدد ، على أساس القياس الرقنى بمعايير صادقة ثابتة ، والفهم العميق لتفاعل القوى والعوامل التى أحدثت هذا البناء بتنظيمه الهرمى من الأنماط والسمات والمخاوير الكبرى والصغرى ، وكيفية حدوث التغيرات الجذرية فى هذا البناء (الديناميكية) . وهنا نستطيع القول أن فلانا حصل فى محور الذكاء ضد الغباء على كذا درجة ، وحصل فى محور السوائية ضد العصائية على

- و -

كذا درجة ، وحصل في محور الانبساطية ضد الانطوائية على كذا درجة ، وكذلك في سائر المتغيرات المتدرجة الرئيسية السيطرّة ضد الخضوع ، والاستقلال ضد الاعتماد على الغير . . . الخ . ونكشف كذلك نوعية وكمية القدرات الخاصة (المواهب) والميول والتحصيل الدراسي بطريقة موضوعية لا ذاتية ، تحقق المقارنة العادلة بين الأفراد والاختيار والتوجيه التعليمي والمهني والأسرى بشكل أدق . وكذلك علاج المشكلات السلوكية التي تعوق النمو التعليمي والمهني والتكيف الأسرى والاجتماعي . وربما أيضاً أمكننا التنبؤ بصورة علمية بمكونات شخصية شريكة الحياة المناسبة على أساس التشابه والتكامل بين السمات والأنماط في شخصية المقدمين على الزواج وكذلك التقارب بين صورة الشخصية التي يتمناها كل من الخطيب والخطيبة في شريك عمره وربما أيضاً تمكنا من إثبات خطأ الرأي الذي يدعى أنه ليس هناك بديل أعدل وأنسب من مجموع درجات الثانوية العامة في التنسيق . هذا الرأي الذي أصاب العديد من الطلاب بالانهيار النفسي بسبب عصاب الثانوية العامة والخوف المرضي من الامتحانات .

وعن هذا الطريق وحده نتدبر للمستقبل بنور العلم فلم يعد لدينا وقت للتخطيط العشوائي في مرحلة التعمير والبناء . وإلا حصلنا على الفئات أوزرعنا دون حصاد .

وكما أن معرفة بناء الشخصية وما فيه من أنماط وسمات مهم ، فعرفة كيف نشأ وتطور هذا البناء أمر لا يقل أهمية . وربما كانت الديناميكية والأسباب أهم من مظاهر السلوك والسمات . فالجوهر قبل المظهر ، والموضوع

قبل الشكل ، وإلا نكون قد حكمنا على من في بيت الشخصية على أساس من يطلون فقط من شبائك هذه الشخصية

إن البصر يدلنا على من يطلون من الشباك ، ولكن البصيرة تدلنا على من بداخل البيت .

إن الفجوة بين البصر والبصيرة ، والصورة والتصور ، في الحكم على بناء الشخصية وديناميكيتها هو الذي خلق الصراع التقليدي بين علماء النفس السلوكيين القياسيين من أنصار الملاحظة المقاسة والتجربة المنظورة والتعميم الاحصائي ، وعلماء النفس الديناميكيين أو التحليليين أنصار بصيرة الاستقراء والاستنباط الذي يثبت الواقع في ميادين الحياة العملية لا التجارب العملية .

إن علماء النظريات السلوكية في الشخصية ينقدون علماء النظريات الديناميكية على أساس قصور دقة التأمل العقلي إذا قورن بالتجريب العلمي والملاحظات المقاسة والنتائج المعروفة حدودها ومدى تعميمها بالإحصاء ، وينقدون الديناميكيين كذلك على أساس تعميم خصائص السلوك الشاذ في العيادات النفسية على السلوك السوي في الحياة العملية .

وعلماء النظريات الديناميكية في الشخصية ينقدون السلوكيين على أساس أن التجارب العملية في الشخصية مبسطة إلى أبعد حد خلافاً للسلوك المعقد في مجالات الحياة اليومية . كما أن معظم التجارب العلمية في معامل علم النفس السلوكي ، أجريت على حيوانات منحطة الذكاء بالمقارنة إلى



ذكاء الانسان . كما يحكم سلوك الحيوانات غرائز وراثية ثابتة في المقام الأول ، على عكس الانسان الذي يحكم سلوكه عادات متعلمة ودوافع متطورة في المقام الأول . كما لا يحكم سلوك الحيوانات قيم خلقية أو اجتماعية أو دينية على عكس الانسان المحكوم سلوكه بالمطالب الضميرية والمطالب الدينية والمطالب المجتمعية بجانب المطالب الغريزية . فكيف والحالة هذه نعم نتائج التجارب العملية السلوكية على ديناميكية الشخصية كما هي في واقع الحياة العملية ؟ وحينئذ يكون الطريق السلطاني الذي يوصلنا إلى السمات المنبعية لا السطحية - في الشخصية أى ديناميكية الأعماق هو منهج دراسة تاريخ الحالة في ميادين الحياة الفعلية سواء في العيادات النفسية أو في المدرسة أو في العمل أو في مراكز توجيه الأسرة أو في الجيش . . . الخ . ومن التاريخ النفسى نوجد الوحدة بين النظرة الوراثة والحاضرة والمستقبلية حتى نكتشف أسلوب الفرد في الحياة أى طريقته في حل مشاكله وفي علاقه مع الناس .

إن المؤلف يرى أن هذا الصراع أمر طبيعى فالعلماء ليسوا نسخا متطابقة كنسخ الكتاب المطبوع ، كما أن الانسان كائن معقد يعيش في بيئة معقدة وسلوكه ملغز له أوجه متعددة ومتداخلة . وكل مدرسة من العلماء قد اكتشفت وجه من وجوه السلوك الانساني ونهجها في البحث مكنهم من الوصول إلى هذا الوجه . ولا غيب فيهم إن اكتشفوا هذا الوجه دون سواه فالشخصية الانسانية كانت وما زالت طريقا طويلا شاقا !

وإذن يكون الطريق السليم هو طريق التكامل بين أوجه السلوك المكتشفة حتى الآن ، وبمعنى أدق طريق التفاوض بين

ط -

العلماء لا طريق للتصادم ، طريق اكتشاف القاسم المشترك بين الآراء ، طريق تحقيق الوحدة في التنوع ، طريق تحقيق الإئتلاف في الاختلاف . وهذا الأسلوب وحده نقطع مراحل أكثر إيجابية في الطريق الطويل الشاق الموصل بين الشك واليقين في ضروب الشخصية الانسانية المتشعبة .

ومما يؤكد شرعية وجود الصراع الفكري الموصل للتجاذب لا للتنافر أو التجاهل ، القاعدة الذهبية التي ترى أن الفكرة المنطقية دون تجربة عملية عرجاء ، والتجربة العملية دون فكرة منطقية عيباء . ومؤدى ذلك أن التآلف بين الفكر البصري والبصر التجريبي أمر في غاية الأهمية ويجب أن يسيرا معاً فهما الشبهق والزفير اللازمين لحياة العلم . وإذن لا يجب أن يضيق مصدر بعض العلماء المتحمسين المحدثين من المدرسة السلوكية بالتكوينات الافتراضية التي أطلقها ويطلقها علماء المدرسة الديناميكية التحليلية كاللاشعور والشعور ، والأنا والهو والذات ، والليبدو ، والشحنات النفسية الدافعة والشحنات المضادة ، ومراحل تطور الغريزة الجنسية من الطفولة إلى المراهقة إلى الرشد . فهذه التكوينات الافتراضية ما هي إلا صور عقلية ذكية عاشت مع الزمن في دنيا علم النفس بسبب قدرتها على تفسير الوقائع السلوكية وعلاج الاتجاهات النفسية بدرجة مرضية نسبياً . كما ألفت الضوء على مشكلة اختيار أعراض السلوك المرضى بدرجة لم تصل إليها أى قواعد علمية أخرى . وبمعنى آخر أراحت الكثيرين الذين حيرهم التساؤل التقليدي المشهور في الشخصية الانسانية ومن ذلك : لماذا تكون البيئة واحدة سواء في الأسرة أو المدرسة أو العمل وتحدث أنماط سلوكية متعددة سواء أكانت سوية أم شاذة ؟ لما يغش الطالب في المدرسة ويكون أميناً مع أصدقائه ، لماذا يقسو ويبطش رئيس العمل في الشركة

- ى -

ويكون خاضعا مستأسما في بيتسه ؟ لماذا يقع القسر في حب جارف مع عاهرة كبيرة السن ويتنافر مع زوجته الصغيرة الحميلة المحلصة ؟ لماذا تلجأ الممثلة ذات الجمال الأخاذ والمال الوفير والشهرة التي طبقت الآفاق إلى قمة عذاب النفس بالانتحار ؟ لماذا لا تحميها الصحة الجسمية والقوة العضلية من المخاوف الشاذة ، فنجد البطل المغوار يخاف من صرصار ؟ ! لماذا لا تحميها الذكاء الرفيع من الاصابة بالداء النفسى الويل فنمرض بفصام الشخصية أو ازدواج الشخصية ، أو تقع في براثن أحط وأفظع الجرائم ؟ لما يلتهب السياسى الذكى ذائع الصيت وراء الراقصات وبائعات الهوى في عاب الليل ؟ لماذا تشوه الغيرة القاتلة جمال الحب الكبير ؟ لماذا ينتقل الكثير من الناس دون استقرار من زوجة إلى زوجة ، ومن عشيقة إلى عشيقة ، ومن مهنة إلى أخرى ، ومن هواية إلى أخرى ، فلا يعرف الفرد ماذا يريد ودون أن يملك من نفسه رشدا ؟

لماذا يهرب البعض من الناس ويدفن همومه في الكأس ويصبح عبدا أسيرا للخمير رغم كراهيته لها ؟

لماذا يستمر المقامر في مقامرته بشكل قهري رغم الخسارة اليومية الفادحة والمشاكل الأسرية والمهنية المتخمة ؟ لماذا يدمن الزوج على عادة الرنو (البصبصة للسيدات والفتيات) رغم جمال زوجته الرفيع أو رغم كونه كهل في المعاش ؟ لماذا تهجر بعض السيدات الزوج الممايز عقليا وخلقيا ودينيا وجسميا واجتماعيا واقتصاديا لتهرب مع شاب يصغرهما سنا بعشرات السنين ، وكلما زاد الشاب في عذابه وهوانه كلما زادت الزوجة في حبه وطلباً لمرضاته . ؟

لماذا يكون السواء النفسى وراحة البال عزيز المنال على كثير ممن فضجت

— ك —

جسومهم وعقولهم ، وانتفخت جيوبهم بالمال ، وزادت شهرتهم في الجبال
وعلت مراكزهم في السلطة والسلطان ؟

دلى أرجوك أين طريق الخلاص ؟ وبمعنى أدق دلى أرجوك على بناء
الشخصية وديناميكيته الذى يوصلنى إلى الصحة النفسية ؟

وانطلاقاً مما سبق ومحسولة للإجابة على هذا التساؤل المستمر
كصنبور لا ينقطع أقدم هذا الجهد المتواضع فى هذا الكتاب .

إن الهدف الأساسى من هذا المؤلف هو تجميع المعلومات الصغيرة
المبعثرة عن الشخصية فى بطون كتب علم النفس المختلفة ، وعرض هذه
المعلومات فى ضوء الحقائق المعاصرة . لذلك عرضنا جميع النظريات
السلوكية والنظريات الديناميكية فى صورة أكثر شمولاً وإيضاحاً . وكذلك
تقييم هذه النظريات بمعايير — أرجو أن تكون منصفة — مؤكدين العيوب
الواضحة والمحاسن البارزة جنباً إلى جنب ، مع ضرب أمثلة عملية
من ميدان الخدمة الاجتماعية حيث قام المؤلف بالتدريس والمساهمة فى
التدريب العملى فى معاهد الخدمة الاجتماعية فترة طويلة بجانب خدمته فى
معاهد إعداد معلمى التربية الرياضية .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير لأبنائنا
الطلاب وزملائنا المعلمين وما فيه الخير لأمتنا فهو السميع المجيب .

ربى عليك توكلت وعليك أنيب وإليك المصير

المؤلف

الاسكندرية مارس سنة ١٩٧٤ .

فهرس

رقم الصفحة

الموضوع

الفصل الاول

معنى الشخصية وأهمية دراستها فى الخدمة الاجتماعية

٣	مقدمة
٣	تمهيد
٥	أهمية دراسة الشخصية فى الخدمة الاجتماعية
	الاعتبارات الهامة المتصلة بالشخصية التى يجب أن يراعيها الاختصاصى
١٢	الاجتماعى فى عمله
٢١	معنى الشخصية
	بناء الشخصية مع أمثلة تطبيقية من مجال الخدمة الاجتماعية (دراسة
٢٨	شخصية حدث جانح)
٣٨	مكونات الشخصية
٣٨	المكونات الجسمية
٣٩	المكونات العقلية
٤٠	شخصية العبقسرى
٤٤	شخصية ضعيف العقل
٥٤	المكونات الانفعالية
٦٤	المكونات الخلقية

- ن -

رقم الصفحة

الموضوع

الفصل الثاني

نظريات الشخصية

٧٠ معنى النظرية
٧٣ نظرية الأسماط
٨٢ المحاسن والعيوب
٨٤ نظرية السمات
٨٥ المحاسن والعيوب
٨٨ نظرية البناء الهرسي (التحليل العائلي)
٩٣ المحاسن والعيوب
٩٥ نظرية النفس
١٠٠ المحاسن والعيوب
١٠٢ النظرية السلوكية (نظرية المثير والاستجابة)
١٠٧ المحاسن والعيوب
١١٠ نظرية المجال (الجشطالت)
١١٦ المحاسن والعيوب
١١٨ نظرية التحليل النفسي
١٧٢ نقد نظرية التحليل النفسي
١٨٠ تكامل الشخصية

الفصل الثالث

طرق دراسة الشخصية وتقييمها

١٨٥	طرق الخاطئة لدراسة الشخصية
١٨٧
١٩١ فوائد الدراسة العلمية للشخصية
١٩٣ وسائل دراسة الشخصية
١٩٤ (أولا) موازين التقدير

- س -

الموضوع	رقم الصفحة
إحصائيا) الاستخبارات (الاستفتاءات)	١٩٨
إحصائيا) الاختبارات الاسقاطية والموقفية	٢٠٤
إحصائيا) دراسة الحالة	٢٢١
إحصائيا) التداعى الحر والنوبم المغناطيسى	٢٢٢
إحصائيا) دراسة الأحلام	٢٢٦
إحصائيا) المقابلة	٢٣٠
الآراء المختلفة نفسير استواء الشخصية واعنلاها	٢٣٥
مبادئ تشخيص اعتلال الشخصية الانسانية	٢٤١
الشخصية السيكوباتية	٢٦٠
المراجع العربية والانجليزية بحسب تسلسل ورودها بالكتاب	٢٦٦

إستدراك

صفحة ١٩٣

(٢) الاستخبارات (الاستفتاءات) .

(٣) الاختبارات الاسقاطية الموقفية .

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

الفصل الأول

معنى الشخصية وأهمية دراستها في الخدمة الاجتماعية

تمهيد

الصحة النفسية — بالمفهوم العام — تعني التكيف السليم ، أى قدرة الفرد على عقد علاقات اجتماعية راضية مرضية ، أى يرضى عنها نفسه ويرضى عنها الناس ، وهذا ما يعرف « بالتوافق الاجتماعى » ، وكذلك قدرة الفرد على التوفيق بين دوافعه المتصارعة توفيقاً يرضيها جميعاً ارضاءً متزاناً ، وهذا ما يعرف « بالتوافق الذاتى » ، وحصيلة ذلك استمتاع الفرد بالحياة وشعوره بالراحة والطمأنينة فى أسرته وأصدقائه ، ومعنى آخر نقول إن شخصيته متزنة متكاملة .
لذلك لا يمكن من الناحية العملية أو المنطقية أن تفصل دراسة موضوع الصحة النفسية عن موضوع الشخصية والتكيف .

تنتقل الصفات الحسنية من السلف للخلف عن طريق الوراثة ، وكذلك تنتقل الصفات الاجتماعية من السلف للخلف عن طريق التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها الوسائط التربوية المختلفة فى البيئة التى نعيش فيها الفرد وأهمها الأسرة والمدرسة وشلة الأصدقاء ودار العبادة ووسائل الإعلام وغيرها .

والتنشئة الاجتماعية أو عملية التطبيع الاجتماعى تهدف إلى تحويل الفرد من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى واعداده للثقافة التى يعيش فيها ، ومعنى آخر الارتقاء بالفرد من التزعات الموحدة إلى مرحلة النضج ، تلك العملية التى تؤهله للتوفيق بين المقتضيات الاجتماعية والحاجات الفردية بحيث يهتدى

- ٤ -

إلى أقرب وضع ممكن من تلك النقطة التي يلتقي عندها تحقيق أقصى إنتاج للحياة دون اصطدام بقوانين المجتمع أو جور على حق الفرد في الراحة والمتعة .

ونتيجة عملية التنشئة الاجتماعية يتكون الضمير والخلق وأسلوب الفرد الخاص الغالب في حل مشاكله وفي تعامله مع الناس والذي يميز الفرد عن غيره من الأفراد ، وهو ما يعرف « بالأسلوب التوافقي أو التكيفي العام » وهو أبرز ما يميز شخصية الإنسان .

ومن ثانيا تفاعل المعطيات الوراثة الفطرية مع المعطيات البيئية المكتسبة في عملية التنشئة الاجتماعية تتحدد المقومات الرئيسية للشخصية الانسانية وهي المقومات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية . هذه المقومات هي الأساس الثابت في حياة الفرد الذي يساهم في صنع النجاح والفشل إلى حد بعيد ويضئ على الإنسان فرديته .

ويهمنا في الخدمة الاجتماعية خاصة دراسة تركيب الشخصية ومقوماتها ، وذلك حتى يمكننا في ضوء هذه الدراسة تحسين أساليب سلوكنا وسلوك غيرنا على أساس فهمنا لأنفسنا ونفوس غيرنا .

وفيما يلي نوضح أهمية دراسة الشخصية في الخدمة الاجتماعية :

(١) أهمية دراسة الشخصية في الخدمة الاجتماعية

تعرف خدمة الفرد ، « بأنها عملية تهتم بتفهم الأفراد كشخصيات كلية بتكيف هؤلاء الأفراد في حياة اجتماعية صحية » (١) وتعريف آخر لخدمة الفرد يقول : « خدمة الفرد من العمليات التي تهدف إلى تنمية الشخصية بواسطة تأثيرات محسوسة لكي ينسجم الفرد مع بيئته الاجتماعية » . وتعريف ثالث لخدمة الفرد نصه : « عملية تهدف إلى توظيف العميل لامكانياته وطاقاته — لإدراك وتفهم ومواجهة مشكلة من مشكلات تفاعله مع بيئته الاجتماعية أو جانب منها بواسطة علاقة بناءة بينه وبين إخصائي مهني ممثلاً لمؤسسة اجتماعية تتيح تحرير طاقاته وإمكانياته وإمكانيات المؤسسة » (٢) ، كذلك تعرف خدمة الجماعة : « بأنها عملية تربوية تهدف إلى نمو شخصيات الأعضاء عن طريق النشاط الجماعي » (٣) .

وهكذا لو استعرضنا العديد من تعاريف طرق الخدمة الاجتماعية لوجدنا التأكيد بشكل مباشر أو غير مباشر على الشخصية الإنسانية .

فالإخصائي الاجتماعي يتعامل مع مختلف العملاء الذين لهم شخصيات ومشكلات مختلفة ومن الضروري للإخصائي الاجتماعي أن يتقدم بفهم بناء الشخصية الإنسانية ومقوماتها ووظائفها المختلفة إذا أراد النجاح في عمله لأن سلوك العميل يتكون ويتأثر بهذا التركيب وتلك الوظائف ، كما أن مساعدة الإخصائي الاجتماعي للعميل في الحقيقة لاتدل على مهارة أو حذق في المهنة إلا إذا كان قادراً على الإلمام بالعوامل المختلفة التي تدفع العميل إلى أن يسلك سلوكاً معيناً ، كذلك على تقدير الصفات الثابتة والمتغيرة التي تظهر في محاولاته للتكيف أو لوقاية نفسه فان مثل هذه الأمور يجب أن تكون تحت

الملاحظة الدقيقة للاخصائى الاجتماعى حتى يمكنه تقديم المساعدة اللازمة لعملائه .

ومهما تنوعت مجالات الخدمة الاجتماعية سواء فى المجال الأسرى أو المدرسى أو العالى أو الريئى أو الطبى أو ذوى العاهات أو الأحداث الجانحين أو النفسى ... الخ . ومهما تنوعت طرق الخدمة الاجتماعية فإن المبدأ الرئيسى والقاسم المشترك فى كل هذه المجالات والطرق هو مبدأ تنمية شخصية العميل سواء أكان فردا أو جماعة أو مجتمع محلى (إن جاز لنا هذا التعميم) .

وتنمية شخصية العميل يقصد منها أساساً اكتساب العميل المقدرة على الاعتماد على النفس فى حل المشكلات المستقبلية دون الاستعانة بالاحصائى الاجتماعى ، فالنضج معناه الاستقلال والاعتماد على الذات فى المقام الأول ، فكما أن الشجرة حينما تنضج تنفصل عن أمها الشجرة كذلك العميل حينما تنضج شخصيته وتنطلق قواه الذاتية ويستثمرها يستطيع أن يقف على قدميه بمفرده دون مساعدة رئيسية من أحد .

ومن العبارات الماثورة فى الخدمة الاجتماعية (لا تصطاد للعميل السمك ولكن علمه كيف يصيد السمك) .

وكما أن الطبيب يقوى عناصر المقاومة عند المريض ومتى قويت لاداعى للدواء كذلك الاحصائى يقوى طاقة العميل والانتاج وينشط دوافع التصحيح فى العميل حتى يستطع أن يساعد نفسه بنفسه . لذلك نجد أن الإخصائى الاجتماعى لا يلتجئ إلى أساليب الإعاقة النقدية أو العينية المستمرة إلا فى حالة الضرورة القصوى ، والقاعدة العامة هو تجنب قدرات العميل وتحقيق الاكتفاء الذاتى له فى حدود استطاعته بأن يتبنى مشروعات يدر دخلا ثابتاً ، أو تشجيع العميل ذوى العاهة على الإقبال على برنامج التأهيل المهنى ، أو يشجع أعضاء الجماعة

- ٧ -

على الحكم الذاتي في نادى استثمار وقت الفراغ ، وكذلك الحال مع أعضاء اللجان في جهاز تنظيم المجتمع .

ويرتبط مع مبدأ تنمية شخصية العميل أو النضج بالممارسة قاعدة العمل مع العميل وليس من أجل العميل . ومعنى العمل من أجل العميل أن يكون موقفه سلبيا ويقوم الاخصائى الاجتماعى بتقديم الخدمات المطلوبة دون مشاركة العميل وهو صاحب المشكلة أصلا مما يشعر العميل بالنقص وأنه غير أهل لتجمل مسئولية علاج مشاكله مما يؤدي إلى فشل علاج الحالة لقصور شخصية العميل وبناءها على أساس الاتكالية الاقتصادية والاتكالية الوجدانية على الاخصائى الاجتماعى والمؤسسة .

وبصفة عامة يتمركز دور اخصائى خدمة الفرد في تحقيق مبدأ نمو شخصية العميل حول العلاج الشخصى الذى يهدف أساسا إلى مساعدة العميل على الخروج من دائرة الضغط النفسى المرتفع ليستطيع التوفيق الإيجابى بين مطالبه من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى ويتم ذلك بالوسائل الآتية : (٤)

(١) **العلاقة المهنية** : وهى العلاقة الطيبة التى تخلق فى العميل استعدادا وتقبلا لتقبل تغيير سلوكه حتى يتلاءم مع المجتمع ، أو أحداث التغيرات اللازمة فى بيئته حتى يتلائم معها ، وقد تكون العلاقة فى حد ذاتها أسلوب علاجى يرد ثقة العميل إلى نفسه ويرفع قيمته فى نظر نفسه ويبعد إليه راحة البال واطمئنان النفس . وتنشأ العلاقة المهنية أثناء تفاعل شخصية الاخصائى الاجتماعى مع شخصية العميل فى غضون المقابلة وجها لوجه بهدف مساعدة العميل على حل مشكلته .

وحتى تكون هذه العلاقة المهنية أداة فعالة فى تنمية شخصية العميل لابد أن تبنى على الثقة المتبادلة بين الاخصائى والعميل ، هذه الثقة تنشأ من تقبل

٨ - خـ

الاخصائى للعميل كما هو ، وإظهار شعور الاحترام نحوه ، والعطف والمودة والاهتمام بالعميل والحرص على المحافظة على أسرارها التى ييوح بها .

كذلك لابد أن تكون العلاقة خالية من السيطرة والأرغام والسلطة التى تتعارض مع حق تقرير المصير للعميل .

كما تخلو العلاقة المهنية من أنواع التحيز الوجدانى كالحب والكراهية مهما كان شكل العميل أو لغته أو مظهره ومهما انحطت الأعمال التى يأتى بها .

ويجب أن يعرف الاخصائى العميل وظيفه المؤسسة ودور الاخصائى فيها والشروط الواجب تطبيقها على العملاء حتى يعرف كل من الاخصائى والعميل دوره فى هذه العلاقة .

(٢) **التنفيس الوجدانى** : أى اطلاق المشاعر المؤلمة الحبيسة التى عانى منها العميل عن طريق إتاحة الفرصة له للتعبير الحر المطلق عن مشكلته بالانصات الجيد من جانب الاخصائى الاجتماعى حتى ينعم العميل براحة الاعتراف وتخفيف الأحوال الجاثمة على صدره . ومن قبيل التنفيس أو التفريغ الوجدانى أيضاً مساعدة العميل على تحقيق بعض حاجاته الرئيسية بصورة يقبلها المجتمع دون حاجة إلى كبت هذه الرغبات ، مثل إشباع الرغبات الجنسية عن طريق الاشتراك فى نادى مختلط من الجنسين يقوم فيه الطرفان بأنشطة رياضية واجتماعية مشتركة فى بيئة علنية وتحت إشراف تربوى دقيق يحقق المثل الصالح لرواد النادى من الجنسين ويدعم الإشراف التربوى سند دينى يقضى باقامة شعائر الدين لكل رواد النادى وفى مقدمتهم الرواد . هذا ما يسمى بالاعلاء بالنسبة للدافع الجنسية ، أما إذا استبدل الاختلاط مع الجنس الآخر بأى

بديل لا يمت للجنس بصفة مثل استثمار وقت الفراغ بنشاط رياضي أو اجتماعي أو فني للانصراف عن التفكير في الجنس الآخر سمي هذا ابدال . والإعلاء الذي لا ينكر أو يتجاهل طبيعة الدوافع الأولية والسموبها بصورة مهذبة يقبلها الدين والمجتمع يفوق أثره الابدال في تخفيف آلام الكبت النفسى وتقليل نتائجه السيئة .

(٣) **تخفيف قلق العميل :** إذا كان ضمير العميل مترمناً متعسفاً فإنه يثير فيه الشعور بالإثم لأنثفه الأسباب ويضخم من شعوره بالقلق تضخماً سرطانياً خبيثاً ، ودور الاختصاصي الاجتماعي هنا هو رد الضمير إلى مستوى الاعتدال دون إباحية أو عدم هدم للقيم الأخلاقية .

وقد يكون العميل قلقاً لخوفه من مصادر بشرية في بيئته كالأباء والرؤساء والمعلمون الذين يستثون معاملته ، وواجب الاختصاصي حينئذ العمل على تغيير اتجاهاتهم نحو العميل للتخفيف من قلقه .

(٤) **تكوين البصيرة :** ومعناها مساعدة العميل على الوقوف على حقيقة الأسباب الذاتية أو البيئية التي كانت خافية أو غامضة عليه من قبل ، ويتم ذلك بواسطة التفسير والشرح والتوضيح لما يغلق على العميل فهمه بوضوح ودقة . ومعرفة الأسباب الذاتية تعرف بالدراسة الذاتية ، ومعرفة الأسباب البيئية تعرف بأدراك الواقع الخارجى .

و محور الارتكاز في تكوين البصيرة هو العلاقة المهنية فلولا الفهم والثقة والاحترام المتبادل ما تكون لدى العميل أدنى بصيرة .

وفى سبيل تكوين الدراية الذاتية كثيراً ما يلجأ الاختصاصي الاجتماعى إلى الاستعانة بعرض بعض الحالات المشابهة أو بعض الأفلام التي تعرض حالات مماثلة ، وهدف هذه الأفلام هو لفت نظر العميل إلى دوافعه الخافية عليه

والتي تلعب دوراً رئيسياً في مشكلته بطريق غير مباشر فكم من عملاء يدفعون ابتناءهم للانحراف وهم لا يشعرون بمسئوليتهم في ذلك برغم كونهم مثلاً سيئاً لأبنائهم ، وكم من زوج خائن يهتم زوجته بالحيانة الزوجية ، والفرد يميل إلى إسقاط رغباته المستكربة للنفس والناس على الغير حتى يبادر بلمومهم قبل أن يلوموه لتخفيض قلقه وحماية نفسه .

ومساعدة العميل على إدراك دنيا الواقع الخارجى يتم بتعريف العميل أثر العوامل البيئية والثقافية في تكوين مشكلته ، أو توضيح بعض ما يحتاجه العميل من معلومات يجهلها عن موارد المؤسسة أو المؤسسات الأخرى .

(٥) **مراجعة الخطط العلاجية :** يجب مراجعة الخطط العلاجية مع العميل للتأكد من سلامتها والتنبيه بما ينتظر حدوثه حتى لا يفاجئ العميل بوقوعها أو يمل من انتظار النتائج .

(٦) **النصح :** يرغم أن النصيح غير مرغوب في الخدمة الاجتماعية ولكن لا مانع من الالتجاء إليه في بعض الأحيان إذا كانت نتيجته غير مشكوك فيها ، أو لتفادى ضرر محقق محقق للعميل .

(٧) **حصر أو تحديد نقاط الضعف الشخصى في العميل كالحجل والتردد ووضعها تحت نظر العميل ليرغب في تعديلها .**

(٨) **العمل على أن يقبل العميل بعض الصفات التي يضيق بها والتي لا يمكن تعديلها كقصر القامة أو النحافة الشديدة أو العاهة المستديمة . والعمل على التعويض عن النقص باستغلال القدرات الباقية إلى أقصى حد .**

(٩) **تصحيح الأهداف الاجتماعية وجعل مستوى الطموح يقارب مستوى القدرة حتى لا يثقل العميل من صراع الرغبة والقدرة الذى يجعل الشخصية أو الذات تمارس لونا من القلق والضعف والتخاذل .**

على أن العلاج الشخصى قد يتعثر في أحيان كثيرة إذا ظل العميل واقعاً

تحت ضغوط بيئية شديدة مثل الحرمان المادى (نقص الموارد المالية أو الملابس أو المأكل) أو الحرمان النفسى (الحرمان من الحب أو الأمن أو الانتماء) ، أو معيشة العميل فى ظروف سيئة فى بيئة السكن أو العمل (ازدحام - رطوبة - اظلام - قذارة) ، وفى مثل هذه الحالات يعمل الاختصاصى الاجتماعى على تغيير اتجاهات الأفراد الذين لهم صلة شديدة بحياة ومشكلة العميل حتى يحسنوا معاملته ، وكذلك تغيير اتجاهات العميل نحوهم حتى يحسن معاملتهم ، أما من ناحية نقص الموارد فإنه يستعين بإمكانيات المؤسسة أو المؤسسات الأخرى أو تجنيد قدرات العميل ببرامج تعليمية مختلفة لمواجهة النقص فى هذه الموارد وهذا ما يعرف بالعلاج البيئى . ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن العلاج الشخصى والبيئى يكملان بعضهما البعض وإن كانت مدى الحاجة لكل نوع من الاثنين يختلف من حالة لأخرى باختلاف العملاء واختلاف مشكلاتهم والعوامل الغالبة فيها التى يحددها عملية التشخيص الاجتماعى .

(٢) الاعتبار الهامة المتصلة بالشخصية التي يجب ان يراعيها الاختصاصي الاجتماعي في عمله

(١) العناصر الشعورية واللاشعورية :

سبق الذكر أن البصيرة هي عملية تمكين العميل من فهم ذاته والوقوف على أسباب المشكلة التي كانت خافية عليه . والأسباب قد تكون شعورية أو شبه شعورية أو لاشعورية . وتكون البصيرة المقصودة هنا عملية اخراج المادة ذات الأهمية الخاصة من منطقة شبه الشعور إلى منطقة الشعور في الشخصية فإذا أمكن للعميل تذكر الأسباب والأفكار بسهولة قيل أن هذه الأفكار تحتل منطقة الشعور ، وإذا تذكرها بصعوبة نسبياً — أى بعد توضيح وتفسير من جانب الاختصاصي الاجتماعي — قيل إن الأفكار تحتل منطقة شبه الشعور ، أما إذا لم يستطع العميل تذكرها إلا بمساعدة عملية التحليل النفسي قيل إن الأفكار تحتل منطقة اللاشعور . والعناصر شبه الشعورية واللاشعورية تتكون نتيجة كبت الأفكار المشينة أو الخيفة أو المؤلمة ، وكلما كانت الأفكار أكثر ألماً للنفس كلما أزيحت إلى منطقة شبه الشعور واللاشعور ، وبناء على ذلك تكون عملية استرجاع واستحياء هذه الأفكار والمشاعر المؤلمة واحتلالها بوفرة شعور الفرد مصحوبة بمقاومة من جانب العميل وزيادة قلقه وظهور اتجاهات مشحونة بالعداء للاختصاصي الاجتماعي .

والاختصاصي الاجتماعي لا يتعامل إلا مع الأفكار والمشاعر الشعورية وشبه الشعورية القريبة من وعي العميل ، أما الطيب النفسي والمحلل النفسي فهو يتعامل مع المكبوتات اللاشعورية . وبذلك تختلف البصيرة التي يكونها الاختصاصي الاجتماعي عند العميل عن البصيرة التي يكونها الطيب النفسي ، ولكن الاختلاف

فى درجة النسيان - ومعنى أدق فى الكبت - لافى نوع المكبوتات ذاتها . وليس معنى ذلك أن الاختصاصى الاجتماعى يهمل تكوين البصيرة عن المكبوتات اللاشعورية لأنها ليست من اختصاصه ، ولكن يجب عليه تحويل العميل إلى الطبيب النفسى المختص للاستعانة بخدماته وتكامل خدمات المختصين .

وحينما لا يعرف العميل لتصرفاته الشاذة سبباً ولا يستطيع التحكم فيها بارادته تكون صادرة من عقدة نفسية مشحونة بدوافع وصراعات لا شعورية كما فى الأمراض النفسية والأمراض العقلية ذات الأساس النفسى والى تحتاج لجهد الطبيب النفسى أساساً .

(٢) التشخيص الطبى والنفسى والاجتماعى :

فى عملية التشخيص الطبى الجسمى يقرر الطبيب مثلاً أن مريضاً معيناً مصاب (بانفلوانزا) بعد دراسة أمراض معينة كرشح الأنف وارتفاع درجة الحرارة وآلام بالجسم . . الخ ثم يقرر العلاج اللازم بالمضادات الحيوية وما إلى ذلك .

. ولكن فى عملية التشخيص فى الخدمة الاجتماعية أو علم النفس لا يكفى أن نقول أن فلانا انحراف لأن شخصيته قلقة أو هستيرية أو مصابة بعقدة نفسية تماماً كما يقرر الطبيب الجسمى أن فلانا مصاباً (بانفلوانزا) . والأولى من ذلك نبأ عن أصول هذه الأمراض الهستيرية أو أعراض القلق أو أعراض عقدة النقص أو الذنب وأسباب رسوخ هذه الأعراض وتحجرها والطريق الصحيح لتفسير هذه الأمراض هو البحث عن مختلف العوامل التى تؤدى إلى تكوين شخصية العميل وهى العوامل الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، الماضية والحاضرة والمستقبلية ، الحقيقية والخيالية . وبذلك

نقف على العوامل الممهدة والمعززة والمعالجة بأعراض القلق أو الهستيريا أو العقدة .

هذه العوامل هي القوى المتفاعلة التي انتجت السلوك الحالي ، وهذا الموقف هو ما يعرف « بالجال السلوكي الكلي للفرد » .

وعن طريق المجال الكلي للفرد نستطيع أن نفهم لماذا يختلف سلوك الناس حيال موقف واحد كمرض جسمي معين أو ضائقة مالية أو فضيحة اجتماعية .

وكذلك نستطيع أن نفهم لماذا يختلف سلوك الفرد الواحد من موقف لآخر كالطالب الذي يتلعم في المدرسة ولا يتلعم في البيت ، والمدير الذي يكون مستبدًا في عمله مستكينًا أمام زوجته الخ .

ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن البحث عن قوى المجال الكلي تبدأ من الأعراض الحالية ثم نتمق رويدا رويدا في المشكلة للكشف عن القوى المختلفة المؤثرة في الموقف . ومن الخطأ الفاحش أن يقفز الأخصائي النفسي أو الأخصائي الاجتماعي إلى بحث ظروف طفولة العميل في الخمس سنوات من العمر مثلاً ضارباً بأعراض المشكلة الحالية عرض الحائط فلا يلبث أن يلقي استغراباً ومقاومة شديدة من جانب العميل .

(٣) الحقائق السيكولوجية والموضوعية :

لكل حقيقة وجهان وجه سيكولوجي (نفسي) وآخر موضوعي . فرض السكر مثلاً حقيقة موضوعية تثبتها التحاليل الطبية ، ولكن شعور المرضى نحو هذا المرض هو حقيقة سيكولوجية ، وهذه الحقيقة النفسية تختلف من فرد لآخر ، فريض نراه يائساً من الحياة ، بينما الآخر مستسلماً متواكلاً تاركاً الأمور لله دون الاستعداد لبذل أى مجهود ، كما نجد ثالثاً مستبشراً مجسداً في العلاج .

وهذا الاختلاف في الحقائق السلوكية ينشأ من الاختلاف في شخصيات الأفراد ومن تجارب مرت بهم ، أو اختلافات في عقلياتهم ، أو أساليب تنشئتهم إلى غير ذلك .

والحقيقة الموضوعية لا يمكن أن تكون لها معنى صحيحاً إلا إذا فهم معناها النفسى ، لذلك كان من واجب الاختصاصى الاجتماعى أن يساعد العميل في إدراك الفرق بين ما هو قائم في الواقع الخارجى والصورة الداخلية التى التى يعكسها العميل عن هذا الواقع بحيث يظهر له كما يراه .

ولاحساس العميل بمشكلته يزداد دائماً في اللحظة التى يتحدث عنها مع شخص آخر حتى لو كان عاش فيها مدة طويلة ، وأن هذه الاحساسات والانفعالات قد يظهر بعضها بواسطة التعبيرات الجسمية مثل انسكاب الدموع وارتعاش اليدين أو تصبب العرق ، ويظهر الآخر باللفظ أما تلقائياً أو بواسطة تشجيع الاختصاصى الاجتماعى للعميل .

والعميل لا يمكنه أن ينجح في حل مشكلته ما لم يعبر عن مشاعره وانفعالاته للاختصاصى الاجتماعى الذى يساعده بعد ذلك عن طريق التوضيح والتبصير على رؤية الأمور على حقيقتها .

• وعلاوة على ما سبق نجد أن البيئة الموضوعية قد تكون واحدة بالنسبة لعدد من الأفراد ، لكنها تكون بيئات سلوكية مختلفة لكل منهم ، فالبيت الواحد ليس بيئة سلوكية واحدة . لجميع من به من اخوة وأخوات وذلك لاختلافهم في السن والخبرة والميول والقدرات ، كذلك الحال في تلاميذ الفصل الواحد ، أو عمال المصنع الواحد ، أو المرضى في مستشفى واحد .

وغنى عن البيان ذكر أن فهمنا لشخصية الأفراد يحتم دراسة البيئة السلوكية

- ١٦ -

التي تجد في أعيننا دلالة خاصة ونشعر بها ونستجيب لها أو تثير انتباهنا واهتمامنا وتتجاوب مع حاجتنا وقدرتنا ، أما البيئة الموضوعية أو الواقعية فهي لا تثير اهتمامنا بقدر البيئة السيكلوجية لأسباب عديدة ترجع إلى جنس الشخص وسنه وحالته الحسية والعقلية وخبرته ومهنته وميوله وثقافته ومعتقداته ووجهة نظره ... الخ .

(٤) يميل الفرد إلى مقاومة التغيير للمفاجىء في عاداته :

العادة هي نمط من السلوك المتعلم الثابت نسبياً عن طريق التكرار ويؤدي بطريقة آلية ، أى بأقل جهد وفكر سابق على الفعل .

وقد تكون العادة سوية أو شاذة مثل عادة ممارسة الرياضة أو الصلاة بانتظام ، أو عادة الإدمان على المخدرات والمسكرات . وقد تكون حركية أو عقلية أو وجدانية . مثل عادة الاستيقاظ مبكراً (حركية) أو التفكير العلمي الهادىء (عقلية) ، أو حب المال أو كراهية السود (وجدانية) .

وحيث أن العادات تعطى للفرد صفاته الخاصة التي تميزه عن غيره بوضوح وتغطي مظاهر شاملة للسلوك البشرى الإدراكي والوجداني والتروعي (الحركي) قيل أن شخصية الإنسان ما هي إلا مجموعة من العادات الثابتة .

والعادة تحقق الاقتصاد في الجهد والوقت ، وتدعم الشعور بالأمن وتوفر جهد الفرد وطاقته النفسية لمواجهة مسئوليات الحياة ، فهي من هذه الزاوية نعمة ، ولكنها قد تكون نقمة إذا استعصت على التطوير والتغيير لمواجهة ضرورات البيئة المتغيرة ولذا يصبح الفرد مقيداً عبداً لعاداته لذلك يقال أحياناً (من العادة ألا تكون لك عادة) .

ويميل الفرد إلى مقاومة التغيير المفاجيء العنيف في عاداته الراسخة التي شب عليها لأن في ذلك تهديد لذاته ولإثارة للخوف من المجهول وفرض مسئوليات جديدة

لذلك يجب على الاختصاصي الاجتماعي أن يتجنب التغيير المفاجيء في عادات العملاء الضاربة أو التي لا تسير العصر، والأصح أن يكون التغيير تدريجياً وبخطوات تتمشى مع قابلية العميل في التغيير بعد الاقتناع الفعلي بفوائد التخلص من العادة القديمة ومضار استمرارها ، وإثارة دوافعه التي تساعد على التخلص من العادة ، وتزويد العميل بعادة جديدة مفيدة مضادة للعادة القديمة إلى غير ذلك من الوسائل .

(٥) الدوافع المالة والمضرة :

في كثير من الحالات نجد أن الشخص الذي تملكه عاطفة حب المادة مثلاً دون سواها من عواطف حب البشر أو الدين أو العلم ، أو الشخص الذي تكتسح دوافعه الاقتصادية دوافع الأخلاقية والدينية ، في أغلب الأحيان نجد أن هذا الشخص يظهر في حديثه عدم اكتراثه بالمادة وأنها آخر شيء يفكر فيها ولا يجعل لها وزناً ، هذه دوافع المقالة ، أما دوافعه غير المقالة — أي المضرة — تكون متمركزة حول المال . فالدوافع المقالة هي المقبولة اجتماعياً ، وغالباً — وليس دائماً — تكون غير حقيقية ، أما الدوافع غير المقالة هي غير المقبولة اجتماعياً وغالباً ما تكون حقيقية .

وليس معنى ما سبق أن نتشكك في نوايا العملاء دائماً كقاعدة . ولكن يجب ألا نتسرع بالتشخيص قبل توثيق العلاقة المهنية وتكوين البصيرة لدى العميل والتخفيف من مقاومته حتى يتم ظاهره عن باطنه .

(٦) السلوك الواحد وراء دوافع متعددة متعاونة أو متضاربة :

فالسلوك الاجرامى مثلاً قد يكون وراءه رغبة مرتكب الجريمة في تلوين سمعة عائلته التي أذلته وعذبتة ، أو رغبة الحصول على المال ، أو رغبة في

السيطرة والقوة كتعويض عن مشاعر النقص ، أو رغبة في الانتهاء إلى جماعة تحبه وتفهمه حتى لو كانت من المجرمين .

والسلوك البشرى سلوك معقد وراءه عدة دوافع واحد في أغلب الأحوال ، وقد يكون بعض الدوافع شعورية أو لاشعورية ، حقيقية أو وهمية من نسج خيال العميل .

وقد تكون الدوافع متصارعة متضاربة ، فمثلا العانس الذى تزوجت من رجل متزوج صاحب أسرة لها أولاد صغار . يدفعها إلى هذا الزواج الدافع الجنسي وقد يتعارض هذا الدافع مع دافع الهرب الذى يتضمن الخوف من إيذاء الأولاد والزوجة السابقة . لذا نجد سلوك هذه الزوجة الجديدة سلوك قلق متردد يشوبه اقدام الجنس واحجام الخوف .

(٧) الدافع الواحد يؤدى الى مظاهر سلوكية متعددة :

فالشخص الذى يعانى من عقدة النقص مثلا ورغبته الشديدة فى القوة قد ينحني نقصه وراء ظلم الغير ، أو ينحني نقصه وراء مرض وهمى ، أو يحقق رغباته فى القوة عن طريق أحلام اليقظة ، أو عن طريق جذب انتباه الغير بأى طريق ، أو الالتجاء للاختلاق أو للعدوان وما إلى ذلك .

(٨) التعبير عن الدوافع يختلف باختلاف الثقافات :

فمثلا دافع المحافظة على الذوق والأدب يدفع الرجل الأمريكى إلى مدح جمال زوجة أمام زوجها ، فى حين أن هذا السلوك بالنسبة للرجل العربى يعتبر من قبيل قلة الذوق والأدب .

وكذلك الغمز بالعين للشخص الغريب فى أمريكا سواء أكان رجلا أو امرأة يعتبر من قبيل الذوق والأدب والترحيب بالشخص الغريب ، فى حين نجد أن هذا السلوك بالنسبة للرجل العربى من قبيل (البصبة) وقلة الحياء .

وحتى في الثقافة الواحدة نجد أن السلوك أو التعبير عن الدوافع يتباين من مكان إلى آخر . فالأخذ بالتأثر والانتقام للعرض سلوك عادي و حيد في الصعيد في حين أنه سلوك إجرامي بالنسبة لسكان المدن وهكذا .

(٩) الحرمان بالنسبة للدوافع السيكلوجية والفسولوجية :

تبين أبحاث عالم النفس الأمريكي ماسلو بأن الحرمان الشديد في إشباع الدوافع السيكلوجية يؤدي إلى الإفراط في إشباع الدوافع الفسيولوجية ، كذلك يؤدي الحرمان الشديد في إشباع الدوافع الفسيولوجية إلى إهمال الفرد إشباع دوافعه السيكلوجية.

فمثلاً الموظف الذي يتعرض للاهانة والحرمان والإذلال بشكل موصول من رئيسه في العمل بشكل يعرقل إشباع دوافعه النفسية للامن والتقدير تجده غالباً ما يلجأ إلى الإفراط في إشباع دوافعه الفسيولوجية كدافع الجوع والجنس . لذا تجده يفرط في تناول الطعام وفي الاتصال الجنسي بزوجه كوسائل لتخفيف من آلام حرمانه وقلقه .

ومن جانب آخر نجد أن الحرمان الشديد من الطعام أو النوم مثلاً لا يجعل الفرد مهتماً كثيراً بإشباع دوافعه النفسية مثل الدوافع إلى أن يحب ويحب ودافع التقدير الاجتماعي . . . الخ .

(١٠) ميل الانسان الى التهرب من اخطائه :

يشعر الانسان بألم في النفس عندما يرتكب خطأ . وقد تعتمد النفس إلى حيلة لاشعورية للهرب من هذا الإحساس المؤلم بأن تنسب أسباب الخطأ إلى عوامل خارجية . فالطالب الذي يرسب في الإمتحان مثلاً قد يرجع ذلك الرسوب إلى صعوبة الامتحان ، أو إلى ما بينه وبين مدرسه من سوء تفاهم ولا يرجعه إلى إهماله في الاستعداد والاستعداد للامتحان .

- ٢٠ -

والوالد الذى أهمل فى تربية ابنه مما سبب انحرافه وتشردّه ، يرجع ذلك إلى صعبة السوء ، أو عناد هذا الابن ، أو إلى اسباب أخرى غير اهماله فى تربيته .

والعامل المتعطل يذكر للاخصائى الاجتماعى أسبابا كثيرة عن تعطله مثل قسوة صاحب العمل ، أو أنه يريد توفير العمال ، أو أن بعض زملائه فى المصنع قد دسوا له عند صاحب العمل ولكنه لا يذكر سبباً ينسبه إلى نفسه . وهذه التبريرات التى لجأ إليها مثل هؤلاء العملاء تعمل فى الحقيقة على التوازن النفسى بالهرب من الألم الذى قد ينشأ عن الشعور بالذنب والخطأ .

ودور الاخصائى الاجتماعى فى مثل هذا الموقف يجب أن ينحلو من النقد أو مواجهة العميل بشكل مباشر بتعريفه أنه المتسبب فى الخطأ ، فان ذلك الاتجاه يثبت العميل فى موقفه ويزيد من مقاومته والنفور من الاخصائى الاجتماعى ، ولكن يجب أن يقف الاخصائى الاجتماعى موقف التقبل ومحاولة إصلاح الخطأ ، مع استدراج العميل إلى كشف خطئه وعيوبه بنفسه ، ويساعد الإخصائى الاجتماعى فى ذلك عرض حالة مماثلة ومناقشة المتسبب عن الاشكال فيها ، أو عرض فيلم سينمائى أو شريط تسجيل لحالة مشابهة ، أو أن يرشد الاخصائى الاجتماعى العميل لقراءة كتاب فى علم النفس يشرح معنى التبرير ومناقشة الاخصائى بعد قراءته ، مثل هذه الوسائل تساعد العميل على اكتساب البصيرة وفهم دوافعه وبالتالي العمل على تعديلها . والأمثلة السابقة توضح حيلة دفاعية واحدة هى التبرير ، وهناك حيل نفسية دفاعية متعددة مثل الاسقاط ورد الفعل العكسى والتعويض وغيرها .

(٣) معنى الشخصية وتعريفها

من الملاحظ أن تصور معنى الشخصية ووضع تعريف لها، وكذلك كيفية دراستها يعكس وجهات النظر في مدارس علم النفس المختلفة وطرق البحث السائدة في كل مدرسة. فالمدرسة التكوينية ورائدها (فونت) اهتمت بتحليل الخبرات الشعورية إلى عناصرها الأولية عن طريق التأمل الباطني، تماماً كما يحدث في علم الكيمياء من تحليل المركبات الكيميائية إلى عناصرها الأولية، ولذلك تسمى هذه المدرسة مدرسة الكيمياء العقلية. لذلك نجد تعاريف للشخصية تدور حول فكرة المرء عن نفسه وتقديره لذاته وتحليل الخبرات الشعورية التي يحس بها دون سواه، وأن المركب السيكلولوجي المسمى بالشخصية يمكن تحليله إلى عناصره الأولية وهي العوامل الحسية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.

أما المدرسة الوظيفية ومن زعمائها (وودورث) و (جون ديوى) فقد أهتمت ببحث الحياة العقلية من الناحية الوظيفية، وهي التكيف مع البيئة مع ما يقتضيه ذلك من تعلم وتحسين لأساليب السلوك، مع الاهتمام بالتفاعل الذي يحدث بين الكائن الحي وبين البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش فيها، وما يتطلبه ذلك من كفاح عقلي للتغلب على مشكلات الحياة والوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي. لذلك نجد تعاريف متعددة للشخصية تركز على أن الشخصية : هي حصيلة تفاعل الفرد في بيئته ونتيجة ذلك تكون أسلوب تكيفي خاص غالب على سلوك الفرد يوضح طريقته في حل المشكلات وفي تعامله مع الناس، ولا تهم هذه المدرسة كثيراً بتحليل الشخصية إلى مكوناتها الأصلية الحسية والعقلية... الخ.

أما المدرسة السلوكية ورائدها (واطسون) و (ثورندايك) فقد أكدت أن الحياة العقلية لا يمكن دراستها بمجرد تحليل الحياة الشعورية خصوصاً وأن من الصعب علينا أن نعرف ما يجري في نفوس الآخرين . واذن لا بد من الاعتماد على ملاحظة السلوك الظاهري والدراسة الموضوعية لتصرفات الكائن الحي كما تبدو للغير . لذا نجد تعاريف للشخصية تدور حول الآثار التي يتركها الشخص فيمن حوله ، والطريق لمعرفة ذلك هو الملاحظة والتجريب . وحتى أصل كلمة الشخصية ذاتها يتمشى مع هذه الفكرة ، فكلمة شخصية (Personality) مشتقة من لفظ لاتيني (Persona) ومعناه القناع أو الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير . ومن ثم فالحكم على الشخصية أساسه صفات الفرد الخارجية كما تبدو للغير .

أما مدرسة الجشالت ومن قادتها (كبرت ليفين) و (كهلر) و(كفكا) فقد رأت أن الكائن الحي يعيش في مجال من القوى المؤثرة عليه والتي ينبعث بعضها منه وهي القوة الحسية والعقلية والانفعالية وبعضها من البيئة وهي القوى المادية (الفيزيائية) ، والقوى الاجتماعية ، والقوى الاقتصادية ، وخصيلة تفاعل هذه القوى هو تكوين السلوك الذي يميز فرداً عن غيره تمييزاً واضحاً وهذا هو أساس الشخصية . فسلوك الإنسان يشبه الإبرة المغناطيسية الموجودة في مجال مغناطيس ، فاتجاه هذه الإبرة بالتأكيد يتحدد بتأثير قوى المجال المغناطيسي الواقع عليها، وهذه هي الحقيقة المركزية الأولى في هذه المدرسة . أما الحقيقة الثانية تدور حول اعتبار السلوك وحدة كلية وليس مجرد أجزاء مترابطة كقوالب الطوب المنفصلة ، أي أجزاء محتفظة بخواصها الفردية متصلة مع بعضها في تسلسل آلي ، كذلك الخبرات النفسية ليست مجرد إحساسات ومشاعر وصورة ذهنية مترابطة بجانب بعضها . فالمنزل أكثر من مجرد مجموعة

من قوالب الطوب المتراسة . إذن الكل أكبر من مجموع أجزائه ، وأن الجزء لا يفهم معناه إلا في ضوء الكل ، وأن أى تغير في الجزء يتبعه تغير في الكل العام . وكامة جشائات ذاتها كامة المانية تعنى (وحدة) أو (تنظيم كلى عام) .

• لذلك نجد أن تعاريف الشخصية المنبثقة من هذه المدرسة تؤكد أن الشخصية عبارة عن تنظيم كلى عام من عناصر جسمية وعقلية تحددت بتأثير تفاعل قوى المجال السلوكى للفرد ، البيئية مادية واقتصادية واجتماعية ، والذاتية جسمية وعقلية وانفعالية .

وفروض هذه المدرسة تتعارض مع تعريف الشخصية الذى يقول : بأنها مجموعة صفات الفرد الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية . لأن الأخذ بهذا التعريف يودى للتسليم بأن أى تغير في الجزء لا يترتب عليه تغير في الكل ، وبمعنى آخر فإن أى تغير في جسم الانسان لا يترتب عليه تغير عقلى أو انفعالى ، وهذا عكس ما تثبتته المشاهدة الاكلينيكية والتجريب العلمى ، ومن الحقائق المقررة في الخدمة الاجتماعية أن العلاج الشخصى يؤثر في العلاج البيئى والعكس صحيح .

أما مدرسة التحليل النفسى ومن روادها (فرويد) و (ادلر) و (يونج) فقد أكدت أن فهمنا للحياة العقلية للفرد وبالتالي شخصيته سيكون قاصرا إذا تغافلنا أمرين على جانب كبير من الأهمية هما : —

(١) **الاشعور** : وأثره على سلوك الفرد ، وهو حصيلة الدوافع الأولية والأفكار والرغبات المولدة والخيفة والمشيئة التى كبتت كبتاً عنيفاً خصوصاً في الطفولة المبكرة ، أما الشعور فهو حصيلة وعى الفرد وإدراكه لقوى البيئة المادية والاجتماعية والاقتصادية .

(٢) **الديناميكية** : وتعنى الحركة المستمرة ، عكس الاستاتيكية أى السكون الدائم . والحياة العقلية للفرد مجال نشط أى ديناميكي تتفاعل فيه وتتصارع قوى الشعور الكابتة مع قوى اللاشعور المكبوتة ، وسلوك الانسان ما هو إلا محصلة هذا الصراع ، أى محاولات الفرد ارضاء القوى الكابتة والمكبوتة معاً ، ومن ثم يتكون أساليب الفرد في الحياة (Style of life) أو ما يعرف بالأساليب التكيفي العام والذي تعلمه الفرد أثناء عملية التنشئة الاجتماعية خاصة في فترة الطفولة المبكرة . هذا الأسلوب التكيفي الغالب على سلوك الفرد هو مفتاح فهمنا لشخصيته سواء أكانت سوية أو شاذة . وتعريف الشخصية المنبثقة من هذه المدرسة تؤكد أهمية المفهومين السابقين .

المدرسة الغرضية ومن قادتها (ماك دوجل) ويرى أن سلوك الانسان ينشأ من دافع نحو غرض ، وأهم الدوافع هي الدوافع الفطرية مثل الجوع والجنس والمقاتلة والحرب والتمالك .. الخ ، ولفهم سلوك الانسان يجب أن ندرس تصرفاته وطريقته في التغلب على العقبات التي تعترض إشباع دوافعه الفطرية والمكتسبة . لذلك نجد تعاريف الشخصية تنص على أنها نمط ثابت نسبياً لاستجابة الفرد للعقبات التي تعترض إشباع الدوافع وتحقيق الأهداف الجوهرية .

وتأسيساً على ما سبق يرى الكاتب أن كل مدرسة قد نظرت لشخصية الانسان وسلوكه من جانب واحد لا من الجوانب مجتمعة ، لذلك نرى أن كل مدرسة صحيحة جزئياً وليست صحيحة كلية . فالكائن الحي كائن معقد يعيش في بيئة معقدة ولا يكفي لتفسير شخصيته نظرة أحادية تؤمن بوحدانية السبب ، ومن ثم نرى أن المدارس السابقة متكاملة وليست متناقضة ، واختلاف الأئمة رحمة كما يقولون .

وفي ضوء هذه المدارس جميعاً يمكن وضع تعريف شامل للشخصية وهو:
الشخصية هي وحدة ديناميكية مكونة من الصفات المتداخلة الثابتة نسبياً
الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، الموروثة والمكتسبة ، الشعورية
واللاشعورية ، التي تميز الفرد عن غيره تميزاً واضحاً ، وتوضح طريقته الخاصة
في التكيف مع بيئته .

أركان التعريف الشامل :

(١) الوحدة : أى التنظيم الكلى العام وان التغير في الجزء يتبعه
التغير في الكل فالتحسن في الجسم يتبعه التحسن في الحالة النفسية
والعكس صحيح .

(٢) الديناميكية : إشارة للتفاعل المستمر المتبادل بين عناصر الشخصية
بين الوراثة والبيئة ، بين التكوين البيولوجي والاجتماعي ، بين
القوى الكاتبة والمكبوتة ، بين الشعور واللاشعور . . . وما إلى
ذلك ، وبناء عليه فليس لأى سمة أو صفة للشخصية معنى مطلقاً
ولأنما يكون للصفة معنى صحيحاً إذا نسبت لظروف البيئة التي
نشأ فيها الفرد وظروف الموقف التي ظهرت فيه هذه الصفة .

(٣) الثبات النسبي للسمات (الصفات) : وهذا يؤكد أهمية الصفات
التي لها صفة الدوام النسبي في الحكم على الشخصية . مثل الذكاء
والقدرة الخاصة (المواهب) . وهيئة الجسم والأسلوب التكيفي
العام . الخ علماً بأن الشخص الذي يوصف بالأمانة مثلاً ليس
الشخص الذي يتصرف بأمانه في جميع المواقف ، بل في أغلبها ،
وفي ظروف أتيح له فيها أن يكون غير أمين وأصر على أمانته .

(٤) الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية : هذا التكوين الرباعي مهم في الحكم على الشخصية ، وتغافل عنصر يجعل فهمنا للشخصية قاصراً . فالطبيب يركز على حالة الجسم الصحية ، والاختصاصي النفسي يهتم بالجانب العقلي والانفعالي ، والاختصاصي الاجتماعي يهتم بالجانب الاجتماعي ، أما الصورة الشاملة الكلية الدقيقة تظل مرهونة بتكامل كل جهود المختصين ، وهذا ما يتبع في العيادات النفسية ، وفي أسلوب دراسة الحالة في الخدمة الاجتماعية .

(٥) الشعور واللاشعور : ويمكن الكشف عن اللاشعور بالطرق الإسقاطية والتداعي الحر وتفسير الأحلام في التحليل النفسي .

(٦) التمايز والانفرادية : إشارة إلى أنه لا يوجد إثنان متشابهان تشابهاً كاملاً . والمدلول العملي لهذا المبدأ يجعلنا لا نحكم على الحقائق الموضوعية بمعزل عن الحقائق السيكلولوجية السابقة الذكر . وعليه يجب ألا نكتفي باستنتاجات عامة عن الحقائق الموضوعية للحكم على شخصية فرد ، مثل المرض والعجز والفضائح الاجتماعية والكوارث الاقتصادية ، ولكن يجب أن نبحث عن رد فعل الفرد (الحقائق السيكلوجية) إزاء هذه الكوارث ، فهناك فرق جوهري بين اليائس والمتحمس ، القدرى والمكافح ، الهارب والصابم . الخ .

(٧) الأسلوب التكيفي العام مع البيئة : إشارة إلى أن أبرز سمات الشخصية التي تميز الفرد عن غيره تمييزاً واضحاً هو أسلوبه الخاص الغالب في حل المشكلات وفي تعامله مع بيئته المادية والاجتماعية . وهذا الأسلوب يمكن تحديده بواسطة المقابلات والأساليب الإسقاطية واختبارات المواقف العملية . . . الخ .

هذا ويجب أن نضع في اعتبارنا أن كل فرد له شخصية ، ومن الخطأ أن نقول إن فلانا (ليس له شخصية) إذ أن هذا التعبير لا يعبر عن المعنى المقصود وهو أن فلانا مفكك الشخصية أو له شخصية ضعيفة . وهذه بديهية لأنه لا يوجد إنسان يعيش في فراغ ، وطالما كل إنسان تفاعل مع بيئة عاش فيها ، فاذن قد تعلم أساليب سلوكية معينة تميزه عن غيره وإذن تكون له شخصية على درجة معينة من السواء أو اللاسواء .

(٤) بناء الشخصية مع امثلة تطبيقية من مجال الخدمة الاجتماعية

Personality Make - up

حتى يمكن معرفة كيف تتكون الشخصية وتنمو نستعرض أهم مواطن الاهتمام في البحث الاجتماعي لشخصية الحدث الجانح في الوحدة الاجتماعية .
وأهم مواطن الاهتمام هي :

(أولاً) : دراسة الانحراف نفسه .

(ثانياً) : دراسة بناء شخصية الحدث ، ومعنى ذلك تحديد كيف تفاعلت العوامل الداخلية الشخصية جسمية ونفسية وعقلية واجتماعية ، مع العوامل الخارجية البيئية ، أسرية ومدرسية ومهنية ومجتمعية ، حتى حدث هذا النمط المعين من الانحراف .

(أولاً) : دراسة الانحراف :

من حيث نوع الانحراف ، وهل هو عارض أم متكرر ، منتشر في عائلة الحدث أم لا ، تم بتخطيط سابق أم لا ارتكب بالمشيئة أو بالتورط .

وكذلك تفسير الحدث للسلوك الذي صدر منه ، ورأى الأسرة في انحراف الطفل . وتبع الانحراف إلى الوقت الذي بدأ فيه والظروف التي أحاطت به ، ونوع المشكلات الأخرى التي ترتبت على الانحراف ، والطريقة التي عولج بها .

(ثانياً) : دراسة تفاعل العوامل الشخصية والبيئية :

العوامل الشخصية : (جسمية – عقلية – وجدانية – اجتماعية) .

النواحي الجسمية :

يلاحظ الأخصائى ما يبدو على الحدث من مظاهر الصحة والمرض والعاهات ومدى تناسب بناءه الجسمى العام ومدى حيويته ونشاطه أو خموله ثم يشفع رأيه بتقرير الطبيب الذى قام بفحصه .

النواحي العقلية :

يصف الأخصائى مقدرة الطفل على التعبير وقدرته على التفكير ، كما يتناول مستواه الثقافى وحالته المدرسية ، ثم يشير إلى تقرير الأخصائى النفسى أو مختبر الذكاء والمواهب وكذلك المعلومات المستقاة من البطاقة المدرسية .

النواحي الوجدانية :

يركز الأخصائى ملاحظته الخاصة على خصائص الطفل الانفعالية كما ظهرت فى المقابلات والزيارات وتقرير السلوك والشخصية لدار الملاحظة، ويصف ما قد يبدو عليه من عدم التوافق بين المنبهات الانفعالية والاستجابات الانفعالية ، ومدى سرعة الانفعال وقوته ومدته وتقلبته والانفعال السائد عنده بما يجعل الطفل مختلفاً بدرجة كبيرة عن الطفل العادى فى مثل سنه .

كذلك ما يظهر على الطفل من تعبير عن ألوان الحرمان المادى والنفسى والظلم والفشل فى حياته ، والمشاعر العدائية لبعض الموجودين فى بيئته ، ثم يشير الإخصائى إلى تقرير الطبيب النفسى الذى اختبر الطفل .

النواحي الاجتماعية :

ينصب على نمط علاقاته مع غيره سواء مع الأفراد أو الجماعات فى مثل سنه أو أكبر منه أو أصغر منه ، وأهم هذه الجماعات الأسرة والمدرسة وجماعة

العمل ، وجاعة الرققاء والأصدقاء أثناء شغل وقت الفراغ ، والمجتمع المحلى فى الحى الذى يقطن فيه .

ويظهر ذلك من تقرير السلوك والشخصية فى دار الملاحظة ، ومن زيارات الأخصائى الاجتماعى لهذه الجماعات المختلفة التى يظهر فيها مدى تعاون وطريقة تنافسه وقيادته أو تبعيته ، ونمط صداقته ، ومدى تحميله للمسئولية بمفرده أو داخل الجماعة ، ومدى احترامه لرأى الغير ، وميوله للمبادئ الديمقراطية ، واحترامه للسلطة سواء السلطة الأسرية أو المدرسة أو المهنية ، أو المجتمعية . . . الخ .

العوامل البيئية الخارجية :

تتكون من الأسرة والأوساط الخارجية التى ينتقل بينها فيهم الأخصائى بتكوين الأسرة ومدى تماسكها وتفككها ، وحالتها الاقتصادية وأثر هذه الحالة فى أفرادها ، ومدى الحرمان المادى الذى يتعرضون له بسببها ، ثم الحالة الصحية للأسرة عموماً ، وطريقة معيشتها واتساع المسكن بالنسبة لعدد أفرادها ، كما تدرس حالة الأسرة الاجتماعية والثقافية بما فيها من تقاليد وعادات وضوابط اخلاقية واحترام للمثل العليا ، وميول ثقافية ، وما وصل إليها أفرادها من التعليم .

ويركز الإخصائىون بصفة خاصة على الجو العاطفى فى الأسرة خاصة العلاقات الزوجية والوالديه والأخوية ، ومدى قيام كل من الوالدين بدورها كمصدر للرزق ، أو ملجأ للحب والعطف والحنان ، أو كمنبع للأفكار الاجتماعية ، أو كمصدر للرقابة والسلطة .

أما البيئة خارج المنزل فأهمها بيئة المدرسة ومكان العمل ان وجد ، والأممكة التى يرتادها للترفيه وقضاء وقت الفراغ ، والنواحي الثقافية التى تسود مجتمع

الطفل وتؤثر فيه ، والعادات والتقاليد والمستويات الأخلاقية التي يعيش فيها الطفل في المجتمع المحلي أو المجتمع الأكبر والتي يحتمل أن تكون قد ساعدت على تكوين وتثبيت الاتجاهات المنحرفة ، ويجب أن نضع في الاعتبار هنا أن التوسع أو التعمق في دراسة شخصية العميل أمر يحدده الوزن النسبي للعوامل المختلفة المساهمة في التشرذ أو الجناح .

فاذا أشار الفحص الطبي أن للحالة الصحية دخلا كبيرا في حدوث الانحراف تعمق الإخصائي في التاريخ الصحي للطفل بما فيه من أنواع العلل والنكسات والمضاعفات وما ناله الطفل من عناية وعلاج في كل حالة ، وفي ظل هذه المعلومات تبدو حاجة الطفل إلى العلاج الطبي جلية .

وإذا دلت الاختبارات العقلية على نقص في نسبة ذكاء الطفل عن (٧٠ درجة) أعطى الإخصائي الاجتماعي لهذه الناحية عناية خاصة . وكذلك بحث العمر التحصيلي ، والنسبة التعليمية ، وحاول أن يربط بين الضعف العقلي ومدى استغلاله بواسطة الآخرين الأذكاء بحسره إلى الجريمة ، كذلك يوضح الإخصائي مظاهر الذكاء المحدود في أسرة الحدث . . . الخ .

وإذا كانت المشكلة كما جاء في تقرير الطبيب النفسي نفسية في المقام الأول فلا بد أن يوجه الإخصائي الاجتماعي بحثه ويحاول الحصول على التاريخ الاجتماعي النفسي . وهل هناك شذوذ وراثي أم لا ، وظروف الحمل والولادة ، ثم التدريب على العادات البيولوجية (التغذية والفظام والتبول والتبرز والنوم) والتدريب على الحياء الجنسي وضبط المشاعر العدوانية ، والحرمان من الحب الأمومي ، والموقف الأوديبى ، والصدمات الانفعالية في الطفولة المبكرة ، وكذلك أنواع الصد والحرمان والإذلال التي حدثت في الفترة بين الطفولة .

المبكرة والرشد ، ثم الظروف الاحباطية الأخيرة التي اندلعت في أعقابها الجناح وهكذا نحدد الأسباب الممهدة والمعرزة والمعجلة للانحراف .

وإذا كانت المشكلة اجتماعية في المقام الأول فلا بد من التركيز على نمط معاملة الوالدين للطفل ، أو سوء القدوة ، داخل الأسرة وخارجها ، ومدى انتشار وسائل اللهو الرخيص والخرابات ومدارس النشل وتأثير الكبار والرفاق والعادات والتقاليد الاجرامية المنتشرة في الحي أو في المجتمع بصفة عامة . . الخ ويلتجىء الاخصائى الاجتماعى في دراسة بناء شخصية العميل إلى جميع الأساليب الدراسية المعروفة من مقابلة الحدث وأسرتة في المنزل أو في المؤسسة ، وكذلك مقابلة رفاقه إلى زيارة مدرسته ومحل عمله ، إلى الاتصال بمصادر المعلومات ، إلى الاطلاع على المستندات وما إلى ذلك مما يجده مناسباً لظروف الحالة .

. ويسترشد الاخصائى الاجتماعى في عمله بالتقارير التي يحصل عليها من الاخصائيين الذين فحصوا الحدث كالطبيب البشرى والطبيب النفسى والاختصاصى النفسى وغيرهم .

ومما سبق نرى أن الإنسان كائن معقد يعيش في بيئة معقدة ، لذا نجد أن الشخصية تنمو وتتكون نتيجة تتضافر عدة عوامل داخلية وخارجية . والحياة النفسية ليست من البساطة بحيث يكون تكوينها أو اعتقالها رهناً بحادثة واحدة أو صدمة واحدة ، أو عامل واحد جسمى أو عقلى ، أو وراثى فقط أو بيئى فقط . . . الخ .

ترعى لنا مما سبق نقاط رئيسية في كيفية بناء الشخصية أهمها ما يلي :

(١) أن الشخصية تتكون من تفاعل عوامل بيولوجية مع عوامل اجتماعية والانسان يولد مزود بأنواع شتى من الاستعدادات الوراثية الجسمية والعصبية

والنفسية مثل الذكاء والمواهب والحساسية الانفعالية ، ودرجة الحيوية أو الحمول ، وقدرته على الاحتمال النفسى لضغوط البيئة ... الخ

تفاعل هذه المعطيات الوراثية مع المعطيات البيئية فى شىء من المقاومة فالبيئة ليست حرة مطلقة فى تشكيل الشخصية كما يصنع المثال فى التمثال ، وليست الوراثة حرة مطلقة فى أن تحدد الشخصية بطابع دائم يتكون عند الميلاد وللأبد ، فنحن لا نرث مكونات شخصياتنا كما نرث الثروة من آبائنا وأجدادنا . وإذا كانت الوراثة تحدد الحد الأعلى لقدراتنا ، فإن البيئة تحدد مدى استغلالنا لهذا الحد من القدرة . وإذا كانت الوراثة تلعب الدور الأكبر فى صفاتنا الجسمية والعقلية فإن البيئة تلعب الدور الأكبر فى اكتساب صفاتنا الاجتماعية والخلقية والمعلومات والمهارات والاتجاهات العقلية والقيم والعواطف والميول والعقد النفسية والعادات وغيرها .

(٢) أن الشخصية تتشكل طبقاً لأسلوب الوسائط التربوية فى التنشئة الاجتماعية ، وأهم هذه الوسائط هى الأسرة والمدرسة والعمل والمؤسسة الدينية وبيئة شغل وقت الفراغ وبيئة المجتمع المحلى وبيئة المجتمع العام وما به من وسائل للاعلام وغيرها . وهذه الوسائط التربوية تقوم باعداد الفرد للثقافة التى يعيش فيها ، أى تقسوم بعملية التربية الخلقية والاجتماعية ، والمدرسية والمهنية والدينية حتى يتعلم الفرد الامتثال لمطالب المجتمع وهى عملية مستمرة من المهد إلى اللحد .

ومتى تكون الضمير أى السلطة الخلقية الدخلية للفرد يصبح حاملاً لجزء كبير من المقومات الخلقية والاجتماعية للمجتمع الذى يعيش فيه ، ويتضح الإطار العام لهذا الضمير فى وقت مبكر ، ربما قبل دخوله المدرسة . لذلك برزت الأهمية البالغة للأسرة فى تشكيل شخصية الفرد .

ولا شك أن الشخصية تتأثر إلى حد كبير إذا كان ضمير الفرد مشطط أو غائب أو نائم أو منحرف ينطوى على قيم شاذة .

كما تتأثر الشخصية إذا كانت أسرة الفرد فقيرة أو ميسرة ، محافظة أم مجددة ، مثقفة أو غير مثقفة ، متدينة أو م غير متدينة ، متماسكة أم مفككة ، حانية أم جافية ، مكتظة أم محدودة العدد .

وتتأثر الشخصية إذا كانت ثقافة المجتمع ديمقراطية أو دكتاتورية ، تعاونية أو تنافسية ، مادية أو روحية ، مسالمة أو عدوانية .

فالثقافة تؤثر في نظرتنا للكون ، وفي طريقة تفكيرنا ، وفي تحديد المواقف التي تثير لانفعالاتنا ، وفي وسائل تعبيرنا عن هذه الانفعالات وفي تحديد الانفعالات السائدة عند أغلب الناس ، وفيما نتعلمه من المباح والمحظور والعدل والظلم والحق والباطل وتؤثر فيما تكتسبه من معلومات ومهارات واتجاهات عقلية نحو الناس والأشياء والمبادئ ، وتؤثر في طرق ارضائنا لدوافعنا ، وفي الطرق التي يتبعها الوالدان في تنشئة الأطفال . وما يشوب هذه الطرق من تسامح أو تشدد ، تزمّت أو تراخي . الرضاغة الطبيعية أم الصناعية ، أو يقوم الوالدان بتربية الطفل أو بدائل عنها . . . الخ.

والتنشئة الاجتماعية في ثقافة واحدة لا يجعل الناس متشابهون مثل نسخ الكتابة بالكربون ، ولكن نجد الثقافة تجعل كل شخص منا يشبه جميع الناس من بعض الوجوه ، ويشبه بعض الناس من بعض الوجوه ، ولا يشبه أحدا من الناس في صفات أخرى غير موجودة في الآخرين بنفس الشكل أو بنفس القدر أو مختلفة عن صفات الآخرين من حيث أسباب تكوينها يرغم تشابه مظاهرها .

والسبب في هذا الاختلاف هو تأثير الشخصية بالثقافات الفرعية أى ثقافة الأسرة والمدرسة والمهنة التى يعمل بها الفرد وبيئة قضاء وقت الفراغ ونوعية أصدقائه ، ونوعية وسائل الإعلام فى المجتمع ، بل والبيئة الجغرافية التى نشأ فيها الفرد هل هى بيئة زراعية أم صحراوية ، ساحلية أم جبلية سخية الأمطار أم شحيحة المطر ، غنية أم فقيرة بالغللات الغذائية أو المعادن . . . الخ . فلقد دلت الدراسات الانثروبولوجية مثلا أن قبيلة الأرابش Arapesh فى غينيا الجديدة تعيش فى منطقة جبلية تكفل لهم الأمن من الغزو وتمدهم بما يكفيهم من الطعام ، لذلك ساهم هذا العامل الجغرافى مساهمة فعالة فى جعل الناس يتسمون بالوداعة والمسالمة وروح الصداقة بل يمتتون التنافس والتفاخر والحشونة ، وينبذون الشخص الغيور الطموح الذى يتطلع إلى التملك . أما قبائل الاسكيمو الذين يعيشون فى شبه جزيرة جرينلاند يعيشون فى ظروف جغرافية قاسية عنيفة بحيث لا يقوى على العيش إلا الأقوياء أما الضعيف أو المريض أو العاجز عن كسب قوته فقصيره الهلاك لذا كانت أظهر سمات شخصية الاسكيمو التحدى والتنافس والسيطرة والاعتماد على النفس والقدرة الكبيرة على تحمل المشاق .

وعلاوة على ما سبق تتأثر الشخصية بالدور الاجتماعى والمهنة الذى تتوقعه الثقافة من الفرد ، ومدى انسجام هذه الأدوار أو تصارعها .

مما سبق نرى أن الوراثة تقدم المادة الخام للشخصية وثقافة المجتمع تقدم القيم ومعايير الخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم ، والوسائل التربوية وأهمها الأسرة هى الصانع المكلف بتشكيل المادة الخام حتى يقترب من النموذج الذى ترتضيه الثقافة .

وحبذا لو ساعدت هذه الوسائط التربوية الفرد على أستدماج المعايير الثقافية على غير كره منه ، أو علمته كيف يحافظ على العناصر الثقافية الصالحة وكيف ينبذ العناصر الفاسدة ، وكيف يستقبل القيم الجديدة : خاصة قيم العلم والتكنولوجيا بقلب وعقل مفتوح طالما يسير هذا العلم في ركاب الايمان.

وهكذا نجد أن شخصية الفرد مرآة ينعكس عليها صورة التكوين البيولوجى والعقلى والنفسى للفرد ، وصورة الحضارة التى يعيش فيها ، فالعقل السليم لا يوجد إلا فى جسم سليم ومجتمع سليم .

(٣) ان سمات وخصائص شخصية الانسان تتكون وتنمو نتيجة تغيرات عملية النضج وتغيرات عملية التعلم . والنضج يؤدى إلى تغير صفات الفرد الجسمية والحركية والعقلية والانفعالية بتغير السن أى بدون تدريب وسبب ذلك التطور التشريعى والفسىولوجى فى أجهزة الجسم خاصة الجهاز العصبى أما التعلم فهو تغير خصائص الفرد نتيجة التمرين والتدريب ، فتغيرات الجلوس والمشي والوقوف والجرى تغيرات نضج ، أما العزف على آلة موسيقية نتيجة تعلم .

وتغيرات النضج أساسها الوراثة أصلا ، أما تغيرات التعلم أساسها البيئة ولا شك أن التعلم مبنى على النضج ويكملان . بعضها البعض ، فتقل فترة التدريب كلما زاد النضج ، كما أن التعلم قبل اكتمال النضج لا يؤدى إلا إلى تحسن طفيف ، بل أن الإكراه على التعلم قبل النضج يؤدى إلى أضرار جسمية وعقلية . كما أن التعلم الجيد هو ما بنى على الفترة الحرجة للنضج بلا تبكير ولا تأخير . فأفضل وقت لتعلم القراءة والكتابة مثلا هو عندما يبلغ العمر العقلى ما بين ست سنوات وست سنوات ونصف .

وكما يحدد العمر العقلى فترة النضج الحرجة أو فترة الاستعداد للنضج

٣٠ -

لتعلم المهارات العقلية ، كذلك يحدد العمر التشريحي والعمر الفسيولوجي الاستعداد النصجي لتعلم المهارات الحركية .

ويقاس العمر التشريحي بفحص عظام راسغ اليد بأشعة أكس ، أما العمر الفسيولوجي فيمكن تحديده على أساس فحص المميزات الجنسية الرئيسية والثانوية مثل شعر العانة ودم الطمث ووقت البلوغ وغير ذلك .

ونحن نكتسب سمات الشخصية عن طريق التعلم بأوسع معانيه ، فتعلم سمة الأمانة أو الصدق مثلاً حينما ترتبط الأمانة بمواقف سارة (التعلم الشرطي) وتكف عن السرقة عندما ترتبط السرقة بمواقف مؤلمة . ونتعلم الاشتراكية حينما نقتنع بفائدتها للفرد والمجتمع (التعلم الصيرى) ، ونتعلم السباحة بالممارسة عن طريق المحاولة والخطأ (التعلم بالمحاولة والخطأ) ، وقد نتعلم السباحة عن طريق التقليد اللاشعورى لسلوك شلة الأصدقاء (المحاكاة) وقد نتعلم الرحمة نتيجة (المشاركة الوجدانية) للجاعة التى ينتمى إليها الفرد ، أو نتعلم الأفكار الاشتراكية عن طريق (الايحاء) أو تبنى أفكار الغير بلامناقشة أو روية .

وقد نتعلم عادة التدخين نتيجة (تقمص) شخصية الوالد أو المدرس أو الممثل الذى تعجب به .

وأخيراً قد نتعلم عن طريق (الإحباط) أى عن طريق الإعاقة والفشل والحرمان فتتعلم كيف نتغلب على هذه المشاكل ونستفيد من الخطأ فيكون من بعض الداء الدواء .

(٥) مكونات الشخصية

المكونات هي العناصر المتفاعلة التي يتكون منها الشخصية ، وينبغي على الأخصائي الاجتماعي أن يبين كيف تكونت هذه السمات في ضوء دراسته لبيئة العميل الأسرية والمدرسية والمهنية والمجتمعية كما هو ثابت بالبحث الاجتماعي لشخصية الحدث الجانح السابق شرحه والذي يوضح ديناميكية الشخصية بتفاعل العوامل الذاتية والبيئية وفيما يلي نعرض هذه العناصر منفصلة للتوضيح النظري فقط : -

(١) المكونات الجسمية :

لا شك أن التكوين الجسماني يحدد مدى نشاط الفرد وقدرته على تحمل المجهود ويحدد نظرة الفرد لنفسه ونظرة الآخرين له . والفرد الذي يولد مريض أو مشوه يتطور شخصيته في اتجاهات معينة تخالف الاتجاهات التي تتطور فيها شخصية الفرد السوي ، وأهم هذه المكونات الجسمية ما يلي :

- المظهر الجسمي العام من ناحية الطول والعرض والحجم وتناسق أجزء الجسم .
- سرعة النمو الجسمي أو تأخره .
- الصحة العامة والمرضى .
- سلامة الحواس أو العاهات .
- سلامة الجهاز العصبي والغدي وعمليات الهدم والبناء .
- الحيوية والنشاط أو الخمول والكسل .

(٢) المكونات العقلية :

تتضح المكونات العقلية في بناء الشخصية في النواحي الآتية :-

- الذكاء .
- الاستعدادات العقلية الخاصة (المواهب) .
- المستوى الثقافى العام .
- المستوى الثقافى الخاص .

الذكاء :

المكونات العقلية خاصة الذكاء هي سلاح الشخصية في النجاح الدراسى والمهنى والاجتماعى ومصدر احترام الفرد لنفسه واحترام الغير له وعلو مكانته الاجتماعية بين أترابه . والثقة في نفسه واعتماده على نفسه .

ويظهر أثر الذكاء كما عرفه (ستودارد) في قدرة الفرد في معالجة الأعمال التى تتميز بالصعوبة والتعقيد والتجريد والهادفة والاقتصاد في الفكر والجهد . وبمعنى آخر يظهر أثر الذكاء في ثلاث نواح هامة هي : —

- القدرة على التكيف أى مرونة الشخصية في تغيير السلوك بما يتلائم مع تغير الظروف البيئية .
- القدرة على التعلم وتحصيل المعارف والمهارات والاتجاهات العقلية .
- القدرة على معالجة المخبرات أى الرموز سواء أكانت لفظية أو رقمية أو إشارية .

والذكاء قدرة عقلية فطرية عامة كما عرفه (بيرت) Burt أى أنه استعداد للتفوق في النواحي النظرية أكثر من النواحي العملية الحركية ، وكونه فطرى يشير إلى تأثيره بالوراثة أكثر من البيئة ، وكونه عامل عام

١٠٠ -

أى استعداد يؤثر فى النجاح فى جميع قدرات الانسان وأوجه نشاطه . ولقد دلت البحوث الاحصائية على أن توزيع الذكاء فى بنى الانسان يتبع بصفة عامة المنحنى البياني الجرسى (الاعتيادى) حيث نجد الأغلبية فى وسط المنحنى من العاديين فى الذكاء ثم يتدرج التوزيع على الجانبين إلى أن نجد العباقرة فى طرف وضعاف العقول فى الطرف الآخر .

وطبقاً للدراسات (ترمان) نوضح فيما يلى توزيع الأفراد فى طبقات الذكاء المختلفة :

مراتب الذكاء	نسبة الذكاء	نسبة عدد الأفراد
عبقري	١٤٠ فأكثر	٢٥ %
ذكى جداً	١٢٠ - ١٤٠	٦,٧٥ %
ذكى	١١٠ - ١٢٠	١٣,٠٠ %
عادى أو متوسط الذكاء	٩٠ - ١١٠	٦٠,٠٠ %
غبي	٨٠ - ٩٠	١٣,٠٠ %
غبي جداً	٧٠ - ٨٠	٦,٠٠ %
ضعيف العقل	أقل من ٧٠	١,٠٠ %
		١٠٠,٠٠ %

ويمكننا أن نلمس أثر عامل الذكاء فى الشخصية بوضوح أكثر بدراستنا لشخصية العباقرة - أى من وهبوا كمية كبيرة من الذكاء (نسبة ذكاء ١٤٠ فما فوق طبقاً لترمان) . وكذلك من وهبوا كمية قليلة من الذكاء وهم ضعاف العقول (نسبة ذكاء ٧٠ فأقل) .

ومن أهم الدراسات التى تفيدنا فى دراسة شخصية العبقري تلك التى قام بها

(جولتون) . Golton . (وكاترين كوكس) Ctharine Cox في تتبع مشاهير الرجال ، وكذلك البحث الذي قام به (ترمان) Terman لتتبع حياة (١٤٥٠) طفلاً من أطفال المدارس الأمريكية المختلفة الذين حصلوا على نسبة ذكاء (١٤٠ وأكثر) تجعلهم في مصاف العباقرة وبدأ هذا البحث في سنة ١٩٢٢ ومازال تتبع مستمراً حتى الآن .

وقد أثبتت هذه البحوث عدم صحة الفكرة السائدة وهي أن الأشخاص الموهوبين وذوى العقليات الفذة يكونون ضعيفي الجسم أو عصبيين أو غير ثابتين من الناحية المزاجية . بل أن العكس هو الصحيح حيث أن القوة والصحة الجسمية وكذلك الصفات المزاجية والخلقية في الأذكىاء والعباقرة تفوق تلك التي توجد في الأغبياء وضعاف العقول .

كما أن المصابين بالجنون ونسبة الطلاق في المتزوجين من الأذكىاء والعباقرة أقل منها في العاديين وضعاف العقول .

وما يقال أحياناً من أن هناك صفات مشتركة بين العباقرة ومنهجي النفوس ، مثل شدة الحساسية الانفعالية وضعف التحكم الانفعالي والاسراف في الخيال أمر يفتقر إلى السند العلمي .

وما يلاحظ على العبقرى أحياناً من هذه الصفات فيكون مرجعها إلى ضيقه من النظم التعليمية التي وضعت لتلائم العاديين لا العباقرة ، كذلك ينشأ هذا الضيق والتوتر من فضول الناس وكثرة مراقبتهم وملاحظاتهم للعبقرى من قبيل حب الاستطلاع ، كما يميل البعض إلى مضايقته أحياناً كرد فعل لمشاعر النقص الذي يثيرها العبقرى في نفوسهم مما يجعله نافذ الصبر سريع الانفعال .

أما كثرة السرحان والخيال التي تبدو على العبقرى أحياناً مرجعها إليه للتركيز العقلي الشديد فيما يفكر فيه من مشكلات صعبة .

٤٢ -

ولعل أهم ما يدل على أثر الذكاء في الشخصية ما وجدته ترمان من أن نسبة المشتغلين بأعمال مهنية وراقية بين مجموعته ٥٠٪ ، ٣٠٪ يشتغلون بأعمال قريبة من الراقية ، وهذه النسبة تبلغ ستة أضعاف نسبة الأفراد العاديين .

ومن الثابت أن جميع من وصلوا إلى الشهرة والتفوق كانوا من بين من ظهرت عليهم علامات النبوغ والعبقرية في طفولتهم ، ولكن بعض من أثبتوا الذكاء العالي في طفولتهم اضطرتهم ظروف حياتهم بعد ذلك للاشتغال بأعمال بسيطة لا تحتاج لذكاء رفيع كالأعمال الكتابية مثلا . ومرجع ذلك للاختلافات الفردية بين هؤلاء الأشخاص في مكونات الشخصية الأخرى سواء أكانت مزاجية أو اجتماعية رغم تساويهم مع غيرهم في الذكاء العالي . ومن أمثلة ذلك عدم تساوى الفرص بين الرجال والنساء واضطرار كثير من السيدات للتفرغ للشئون المنزلية مما يمنعهن عن التفوق والشهرة في ميادين الحياة العامة الظاهرة . لهذا يعزى نقص ظهور المشاهير والمتفوقين من النساء في العلم والأدب والفن لعدم توافر الفرص لاعدن وجود المواهب .

وقد وجد (ترمان) أن يرغم تساوى مجموع أفراد مجموعته في الذكاء الرفيع فان النجاح في الحياة الزوجية يختلف بينهم بحسب الاختلاف في التكوين الانفعالى والعادات الخلقية .

وظهر ان عوامل اخرى لازمة للابداع والخلق الذى يعتبر أساس العبقرية وليس مجرد الذكاء الرفيع — ومن أهم هذه العوامل سمات شخصية أهمها : المثابرة والقدرة على الاستمرار في العمل رغم صعوبته والثقة بالنفس ، والقدرة على التركيز الذهني والانتباه الشديد ، والطموح ووضوح الهدف ، والتحرر من الشعور بالنقص والرغبة في التفوق ... الخ

ويرى (هولنجورث) أن المثابرة هى أهم سمات الشخصية التى تظهر

الذكاء الرفيع والذي لا يقل من وجهة نظره عن (نسبة ذكاء ١٨٠ وليس ١٤٠ كما ذكر ترمان) . وأن العبقرية ليست مجرد ذكاء رفيع ، بل عملية خاق وابداع والاتيان بفتح جديد في ميدان التخصص العلمى أو المهنى للعبقرى .

وجود الموهبة الابتكارية شرط ضرورى أيضاً لبلوغ مرتبة العبقرية وهذا الاستعداد الفطرى للتفوق له مجالات وأنواع متعددة مثل الموهبة اللفظية ، والرقمية ، والميكانيكية ، والفنية ، والاجتماعية . الخ .

وعلاوة على ما سبق نجد أن وجود الانفعال الشديد نسبياً يلهب دافع الحاجة للتحصيل والتفوق وهذا الانفعال تابع إما من إعاقة العبقرى عن تحقيق أهدافه فى نواحى تفوقه ، أو من الصراع النفسى الذى يمر به العبقرى من جراء ميله إلى تصديق من سبوه من العلماء الكبار ، وميله إلى معارضتهم ومخالفتهم فى النواحى الجديدة الأخرى التى تكشفته له .

ومن أمثلة المعوقات التى لاقاها العباقرة قبل الوصول إلى اكتشافاتهم العالم بسكال (Pascal) الذى حرمه أبوه من كتب الرياضة حتى يتفرغ للدراسة اللاتينية والاعريقية ، ولكن بسكال عصى وتمرد وتعذب حتى تمكن سرّاً من أن يكون لنفسه نوعاً خاصاً من القواعد الهندسية أمكن بواسطتها من أن يدرس النظريات الهندسية الاقليدية حتى نظرية (٣٢) .

ولقد لاقى أيضاً فرادى (Faraday) من المشقة الكثير حتى أرغم على ترك المداسة فى سن (١٣) عاماً واشتغل صبيّاً فى مصنع لتجليد الكتب ، وميله الشديد للعلوم خاصة الكهرباء كان يدفعه للاستغراق فى قراءة الكتب العلمية فى الكهرباء التى كان يقوم بتجليدها ، وظل على هذا الحال سنتين إلى أن ساقط الظروف له شخصية كبيرة حانية شجعت وشدت من أزره

٤٤ -

هو (السير همفري دافى) Humphrey Davy ونتيجة هذا التوجيه والإرشاد ظهرت عبقرية فرادى واكتشافاته فى عالم الكهرباء .

وفى كلمة نقول إن :

العبقرية = ذكاء رفيع + موهبة + سمات شخصية أهمها المثابرة والطموح .
+ انفعال شديد يلهب الحاجة للاختراع + ظروف بيئية مواتية
خاصة لو تبنى العبقرى مثل أعلى .

والعبقرية ليست مجرد ذكاء رفيع بل عملية ابداع وخلق أو اكتشاف
تركيبه جديدة من عناصر موجودة من قبل تدفع بالعلم والتكنولوجيا قدما
للأمام .

أما شخصية ضعيف العقل فهي شخصية عاجزة قاصرة عن التعليم الدراسى
والمهنى والتكيف للمواقف البيئية الجديدة نظرا لنقص ذكائه ، فالمعتوه
مثلا وهو أدنى طبقات الضعف العقلى لا يزيد عمره العقلى عن ثلاث سنوات
مهما بلغ عمره الزمنى ونسبة ذكائه (٢٥) فما دون ، وهو غير قادر على حياة
نفسه من الخطر وحظر على غيره . وغير قادر على التفاهم مع غيره لغويا
وعاجز عن التعلم لذلك يجب عزله ورعايته فى مستعمرات خاصة .

أما الأبله وهو من يبلغ نسبة ذكائه من (٢٥ - ٥٠) فلا يزيد عمره
العقلى عن سبع سنوات مهما كان عمره الزمنى (عمره العقلى من ٣ سنوات حتى
٧ سنوات) وهو عاجز عن الارتزاق وتعلم القراءة والكتابة ولكن مع التدريب
يمكن أن يحصى نفسه من المخاطر ، ويجب عزله ورعايته فى مستعمرات خاصة
أيضاً .

أما المورون وهو أعلى طبقات الضعف العقلى ، هو من تبلغ نسبة ذكائه
من (٥٠ إلى ٧٠) وعمره العقلى يتراوح من (٧ سنوات حتى ٩ سنوات)

مهما كان عمره الزمني وبالتدريب يمكن أن يتعلم القراءة. والكتابة حتى مستوى السنة الثانية أو الثالثة الابتدائية ولكن في مدارس خاصة وبطريقة خاصة تعتمد على المشاهدات الحسية أكثر من معالجة المجردات، وتسمى هذه المدارس بمدارس التربية الفكرية . ويستطيع المورون أن يحمي نفسه من الأخطار وكذلك يستطيع الارتزاق بتعلم عمل روتيني حركي مثل الحمل والجري والتعبئة أو بعض أعمال النظافة وما إلى ذلك.

: الاستعدادات العقلية الخاصة (المواهب) Special Aptitudes :

• **الموهبة** معناها الاستعداد الفطري الكامن لدى الفرد الذي يمكنه من النجاح والتفوق في مجال معين إذا توفر له التدريب اللازم مثل الموهبة اللفظية أو العددية أو الفنية ... الخ .

أما **القدرة** Ability هي الاستعداد الفطري أو المكتسب الذي يمكن الفرد من النجاح والتفوق في مجال معين في اللحظة الراهنة سواء قبل التدريب (فطري) أو بعد التدريب (مكتسب) . ومعنى ذلك أن القدرة قد تكون فطرية مثل القدرة اللفظية أو الفنية ، أو تكون مكتسبة مثل القدرة على الضرب على الآلة الكاتبة . أو العزف على آلة موسيقية ... الخ . وعلى ذلك تكون كل موهبة قدرة ، ولكن ليس كل قدرة موهبة . ويلاحظ أنه من الجائز أن يكون لدى الشخص استعداد قوى في ناحية معينة ولكنه لا يستغل هذا الاستعداد لأن البيئة لم تهيء له الفرصة للاستفادة والانتفاع به فيكون عنده الاستعداد (الموهبة) ولا توجد عنده القدرة .

وأهم المواهب هي ما يلي :

١ — الموهبة اللغوية (V.) Verbal Aptitude

٢ — الموهبة العددية (N.) Numerical Aptitude

- ٣ - الموهبة الميكانيكية (M.) Mechanical
 ٤ - الموهبة الفنية (A) Artistic Aptitude
 ٥ - الموهبة الموسيقية " Musical
 ٦ - الموهبة الكتابية " Clerical
 ٧ - الموهبة البدنية الحركية Physical & Motor Aptitude
 ٨ - موهبة التفكير المنطقي (R) Reasoning
 ٩ - موهبة الذاكرة " Memory
 ١٠ - موهبة الإدراك السليم (P) Perceptual
 ١١ - الموهبة الاجتماعية " Social
 ١٢ - موهبة القصور الذاتي السريع " Perseveration
 ١٣ - الموهبة الأكاديمية " Academic

(١) الموهبة اللفظية (اللغوية) وهى تبدو فى سرعة ودقة فهم الألفاظ والحمل وسهولة التعبير الشفوى والتحريرى اللغوى ، ومدى فصاحة الفرد وما عنده من ثروة لغوية وحسن استخدامها . وهذه الموهبة مهمة للنجاح فى مهنة التدريس والوعظ والمحاماة وغيرها .

(٢) الموهبة العددية : وتبدو فى قدرة الفرد على اجراء العمليات والمسائل الحسابية والتفكير الحسابى فى سهولة ودقة وسرعة ، وهذه الموهبة مهمة للنجاح فى تدريس مادة الرياضة والاحصاء وغيرها .

(٣) الموهبة الميكانيكية : وتبدو فى قدرة الفرد على فك وتركيب وفهم العلاقة بين أجزاء آلات سهلة وشائعة فى البيئة التى يعيش فيها مثل جرسى الدراجة ، مزلاج الباب ، طبله الباب ، مصيدة الفيران ، مفرمة اللحمه ، أجزاء النورج أو الساقية (عند اعطاء نموذج مصغر من النورج

أو الساقية وغيرها . والقدرة الميكانيكية مركبة عدة قدرات أهمها التصور البصرى Visualization ومعناه القدرة على تصور ما ستؤول إليه وضع آلة معينة بعد دورانها في جهة خاصة أو بزاوية خاصة . وفي الغالب يعطى للمفحوص صورة الآلة مرسومة على ورقة ثم يطلب منه تحديد ما ستؤول إليه وضع الآلة بعد دورانها إلى اليمين أو الشمال . . . الخ .

وكذلك القدرة على إدراك العلاقات المكانية Spatial Perception

وتبدو في قدرة الفرد على تقدير المساحات والحجوم والمسافات والأشكال وكذلك تجميع شكل معين من أجزائه المتناثرة وملاحظة ما بين الأشياء من تشابه أو اختلاف .

والقدرة على معرفة المعلومات الميكانيكية Mechanical Information وتبدو في إلمام الفرد بالأدوات الميكانيكية السهلة الشائعة في المهن المختلفة في بيئة الفرد مثل بعض أدوات النجار والحداد والكهربائي وغيرها .

ثم اللياقة البدنية والرشاقة الأصعبية وتبدو في سهولة وسرعة ودقة استخدام الأيدي والأصابع ، وفي اتزان وثبات الأيدي في حركتها وفي التقاط الأشياء . والموهبة الميكانيكية مهمة للنجاح في المهن الهندسية وبالنسبة للصناع المهرة . وجدير بالذكر أن موهبة التصور البصرى قد اكتشفها العالم النفسى المصرى الدكتور عبد العزيز القوصى مستخدماً طريقة التحليل العاملى الاحصائية وأثبت مدى أهميتها البالغة للنجاح في الهندسة . وهى عامل أساسى في اختبارات القدرات العقلية التى تستخدم في انتقاء أصحاب الطلاب المستجدين في كليات الهندسة في جميع انحاء العالم ، ومع ذلك وبكل أسف وأسى وألم لا نستخدم ولا نهتم بهذه القدرات في عملية التنسيق بعد الثانوية العامة وكم يتشدد المسئولون بعبارة محفظة « ليس هناك بديل عادل لمجموع الدرجات في

الثانوية العامة » وبذلك اكتسب مجموع الدرجات هالة ضخمة هولت من حجمه كثيراً وهونت من المواهب والميول وكلها مجتمعة مع مجموع الدرجات عوامل مترابطة مسئولة عن النجاح في أى كلية دراسية ، وترتب على ذلك أن تضخم الخوف من المجموع تضخماً سرطانياً خبيثاً وخر كثير من فلذات أكبادنا صرعى وتهاوت صحتهم النفسية تحت ضربات عقدة المجموع وعصاب الثانوية العامة !!

(٤) الموهبة الفنية : وتبدو في قدرة الفرد على معالجة العناصر الجمالية بنجاح ، كالقدرة على اكتشاف عناصر الجمال والقبح في صور معينة، أى إصدار حكم جمالى سليم Acsthetic Appreciation ، وكذلك القدرة على النحت والرسم أو الزخرفة مع مراعاة تناسب المساحات والأحجام والظلال والألوان والبعد والقرب والشكل والأرضية وغيرها مما يعكس تدوق الجمال وتقدير الجمال وخلق الجمال .

(٥) الموهبة الموسيقية : وتبدو في القدرة على النقد وتقدير جمال القطع الموسيقية ، وتمييز النغمات من حيث تردداتها وذبذبتها ، وتذكر الأنغام ، وتحديد المسافات الزمنية بين الأنغام ، وتمييز شدة الصوت من حيث الارتفاع والانخفاض ، وتعرف الإيقاع ، والتمييز بين المجموعات المتوافقة من الأنغام، ومن أشهر اختبارات هذه الموهبة هو اختبار (سيشور) المسجل على اسطوانات الفونوغراف .

(٦) الموهبة الكتابية : وتبدو في حسن الترتيب والتصنيف وتبويب وتنسيق الأشياء ، وسرعة الكتابة وحسن الخط ، والدقة والسرعة في نقل الأرقام من الجداول ، والدقة والسرعة في إجراء العمليات الحسابية البسيطة والصبر على احتمال العمل الآلى الرتيب .

وتتفوق البنات على البنين في هذه الموهبة وكذلك في الموهبة اللفظية ،
بينما يتفوق البنين في الموهبة الرقمية والميكانيكية .

(٧) الموهبة البدنية والحركية والحسية : وتبدو في الكفاية
الرياضية العامة والتنظيم الدقيق للنشاط الجسمي . وهي قدرة مركبة تتكون
من :

- (١) اللياقة البدنية وتبدو في القوة والسرعة والجلد والرشاقة والسعة
الحيوية (كفاءة الجهاز التنفسي في بذل المجهود الجسمي) .
- (٢) المهارة الحركية Motor Skills وتبدو في القدرة على اكتساب
بعض الألعاب الرياضية مثل الجمباز أو السباحة وغيرها .
- (٣) الاتزان الحركي Motor Steadiness وتبدو في الأداء الحركي
الثابت الدقيق خصوصاً في حركات الدوران والمرجحة والشقبة
وغیرها .
- (٤) المهارة اليدوية Manual Steadiness كما تظهر في استعمال اليد
بسرعة ودقة وسهولة كما عند الصنّاع والمثاليين المهرة .
- (٥) مهارة الأصابع Finger Dexterity وتبدو في استخدام الأصابع
في سهولة وسرعة ودقة كما في التقاط الكرة وتميرها بكفاءة وتظهر
في أشغال الإبرة والرسم والعزف على الآلات الموسيقية وغيرها .
- (٦) التوافق بين اليد والعين ، أو القدم والعين كما تبدو في التقاط الكرة
وتمريرها وتصويب الكرة بالقدم بسرعة ودقة وتظهر أيضاً في
الرسم والكتابة .
- (٧) الموهبة السمعية البصرية (Andio - Vusual Ability) وتبدو
في حدة السمع والبصر وهي مهمة للنجاح في النشاط المدرسي
والمهني وغيرها .

ونفاس حدة السمع بحاكي أو فونوغراف متصل بساعة توضع على الأذن وتلى أرقام وألفاظ وجمل بأصوات مختلفة لرجال ونساء وأطفال ثم تنخفض تدريجياً حتى يصعب على الأذن العادية سماعها ويكتب الشخص ما يسمعه .

أما حدة البصر فتقاس باللوحة المعروفة ، أما اكتشاف عمى الألوان (ضعف القدرة على تمييز الألوان) وعشى الليل (ضعف القدرة في الضوء الضعيف) يمكن اكتشاف ذلك بقراءة أرقام مرسومة بألوان مماثل للون الذي تحته على قرص من الورق في دائرة متداخلة الألوان ويقدم للمفحوص لقراءتها في الضوء العادي والضعيف .

(٨) موهبة التفكير المنطقي :

وتتضمن القدرة على ذكر الأسباب أو التعليل ، والاستقراء أى الخروج بقاعدة معينة تربط بين عدة أمثلة أو أفكار ، والقدرة على الاستنباط أى استخلاص علاقات جديدة من قاعدة معروفة سلفاً .

وبصفة عامة تضم هذه القدرة إلى ما يلي :

أ - القدرة على التصميم أى رسم الخطط ووضع المشروعات

ب - القدرة المنطقية في الاستقراء والاستنباط والتعليل .

ج - القدرة على الفصل أى الحكم في المواقف المختلفة .

(٩) موهبة الذاكرة :

وتبدو في قدرة الفرد على استرجاع المواد المحفوظة أو التعرف عليها .

وموهبة الذاكرة مركبة تتكون من : -

أ - الذاكرة القديمة والحديثة وتبدو في تذكر الخبرات الماضية والحاضرة (تقسيم للذاكرة مبنى على عامل الوقت) .

ب - الذاكرة البصرية أو السمعية أو اللمسية (التقسيم مبنى على المصدر الحسى)

ج — ذاكرة الألفاظ والأرقام والوجوه والصور وغيرها (التقسيم مبنى على المادة المراد تذكرها).

(١٠) الموهبة الإدراكية :

وتبدو في سرعة تعرف الشخص على أوجه الشبه والاختلاف بين عدة أشياء أو رسوم وكذلك معرفة الجزء الناقص في شيء ما أو رسم ما .
وهذه الموهبة هي أساس قوة الملاحظة .

(١١) الموهبة الاجتماعية :

وهي استعداد الفرد لفهم الناس والتأثير فيهم والتعامل معهم بنجاح وحل مشاكلهم وتنظيم جهودهم نحو الأهداف المشتركة .
وهذه الموهبة أساس النجاح في مهنة الخدمة الاجتماعية والتوجيه والعلاج النفسى .

(١٢) موهبة سرعة القصور الذاتى :

وتبدو في استعداد الفرد لسرعة إنهاء النشاط الفكرى أو الحسى أو الإنفعالى أو الحركى إذا انتهت مؤثرات هذا النشاط .
والأشخاص الذين يصعب عليهم إنهاء فكرة أو مؤثر عاطفى أو نشاط حركى يشغلهم بعد زوال أسبابه نجد حياتهم مؤلة .

(١٣) الموهبة الأكاديمية :

وهذه القدرة تشمل عوامل فطرية ومكتسبة ، وتستخدم اختبارات هذه القدرة في انتقاء الطلاب المستجدين في الكليات المختلفة .

فمثلا اختبارات الموهبة الأكاديمية الطبية .تشتمل على اختبارات تقيس الذكاء والتفكير المنطقى والتذكر البصرى بالإضافة إلى اختبارات تتصل

بمعلومات مكتسبة ضرورية للنجاح في مهنة الطب مثل الطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء .

واختبارات الموهبة الأكاديمية الهندسية تشتمل على اختبار للذكاء والموهبة الرقمية والتصور البصري والموهبة الميكانيكية ، بجانب اختبارات تحصيلية في مواد لازمة للنجاح في كلية الهندسة مثل الرياضة بأنواعها ، والطبيعة والكيمياء ، وتسمى مجموعة الاختبارات مجتمعة بالبطارية .

القدرة الثقافية المكتسبة العامة والخاصة :

القدرة الثقافية العامة تتصل بمستوى استيعاب الفرد للمعلومات الشائعة في بيئته في مجالات متعددة ومن مصادر متعددة ، أما القدرة الثقافية الخاصة فتحدد بمجال واحد مثل الثقافة النظرية ، أو الثقافة الاقتصادية ، أو الثقافة الفنية . . . الخ .

والمستوى الثقافي العام يشمل أنواع مختلفة من الثقافات الخاصة يستخلص من مصادر متعددة مثل الأسرة والمدرسة والنادي ودار العبادة ومن جماعة الأصدقاء ومن وسائل الإعلام وغيرها . ولا شك أن الشخصية ذات المستوى الرفيع في الثقافة العامة شخصية غنية مثل دائرة المعارف العامة قادرة على التجاوب والتكيف مع هبات مختلفة وأوساط مختلفة وأنماط مختلفة من الشخصيات الأخرى ، والمستوى الثقافي العام مهم في شغل الوظائف القيادية المختلفة .

كما نلاحظ ، أن نظرة الفرد للحياة وعلاقته مع الغير يتأثر بمدى اتساع وعمق مستواه الثقافي الخاص ، فالشخصية التي يغلب عليها الثقافة النظرية يغلب عليها النزعة المعرفية وتهتم بالبحث عن الحقيقة ، وصاحبها

يرى أن السعادة في الدنيا تتجلى في البحث عن الحقيقة الموضوعية والنظرة العلمية في حل المشاكل .

أما صاحب الشخصية الذي يغلب عليها الثقافة الاقتصادية فتغلب على نظره للحياة النظرة النفعية ويهتم بجمع المال قبل أي شيء آخر، ويبني علاقته مع الناس على أساس مدى ما يستفيدة منهم، ولا يهتم بالمعارف والمعلومات أو حب الناس وما شاكل ذلك . وصاحب الشخصية التي يغلب عليها الثقافة الفنية . يهتم بالحصول على كل ما هو جميل سواء في المجال المادى أو البشرى . ومغرم بالرشاقة والتنسيق والنظام والنظافة والترتيب وهو غالباً مرهف الحس ويغلب عليه حياة التأمل وحب العزلة .

وصاحب الشخصية التي يغلب عليها الثقافة الاجتماعية يهتم أساساً بحب الناس عطوفاً محباً للخير بعيداً عن الأنانية ولا يعجبه التزعات المادية .

وصاحب الشخصية التي يغلب عليها الثقافة الدينية يهتم أساساً بالتفكير في عظمة الخالق والتعمق في الدين والحرص على إقامة الشعائر والطقوس الدينية ويرى أن السعادة في الدنيا تتلخص في رضا الله والسعى لتحقيق العدل والحق والخير والسلام .

وصاحب الشخصية التي يغلب عليها الثقافة السياسية فيهتم أساساً بالقوة والسيطرة وتحريك الغير وفق الإرادة، ويرى أنه لا يوجد مفتاح آخر لحل أغلب المشاكل سوى القوة في كل صورها سواء قوة الحجة أو قوة السلاح أو القوة الجسدية أو قوة المال أو قوة العائلة أو الطبقة وما إلى ذلك .

ويلاحظ أن المظاهر السابقة تنطبق على الجالات المتطرفة أما معظم الناس فهم خليط من هذه الأنواع كلها . كما يجب أن تضع في الاعتبار أن الشخصية

١٤٠

لا يحددها العامل الثقافي العام أو الخاص فقط ولكن يحددها عدة عوامل متفاعلة عقلية وجسدية وانفعالية واجتماعية .

(٤) المكونات الانفعالية :

المقصود بالانفعال — بصفة عامة — هو حالة التوتر في الكائن الحي المصحوب بتغيرات فسيولوجية داخلية وتغيرات حركية أولفظية خارجية وتزداد شدة التوتر أو الانفعال كلما تعرض الفرد لمنبهات مفاجئة لم يستعد لها بنمط معين من الاستجابة ، وكذلك المواقف التي يزداد فيها الخطر على ذاته الحسية والنفسية ، أو عند تحقيق الأهداف الجوهرية ، أو عند إثارة الدوافع كدافع الحرب المصحوب بالخوف ، أو دافع المقاتلة المصحوب بالغضب . أو عند إشباع الدوافع كما يحدث للفرد الجائع عند حصوله على طعام بشهي .

والانفعالات إما سارة أو مؤلمة كالفرح والحزن ، أو بسيطة ومركبة كالغضب أو الغيرة ، والغيرة انفعال مركب يتضمن حب تملك المحبوب ، والغضب من المشاركة في موضوع الحب ، والخوف من فقد موضوع الحب وكذلك القلق انفعال مركب من الخوف والضيق وتوقع الشر والقبح . أما الخوف بمفرده فهو انفعال بسيط .

والمواقف التي يتكرر ارتباطها بالسرور ينتج عنها عاطفة الحب ، والمواقف التي يتكرر ارتباطها بالألم ينتج عنها عاطفة الكره .

وتتبلور العواطف حول الأشياء كمعاطفة حب الوطن وحول الأشخاص كحب الخطيب لخطبته ، وحول المبادئ والأفكار كحب الاشتراكية والحرية والوحدة .

والعواطف إما مادية أو معنوية ، فحب نوع من الطعام عاطفة مادية أما حب الأفكار والمعتقدات أو حب العدل والحق والخير عواطف معنوية .

وحيثما تزداد الشحنات الانفعالية في عاطفة الحب زيادة كبيرة مسرفة تنقلب إلى هوى passion ، الذى يجعل اهتمام الفرد مركزا في المحبوب دون سواه . فيصبح شارد الذهن مشتبك الفكر في دراسته وعمله وعلاقته مع أصدقائه ويضطرب نشاطه الذهني والحركي والحسي .

وكثيرا ما يرتبط الهوى بالتعصب أو التحيز Prejudice سواء في الكراهية أو الحبس ، وهو اتجاه عقلي جامد يصعب تغييره بالمنطق المستقيم ولا يقبل صاحبه - غالبا - الأدلة على الخطأ . وهنا يفقد الفرد ارادته ويصبح ألعوبة في يد موضوع الحب ، لا يرى فيه إلا المحاسن . ولا يقتنع أن به عيب واحد مهما كانت أدلة هذا العيب ، وكلما زادت قسوة المحبوب وهجرانه زاد خضوع الفرد وهوانه حتى يصبح ذليلا مستعبدا (كالنعجة الذبيحة التي تقول لخزارها احترس حتى لا ينجرح أصبعك) . والسبب في ذلك أن العاطفة تتكون في المقام الأول نتيجة ارتباط شرطى غير منطقي ، وهذا يحدث حينما يتكرر اقتران موضوع الحب بمنبهات صناعية متعددة في أماكن لقاء المحبوب وزمان هذا اللقاء . وحينما يتعرض الفرد لهذه المنبهات الصناعية المكانية والزمانية يستجيب استجابة لا إرادية غير مسبوقة بروية وتفكير سابق للفعل . وقد عمّا استطاع العالم الروسى (بافلوف) أن يجعل الكلب يسيل لعابه حين سماع جرس أو رؤية مصباح كهربى (منبه صناعى) ، وهذا الضوء أو الجرس سبق تكرار اقترانه بطعام الكلب (منبه طبيعى) وبالقطع ليست هناك علاقة منطقية بين طعام الكلب والجرس أو الضوء . أو بين الجرس والضوء وبين سيل لعاب الكلب . وهذا هو السبب في تصادم التفكير المنطقي مع العاطفة المتضخمة حباً كانت أو كرها . وهذا ما يعبر عنه في اللغة الدارجة بصراع القلب (منبت العواطف) والعقل (منبت التفكير المنطقي) . أو الشاعر - جراح القلوب - الذى يصف القلب المتقلب الذى يحكم ويتحكم رغم العقل والارادة .

وتتضخم العواطف أو المبالغة الانفعالية يرتبط بتفكك السلوك. وهزيمة الإرادة الانسانية ، وهذا هو السبب في قول علماء النفس أن الانفعال (خادم مطيع وسيد مسيء). وإذا كان الاشباع العاطفي أو الحرمان العاطفي المبالغ فيه نقمة ، فإن الاشباع العاطفي أو الحرمان العاطفي المعتدل نعمة . تماماً كتناول الطعام إذا بالغ الفرد في تناوله يؤدي للتخمة ، وإذا زاد الجوع أصيب الفرد بانيميا ، والحرمان المعتدل في الأكل كما في صوم رمضان مثلاً يريح المعدة ويزيد من درجة تحمل الفرد للجوع ومقاومة شهواته الغذائية .

ولولا المقاومة الجسمية والمعنوية ما كانت الإرادة ، ولولا الإرادة ما كانت الشخصية القوية ، ولولا الشخصية القوية ما كانت الصحة النفسية والحياة بدون تبادل عاطفة المحبة تصبح تعيسة موحشة كالصحراء الجرداء الحالية من الماء الذي يهب الحياة حتى لعود واحد أخضر !!

ولقد اتفقت جميع مدارس علم النفس على أن الطفل قد يعاني من الفقر والقدوة السيئة ولقطاع التعليم وغير ذلك من المصاعب والظروف المهيئة للانحراف النفسي دون أن ينحرف نفسياً مادام الحب يسود الأسرة ويجمع بين الوالدين وبينه وبينها . (وكذلك الحال في الحياة الزوجية وجميع مجالات الحياة الهامة) .

فالحب حاجة نفسية رئيسية تدفع الإنسان على أن يتعلق بسواه وحاجة أزلية إلى أن يتعلق بسواه به ، وكثيراً ما كشف البحث النفسي لمن أنهارت صحتهم النفسية وتفككت شخصياتهم. أو ناصبوا المجتمع العداء عن افتقارهم

إلى الشعور بأن هناك من يحبهم ويعني بهم وعجزهم عن بذل العاطفة وتبادلها مع الآخرين .

ان العملة التي يعرفها الطفل في عائلته هي التي سوف يتعامل بها فيما بعد مع المجتمع . والطفل الذي عومل في قسوة وصرامة فلم يتدثر قلبه بدفء عاطفة الحب والحنان سوف تنجمد عواطفه وتتبلج مشاعره ، ولن يشب في مستقبل حياته إلا انسانا متحجر الفؤاد فظا غليظ القلب ، لا يعرف الرحمة فإن احدا لم يعلمه اياها !!

والتوافق بين العواطف المادية والمعنوية يلعب دورا رئيسياً في النجاح الاجتماعي وتكامل الشخصية والصحة النفسية ، وهنا يستطيع الفرد أن يشبع حبه للمال أو الجنس أو الغذاء أو الأشياء مثلاً بما لا يتعارض مع عواطفه المعنوية مثل حبه لله وحبه للناس وحبه للحق والخير والعدل ، أما إذا حدث شطط ومبالغة في العواطف المادية أو المعنوية طغى نوع على آخر ومالت الشخصية والصحة النفسية للتفكك وساء التكيف الذاتي والاجتماعي للفرد .

ومن المكونات الانفعالية المكتسبة أيضاً — بجانب العواطف — العقد النفسية (Complex) وهي تنظيمات انفعالية مؤلفة لا شعورية . أي لا يفتن الفرد إلى وجودها ولا يدرك صلتها بسلوكه . وفيها يندفع الفرد إلى سلوك شاذ على غير إرادته وتلقائياً بدون تفكير مسبق على الفعل ، وتنشأ هذه العقد النفسية — في المقام الأول — من صراع عنيف مكبوت خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة .

وتسمى العقد باسم الانفعال الغالب فيها مثل عقدة الذنب وعقدة النقص وعقدة الغيرة ، أو باسم الموضوع الذي تركز حوله ، مثل عقدة الأم وعقدة الأب ... الخ .

= ٨ =

ومن أمثلة العقد النفسية عقدة النقص (Inferiority Complex) ومن أعراضها الزدو الشديد والتظاهر بالشجاعة أو تكاف الوقار والميل الشديد لاسترعاء اهتمام الغير عن طريق التفاخر والتباهى والاختلاق أو عدم الاحتشام فى الملبس أو الكلام أو المشى .

وعقدة الأب (Father Complex) ومن أهم أعراضها التصادم مع السلطة فى كل صورها سواء أكانت السلطة الأسرية أو المدرسية أو المهنية أو القانون بوجه عام . وعقدة الأم (Mother Complex) ومن أعراضها الاتكال والالتصاق المسرف بالغير من ذوى السلطة ، والحب الاستحواذى الذى يأخذ ولا يعطى .

وعقدة أوديب (Oedipus Complex) - بالنسبة للرجل - ومن أهم أعراضها العجز الجنسى (العنه) . وحب النساء الأكبر من الفرد سنا والميل الشديد نحو المعاملة الأمومية من جانب الزوجة . وعقدة الكترا Electra - بالنسبة للمرأة - ومن أهم أعراضها البرود الجنسى . وحب الرجال كبار السن ، والميل الحارف نحو المعاملة الأبوية من جانب الزوج .

وعقدة الذنب Guilt Complex وتبدو فى الدافع القهبرى لدى الفرد لعقاب الذات عن معاصيه الموهومة للتخلص من عذاب الضمير وقد بعض الفرد أنامله حتى تدمى أو يهمل واجباته المدرسية أو يرتكب ما يضر بسمعته أو لا ينتهز فرص الترقى أو يكثر الصدام بسيارته رغم مهارته فى القيادة الخ .

ومن المكونات الانفعالية المكتسبة أيضاً الاتجاهات العقلية Mental Attitude والاتجاه : استعداد نفسى مكتسب ثابت نسبياً لدى الفرد يتضمن حكماً اما بالقبول أو الرفض أو التجاهل نحو فكرة أو شىء أو فرد أو جماعة من الناس .

ومن أمثلة ذلك الاتجاه العقلي نحو تعليم البنت أو عدم تعليمها ، أو نحو عمل المرأة أو بقائها في البيت ، أو نحو تنظيم النسل ، أو نحو مجازاة الموضة أو فض غشاء البكارة بالأصبع ، أو ختان البنات ، أو نحو المعيشة في المدن أو الريف ، أو اتجاه الأبيض نحو الرجل الأسود ، أو اتجاه الأهلوى نحو الزمكاوى . . . الخ .

وكل اتجاه يهدف إلى قيمة معينة Value فالاتجاه الإيجابي نحو الطقوس الروحية مثل الصلاة والحج والزكاة يهدف لتأكيد قيمة الدين . ورفض فكرة اللاعب الحشن والتحليل على القانون لإحراز النصر الرياضي يؤكد قيمة الروح الرياضية وهكذا .

والاتجاهات العقلية السلبية جامدة لا تتغير على أساس المنطق أو شهادة الواقع وتصبح شخصية الفرد متحيزة متعصبة مندفعة اندفاعاً أعمى لكرهية الفرد أو الجماعة التي تتعصب ضدها . لذلك نجد موجات العدوان العارمة في الملاعب الرياضية ، وفي التمييز العنصرى والدينى والطائفى والطبقى .

وقد دلت الأبحاث على أن الأشخاص الذين يظهرون اتجاهات عقلية مطلقة في أى من الطرفين (قبول تام ثابت أو رفض تام ثابت) نحو موضوع معين يتصفون بالانفعالية الشديدة وسرعة الحكم والمبالغة في تقدير مواهبهم والثقة بأنفسهم . بينما الأشخاص المعتدلين في أحكامهم والذين يميلون نحو الأخذ بأواسط الأمور تتميز شخصياتهم بالانفعالية المعتدلة والروى في أحكامهم والاعتدال في تقدير مواهبهم والاتزان في ثقتهم بأنفسهم .

أما الأشخاص المتقلبين في اتجاهاتهم العقلية تقلباً شديداً يكونون غالباً من ذوى الشخصيات العصبية غير الناضجين انفعالياً .

وكلما كانت فلسفة الفرد أو نظره للحياة تؤكد القيم المادية والروحية

معا بلا طغيان نوع على الآخر كلما. تضافرت اتجاهاته العقلية وتكاملت شخصيته وصحته النفسية . وكلما طغت القيم المادية على الروحية ساء توافق الفرد الاجتماعى واضطربت شخصيته وصحته النفسية .

ومن المكونات الانفعالية للشخصية بخلاف ما سبق الميول (Interests) وهو التعلق الواضح بشيء معين والاستمرار فى الاهتمام به ، وغالباً مايكون موضوع الاهتمام دراسة معينة ، أو مهنة ، أو هواية مثل الميل للدراسة المواد التجارية أو الصناعية أو الزراعية ، أو الأكاديمية ، أو الميل نحو مهنة الطب أو المحاماة ، أو هواية الصيد أو القراءة أو جمع الطوابع البريدية . . الخ . وتلعب الميول دوراً كبيراً فى الاختيار والتوجيه المهني والتعليمي وهى قرارات مصيرية . فى حياة الفرد .

ومن أشهر اختبارات الميول : اختبار سترونج Strong Vocational

Interettes واختبار كودر Kuder Interest Blanc

والميول نحو شخص أو شيء أو فكرة تتضمن الترحيب بهذه الموضوعات وحب هذه الموضوعات ، لذلك يرى كثير من الكتاب وضع الميول مع المكونات الانفعالية للشخصية ، كذلك يميلون إلى قصر موضوعات الميول على أوجه النشاط مثل النشاط الرياضى والفنى والثقافى والاجتماعى والدينى والترويحى والمهنى .

وتختلف الميول بحسب السن والجنس والحضارة . ومن الملاحظ أن البنين يميلون إلى الألعاب العنيفة والمغامرات وقراءة سير الأبطال والمستكشفين ، فى حين أن البنات يملن إلى الفنون المنزلية والأعمال الفنية والاجتماعية والألعاب الهادئة وقراءة القصص الغرامية .

والميل لها من القوة في توجيه الفكر والشعور والعمل كما للاتجاه العقلى .

والمزاج Temperament من المكونات الانفعالية الهامة في الشخصية ، ويقصد بالمزاج مجموع الصفات التي تميز انفعالات الفرد عن غيره ، ويتضح المزاج في النواحي التالية :

(١) درجة تأثير الفرد بالمواقف التي تثير الانفعال : من حيث مدة الانفعال وسرعة الانفعال .

(٢) نوع الاستجابة الانفعالية : من ناحية قوتها وضعفها .

(٣) ثبات الحالة المزاجية أو تقلبها .

الحالة المزاجية (Mood) هي حالة انفعالية خفيفة تتضمن المرح أو الانقباض لعدة أيام أو أسابيع ، وإذا استمر الفرد أثناءها انطلق الانفعال الغالب في الحالة (مرح أو انقباض) بعنف .

(٤) الحالة المزاجية الغالبة على الفرد : المرح أو الانقباض أو الاحتياج أو التجهم ... الخ .

وهذا التقسيم للحالة المزاجية للفرد يقابل ما أسفرت عنه أبحاث بورت في النواحي الانفعالية باستخدام طريقة التحليل العاملى . (طريقة احصائية تهدف إلى اكتشاف الصفات العامة في الشخصية التي يشترك فيها جميع الناس . والصفات الطائفية التي يشترك فيها طائفة من الناس . والصفات النوعية الخاصة التي لا يشترك فيها أحد بنفس القدر أو بنفس الشكل) ووجد بورت ما يأتى :

١ — أن هناك عاملاً عاماً مشتركاً بين جميع الانفعالات يدل على الطاقة المزاجية العلة الكامنة وراء الانفعالات جميعاً وهذا ما عبر عنه بالانفعالية

العامة General Emotionality ومعنى ذلك إذا وجدت انفعالات قوية في شخص ففي الغالب يكون هناك احتمال كبير لوجود القوة في باقي الانفعالات وكذلك بالنسبة للضعف أو السرعة أو المدة أو الثبات أو التقلب (العامل العام).

٢ — بعض الانفعالات يصاحب بعضها البعض في قوتها أو ضعفها فمثلاً في الشخصية المنطوية نجد أن الانفعالات السائدة القوية هي الخضوع والحنان والحزن والخوف والتقزز ، بينما نجد في الشخصية المنبسطة أن الانفعالات السائدة القوية هي انفعالات الفرح والميل الاجتماعي وحس السيطرة وحس الاستطلاع والمقاتلة . (العامل الطائفي) .

٣ — يمكن أن نجد انفعال واحد ذو صفة قوية واضحة كما في الشخص الخوف أو المغرور أو المحب للسيطرة أو المتقزز أو المتعصب أو المأثوم (لديه شعور حاد بالذنب) أو الغيور أو العدواني أو المحب للاستطلاع ، أو المحب للمقاتلة ، أو المحب للاجتماع ، أو يغلب عليه الشهوة الجنسية ، أو حب التملك ، أو الحنو ، أو الضحك ، أو البكاء ، أو العرفان بالجميل الخ . (العامل النوعي) .

والحكم عما إذا كانت الحالة المزاجية وراثية أم مكتسبة أمر غير مقطوع به حتى الآن . إذ ما زلنا نجد أبحاث ترجع أثر البيئة عن الوراثة ، وأبحاث ترجع أثر الوراثة عن البيئة .

ومعنى أن المزاج يتوقف على الوراثة أساساً أن الحالة المزاجية للفرد من العسير أو المحال تغييرها ، أما إذا توقف المزاج على البيئة فيكون التغيير ممكن بسهولة نسبياً .

وأنصار الوراثة يقولون أن المزاج يتوقف في المقام الأول على عوامل وراثية منها حالة الجهاز العصبي والغدد وعملية الهدم والبناء والصحة العامة

للفرد ، ومما يدل على أن المزاج يتوقف على الوراثة إلى حد كبير ما لوحظ من أن الرضعاء في الأسبوع الأول من حياتهم والذين يعيشون في بيئة واحدة تبدو لديهم فوارق مزاجية ، كما لوحظ أن التوائم الصنوية ، أى التى تنشأ من انشطار نفس البويضة المخضبة فتكون لها نفس الوراثة ، تبدى تشابها ملحوظاً في صفاتها المزاجية حتى إن نشأ أحدهما منفصلاً عن الآخر أى في غير بيئته ، في حين أن التوائم اللاصنوية - أى التى تنشأ من بويضات مختلفة فتختلف وراثته أحدهما عن الآخر - تبدى اختلافاً ظاهراً في هذه الصفات حتى أن نشأت في بيئة واحدة . ومما يدل على أثر الوراثة أيضاً في النواحي الانفعالية بصفة عامة أن الأطفال الذين يولدون صماً عمياً في وقت واحد تظهر عليهم تعبيرات انفعالية كذلك التى تظهر لدى من يولدون سليمي الحواس . فهم يضحكون ويغضبون مع أنهم لم يروا ولم يسمعوا أحداً يضحك أو يغضب أو يبتهج (٦) .

أما أنصار البيئة فلهم من الأدلة أيضاً ما يؤكد وجهة نظرهم . ففى دراسة قام بها برنهام (Burnham) على التوائم الصنوية وجد تشابهاً قوياً في الصفات الجسمية والدكاء، ولكنه وجد اختلافاً واضحاً في الاتجاهات العقلية والصفات المزاجية .

ولقد قام (كاتل) و (مولتينو) باختبار ٣١ زوج من التوائم الصنوية ، و ٥٣ زوج من التوائم المنفصلة وقارن بينهم من حيث الصفات المزاجية فلم يجد أى فرق جوهري يبين الفريقين وأكد هذه النتائج أيضاً (تروب) Troup بتطبيق اختبار (رورشاح) (٧) .

ومن الأسلم طبقاً لما سبق أن تقرر أن أثر الوراثة يكاد يتعادل مع أثر البيئة في التكوين المزاجي للفرد ، وأن هناك أمل لا بأس به في تغيير التكوين

المزاجي للفرد بالإرادة والجهد المتظم والتنشئة الأسرية الناجحة بدلا من أن
تقرر أنه من المحال تغيير التكوين المزاجي للفرد لأن هذا الحكم ينطوي على
بعض المبالغة .

يحمل ما تقدم أن المكونات الانفعالية في الشخصية تتضمن ما يلي :

(١) العواطف والهوى والآنحياز .

(٢) العقل النفسية .

(٣) الاتجاهات العقلية .

(٤) الميول .

(٥) المزاج والسمات الانفعالية العامة والطائفية والنوعية .

(٥) المكونات الحلقية :

الخلق هو جانب الشخصية المتصل بالمظهر الاجتماعي ، والتكيف في المواقف
المتعلقة بالقيم الدينية والمثل العليا والعرف والقانون والمعايير الأخلاقية السائدة
في البيئة التي يعيش فيها الفرد . وبعبارة أخرى نقول أن الخلق : هو نظام
من الاستعدادات النفسية التي تمكننا من التصرف بصورة ثابتة نسبياً حيال
المواقف الأخلاقية والدينية والاجتماعية برغم العقبات وضروب الإغراء .

وعبارة (الثبات النسبي على المبادئ الأخلاقية والمثل العليا رغم العقبات
وضروب الإغراء) تشير إلى سلامة التكوين الإرادي الذي يمكننا من ضبط
النفوس وكبح جراح الشهوات المحرمة ، مهما تخملنا من عذاب ومهما كان
بريق الإغراء . كما تشير أيضاً إلى قوة الرقابة الداخلية أو الضمير السليم الذي
يجعلنا نؤمن إيماناً عميقاً بأنه إذا نامت عين الناس فإن عين الله لا تنام .

لذلك نجد أنه مهما تعددت وطالت قوائم السمات الحلقية والاجتماعية في
كتب علم النفس ، والتي يستعان بها في تقدير الشخصية والحكم عليها فانه

يمكن تلخيصها جميعاً في عبارة واحدة هي « حسن العلاقة مع الله أولاً والناس ثانياً » .

فكم من أناس أذكىء العقول ، أو أقوىاء الجسوم ، أو من أصحاب المراكز المهنية العالية ، أو من أصحاب المال ، أو الجمال ، تضاعلت شخصياتهم لسوء علاقاتهم مع الله والناس . وكم من أناس تعاضمت شخصياتهم لشدة تمسكهم بالقيم الدينية والمثل العليا مها وهنت جسومهم أو كانوا من العاديين في الذكاء أو ليسوا على حظ كبير من المركز أو المال أو الجمال .

يؤكد ما سبق ما دل عليه التحليل العامل من أن الارتباط بين الذكاء أو سلامة الجسم والإصابة بالمرض النفسي أو الانحراف الاجتماعي ارتباط ضعيف لا يعتد به (٨) فالذكاء وسلامة الجسم شرط ضروري للصحة النفسية وتكامل الشخصية ولكنه ليس كافياً . ولكن العامل الذي يلعب دور البطولة في مسرح الشخصية المتكاملة والصحة النفسية هو النضج الانفعالي والإرادة القوية وحسن التكوين الديني الخلق ، أي الأنا القوية المبنية على ضبط النفس والثقة بالنفس والاعتماد على النفس وفهم النفس . وهذه الأنا السليمة مرتبة قد لا يصل إليها حتى من نضجت جسومهم وعقولهم .

ولا نقصد هنا بحسن العلاقة بالناس — كل الناس — ولكن أغلب الناس . كما لا نقصد بحسن العلاقة مع الله سبحانه وتعالى ادعاء العصمة من المعصية في كل مكان وزمان ، فنحن نعيش في دنيا البشر لا دنيا الملائكة .

إن الأنا القوية هي التي أوتيت الإرادة السليمة القادرة على التوفيق بين الحاجات الجسمية والنفسية ونزعات الضمير ونداء السماء ومقتضيات الواقع الاجتماعي . إنها الطريق السلطاني لسكينة النفس والأمن الداخلي والخارجي في الشخصية المتكاملة « أنها هي من يشير إليها الله سبحانه وتعالى في قوله العزيز (٥)

« يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي
وادخلي جنتي » .

ولقد أشار فلوجل (Flugel) إلى تطور الصفات الخلقية من الطفولة
إلى الرشد كما يلي :

- من الأناية إلى الغيرية .
 - من السلوك الخلقى المبني على مجرد خوف العقاب ونشidan اللذة إلى السلوك المبني على الاقتناع التلقائي في ضوء المصلحة الاجتماعية والمنطق وشهادة الواقع مهما كانت مرارة الواقع .
 - من الانسياق وراء الانفعالات والدوافع الفسيولوجية إلى الرضوخ لما يميله العقل والتفكير .
 - من السلوك المبني على العادات والتقاليد والحكم والأقوال المأثورة بدون فهم ومناقشة إلى السلوك المتطور المبني على البحث والتأمل والوعى .
 - من الأناية والهروب من المسئولية والانتكالية ، إلى الغيرية والاستقلالية وتحمل المسئولية .
 - من الاندفاع والعدوان إلى المسالمة والأمان .
 - من السلوك المبني على عدم النظام والفوضى إلى السلوك المهادف لتحقيق المصالح الاجتماعية والشخصية .
- وإذا كانت المكونات العقلية تتأثر بالوراثة أكثر من البيئة ، والسمات الانفعالية يتعادل فيها تأثير الوراثة والبيئة تقريباً ، فإننا نجد أن المكونات الخلقية والاجتماعية تتأثر بالبيئة والتنشئة الاجتماعية أكثر من الوراثة . لذلك نجد أن الصفات الخلقية أكثر قابلية للتغيير من المكونات العقلية والوجدانية الانفعالية .

ويقول (هارتشورن وباي) في بحثهما عن الأمانة والتعاون : (يصح أن نتحدث عن أفعال صادقة أو كاذبة لآعن أشخاص صادقين أو أشخاص كاذبين) . ويشير بذلك إلى أن الصفات الخلقية ليست ثابتة وتتغير دائماً بتغير الظروف البيئية . ولكن هذا الحكم يصدق على الأطفال حيث لا يكون الطفل قد كون لنفسه مبادئ خلقية يسترشد بها في سلوكه على عكس الكبير الراشد الذى تلمس عنده سمات خلقية ثابتة نسبياً .

ومن القوائم الخلقية المشهورة فى الحكم على المكونات الاجتماعية للشخصية قائمة (كاتل) Gattel وقد وصف كاتل كل صفة بذكر عكسها (polar opposite) مما يسهل تقدير الأشخاص بتعيين الدرجة التى توجد بها كل صفة أو ضدها عنده ، كأن نقول مثلاً أن أحد الأشخاص شجاع جداً أو شجاع ، أو متوسط أوجبان أو وجبان جداً . . . وهكذا .

وهذه بعض الصفات الخلقية الاجتماعية فى قائمة كاتل :

- التهذيب والتكامل الخلقى وما يتبع ذلك من صفات الأمانة والصدق والإيثار والرحمة والضمير وغير ذلك من قواعد الدين والأخلاق
- النضج الانفعالى وما يتبع ذلك من قدرة الشخص على التحكم فى انفعالاته أو إرجاء رغباته بما يقتضيه الواقع الاجتماعى .
- الصراحة والتفاؤل والاتزان وما يتبع ذلك من الروح الرياضية والتحرر من التعصب والانحياز .
- التواضع ضد العرور والتعالى والميول المظهرية .
- الشجاعة والإقدام ضد الجبن والإحجام .
- الروح الاجتماعية والتعاون مع الغير ضد التحوصل والانطواء .
- انسجام الأغراض فى ضوء فلسفة خاصة لدى الشخص ضد البوهيمية وعدم النظام والفوضى وتفكك السلوك .

— اجتماع المشاق والصبر على مواجهة الصعوبات والتركيز والإقبال على العمل مدة طويلة والنشاط والحيوية والإرادة والتحمس والمثابرة ضد التواكل وقعود الهمة والتكاسل .

— توجيه الحياة إلى ما هو أجدى ضد الانسياق وراء الشهوات الحسية .

— بعد النظر وتقدير العواقب والذات الآجلة ضد الاندفاع الفورى وراء الذات العاجلة .

وفى محاولة للتركيز على أقل عدد من السمات الخلقية الاجتماعية حاول كاتل وثرستون ووب Webb تحديد العامل الخلقى العام (General Character Factor) على نمط العامل المعرفى العام وهو الذكاء ، أو الانفعالية العامة وهو التكوين المزاجى ، واستخدموا فى ذلك طريقة التحليل العاملى . وفى هذا الشأن توصل وب إلى أن العامل الخلقى العام يتضح فى :

— المثابرة والكفاح للتغلب على الصعوبات والوصول للهدف .

— الإرادة القوية التى تتمثل فى ضبط النفس والاتزان الانفعالى .

— الصفات الخلقية المبنية على القيم والمبادئ الاجتماعية .

— التعامل الاجتماعى (٩) .

وهذه الدراسة المبنية على التحليل العاملى الدقيق تؤكد أن أساس تكامل الشخصية والصحة النفسية يدور حول :—

— الإرادة السليمة والمثابرة .

— النضج الانفعالى .

- ٦٩ -

العادات الدينية والاجتماعية خاصة ما يتصل بالضمير : كما سبق ذكره .

ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن تقسيم الشخصية إلى مكونات منفصلة جسمية وعقلية وانفعالية واجتماعية هو ضرورة علمية لتوضيح الشرح وليس حقيقة واقعية .

الفصل الثاني

نظريات الشخصية

Theories of Personality

حيث أن النشاط النفسى - حسيًا وحركيًا وعقليًا ووجدانيًا واجتماعيًا - يمكن التعبير عنه في شكل ألفاظ أو أفعال مما يمكن أن يلاحظها الناظر الخارجى ويقدرها أو يقيسها إذن الساوك وبالتالي الشخصية الانسانية ؛ ظاهرة موضوعية مثل الظواهر الطبيعية والبيولوجية التي يمكن دراستها بطريقة علمية .

والطريقة العلمية تبدأ بالشك وتنتهى باليقين النسبى ، أى اليقين فى ضوء الحقائق المعاصرة وليس اليقين المطلق . وبعبارة أخرى تبدأ النظرية العلمية بالملاحظة وتنتهى بالنظريات والقوانين التي تعرف الظواهر المختلفة وتعللها ، وتحدد شروط حدوثها وتوضح نشأتها وتطورها حتى يمكن التنبؤ والتحكم فيها لصالح الفرد والمجتمع سواء أكانت هذه الظواهر سيكلوجية ، أو فسيولوجية أو كيميائية أو طبيعية . . الخ .

والنظرية عبارة عن صيغة نظرية تتضمن فرض يوضح العلاقة بين متغيرين أو أكثر تحت شروط ثابتة ، هذا الفرض أمكن إثباته عن طريق الملاحظة أو التجربة . قد تكون ملاحظات مقننة أو تجارب معملية أو تجارب ميدانية . . الخ وإذا أمكن أن نبرهن الفرض فى صورة رقمية صار الفرض قانونا ، ويمكن أن ينبثق من النظرية قانون أو أكثر .

وهكذا نجد في علم النفس شأنه شأن العلوم الأخرى نظريات وقوانين مختلفة ، وأن كانت أقل دقة من العلوم الأخرى نظراً لأن هناك متغيرات أو عوامل من الصعب التحكم فيها تماماً أثناء التجارب ، ولكن بتقدم تكنولوجيا القياس وتكتيكات الاحصاء تزداد درجة الدقة تدريجياً في علم النفس ويضيق معدل الخطأ المحسوب إلى الدرجة المعقولة .

وهكذا نجد في علم النفس مثلاً نظرية التعلم الشرطى التى توضح العلاقة بين المنبه الطبيعى والمنبه الشرطى تحت شروط ثابتة منها الدافعية والاقتران السريع بين المنبه الطبيعى والشرطى وتكرار الاقتران وانتباه المتعلم . . الخ . (تكرار الاقتران السريع بين المنبه الطبيعى والمنبه الشرطى (الصناعى) يكسب المنبه الشرطى قوة لإثارة الاستجابة المنعكسة الشرطية) ، ونجد كذلك نظرية المحاولة والخطأ التى تثبت العلاقة بين المحاولة والخطأ والتغير فى أداء المتعلم تحت شروط ثابتة ، وينبثق من هذه النظرية قوانين الأثر والاستعداد والتكرار . . الخ . كما ينبثق قانون التدعيم والانطفاء فى النظرية الشرطية .

وبالمثل فى الشخصية هناك نظريات عامية مختلفة تعرفها وتعللها وتفسرها منها نظرية التحليل النفسى التى توضح العلاقة بين الشعور واللاشعور وتثبت هذه العلاقة بمنهج تداعى المعانى وتأويل الأحلام والملاحظات العيادية ومنها نظرية النفس التى تثبت أثر فكرة المرء عن نفسه فى تعيين سلوكه الذى يميزه عن غيره ويحدد أبعاد شخصيته ، ومنها نظرية التحليل العاملى التى توضح أثر الاكتشاف الاحصائى للعامل العام والطائى والنوعى فى تحديد محاور الشخصية الانسانية والبناء الهرمى لها . . . الخ .

وأهم النظريات المعاصرة للشخصية هى :

(١) نظرية الأنماط .

- ٧٢ -

- (٢) نظرية السمات .
- (٣) نظرية البناء الهرمي للشخصية (التحليل العاملى) .
- (٤) النظرية السلوكية . (المثير والاستجابة) .
- (٥) نظرية النفس .
- (٦) نظرية المجال .
- (٧) نظرية التحليل النفسى .

(١) نظرية الانماط Typological Theory

مقدمة : من قديم الأزل وحتى اليوم اهتم الناس بتصنيف الأفراد إلى أنواع أو فئات أو طرز مختلفة (أنماط) حتى يكونون صورة أو فكرة عن أبرز خصائص الفرد الثابتة تقريباً، أى شخصيته .

وفي مجرى الحياة اليومية نجد الخطيبة مثلاً تهتم بنوع أو نمط شخصية الفرد المتقدم لخطبتها حتى يمكن أن تتنبأ بدرجة سعادتها الزوجية المستقبلية، فتقول أن الخطيب من النمط المتفائل ، وتحت هذا النمط تضع صفات معينة مثل المرح والروح الاجتماعية ، أو من النوع المتشائم وتحت هذا النوع تحدد صفات متقاربة مثل التأمل والبحث عن العلم والحقائق . وبذلك فالخطيب يتأمل مع خطيبته في هذه الصفات ، وعليه فكل نصف تفاحة تحاول أن تبحث عن النصف الآخر وتم الخطوبة والزواج :

أو تقول الخطيبة اننى من النوع الرقيق الضعيف الخاضع وأريد الرجل من النوع المسيطر القوى الذى يستطيع أن يدافع عن حقوقى فاذن هو يكملنى ويعوض نقصى .

وهكذا نجد البعض يبحث عن تشابه أنماط الشخصيات والبعض يبحث عن تكامل الأنماط وصولاً للسعادة الزوجية .

وقديماً وضع أبو الأطباء الاغريق هيبوقراط (٤٠٠ سنة قبل الميلاد) تقسيمه الرابعى لأنماط الشخصية : (١) الدموى المتفائل المرح ، (٢) والصفرى المقاتل حاد الطبع متقلب المزاج ، (٣) والسوداوى المتأمل المتشائم المنطوى (٤) والليمفاوى البليد البارد عاطفياً .

وفى تصنيف (أميلوكل) نجد الهوائى والنارى والترابى والمائى يقابل
الدموى والصفراوى والسوداوى والليمفاوى عند هيبوقراط .

كما تحدث الطبيب الفيلسوف العربى العبرى الرازى (١١٥٠-١٢١٠م)
فى كتابه (الفراسة): عن الاستدلال بالأحوال الظاهرة عن الأخلاق الباطنة،
وكل دليل واحد ليس يقينا بل ظن ضعيف، وكلما زاد عدد الأدلة كلما
تحول الظن إلى يقين وكلما زاد علمنا بطبائع الناس وشخصياتهم .

وتحدث الاغريق عن أنماط شخصية الرياضيين فى الدورات الأولمبية
فذكروا الرياضى الدب، وهو السمين القوى ولكنه بطيء الحركات،
والرياضى الصقر، سريع الانقباض على المنافس، والرياضى النمر، القوى
المرن المخادع .

وفى القرن التاسع عشر حاول الفسيولوجى الايطالى لمبروزو Ceasarc
Lambroso تقسيم الناس إلى نمطين، مجرمين وعاديين، بحسب صفات جسمية
للمجرمين تميزهم عن العاديين، وسبب ذلك - حسب اعتقاده - خطأ وراثى
فى سلسلة تطورهم من الانسان البدائى للانسان العصرى، أو هو ارتداد إلى
حالة الوحشية الأولى ذات الصفات المنحطة (Degenerative Stegmata)،
ومن هذه الصفات فرطحة الأنف واستطالة الفك الأسفل ودقة الذقن
وانخفاض الجهة. وبروز الأذنين وإبتعاد محاجر العينين عن بعضهما وعدم
تماثلها وغير ذلك من السمات الوراثية القبيحة التى لا يمكن علاجها، وما علينا
إلا عزلهم وتخليص الناس من شرورهم، وظلت هذه النظرية سائدة فى علم
الأجرام إلى أن أثبت العالم جورنج سنة ١٩١٣ أن نمط المجرمين لا يختلف
عن نمط غير المجرمين من حيث الصفات الجسمية . واستخدم مجموعة
تجريبية ضخمة من المجرمين ومجموعة ضابطة من العاديين، ووجد
بالمقارنة بين المجموعتين أنه لا توجد فروق لها دلالة احصائية .

وفي القرن العشرين ظهرت عدة نظريات للأنماط جسمية ونفسية وغدية مبنية على أسس عامية أهمها ما يأتي :

(أ) نظرية الأنماط الجسمية :

نظرية كرتشمير Kretschmer طيب الماني نشر أسس هذه النظرية في كتابه بعنوان : « الجسم والخلق » (Kretschmer, Ernest., Physique and Character, London : Routledge 1936.)

وقد أجرى أبحاثه في مستشفى بافاريا للأمراض العقلية بألمانيا .

فكرة هذه النظرية مبنية على ما وجدته (كرتلن) من الاختلاف والتباين الواضح في شخصية من يصابون بنوعين رئيسيين من الأمراض العقلية وهما الذهان الدوري (Manic Depression) والفصام (Schizophrenia) .

على هذا الأساس قام كرتشمير بدراسة عدد كبير من مرضى العقول لكي يبحث عن وجود علاقة بين الصفات الجسمية وبين الإصابة بأحد هذين المرضين ، فتوصل إلى أنه على وجه العموم يتصف المصابون بالفصام بطول القامة ونقص الدهن والنحافة ، والمصابون بالذهان الدوري بالقصر وزيادة الدهن والسمنة .

إذن النمط النحيف الطويل يرتبط بشخصية فصامية. والنمط القصير السمين يرتبط بشخصية نوابية (مصابة بذهان دوري) هذا بالنسبة للأفراد المصابين بالمرض العقلي الشواذ .

ثم تسأل : هل الأفراد العاديين يمكن تصنيفهم أيضاً إلى أنماط جسمية ترتبط بخصائص وجدانية ونزوعية معينة بما يوازي ما وجدته بين المرضى ؟.

حاول كرتشمر أن يثبت هذا الفرض أو ينفيه : ولتحقق من ذلك كون مجموعة عشوائية تجريبية من مرضى انفصام ومجموعة ضابطة من الأفراد العاديين ، وكل مجموعة تضم ٢٥٠ فرداً ، وكرر ذلك أيضاً مع فئة المصابين بمرض الذهان الدورى ، وعالج النتائج احصائياً لمعرفة الدلالة الاحصائية للفروق بين كل جماعتين فوجد أن الفروق جوهريّة ، ثم وضع نتائجه مصنفاً الأفراد العاديين إلى الأنماط الجسميّة التالية وكل نمط يرتبط بخصائص إدراكية ووجدانية ونزوعية معينة .

(١) النمط البدين Pyknic :

ويتمّاز بالسمنة والقصر واستدارة أبعاده الجسميّة (مما يشبه البرميل Barrel chested على حدّ تعبير كرتشمر :) فهو ممتلئ الجسم ثقيل الوزن غليظ الرقبة قصير الساقين عريض مستدير الوجه والصدر .

يرتبط هذا النمط الجسمي بشخصية نواوية (ليس مريضاً بأي مرض عقلي) يتناوب فيها المرح والانقباض في فترات زمنية قد تطول أو تقصر ويتميز بالتقلب الانفعالي والتفاوت والميل إلى التعبير الواضح الصريح عن انفعالاته والاختلاط بالناس ، وهو إذاً مرض بمرض عقلي يكون من نصيبه مرض الذهان الدورى :

(٢) النمط النحيف Asthenic :

نحيف طويل القامة ضيق الصدر طويل الأطراف ويرتبط هذا النمط الجسمي بشخصية فصامية (ليس مريضاً بالفصام ولا بأي مرض عقلي أو نفسى مجرد اصطلاح للتصنيف) وهو الذى يميل للتأمل والتفكير بعمق والحجل والعلاقات الاجتماعيّة المحدودة قلق ويهتم بالنظام - بشكل زائد ، وهو إذاً مرض كان من نصيبه مرض الفصام .

(٣) النمط العضلي Athletic :

يتميز بحسن تكوينه العضلي والأكتاف العريضة والعضلات النامية .
ويرتبط هذا النمط الجسمي بطابع شخصية معين يبدو وسطاً بين النوعين
السابقين مع قربته نوعاً من الشخصية الفصامية .

وعموماً فهو يميل للقوة والاحتكاك البدني مع الغير والسيطرة والمنافسة
والنشاط الحركي ويبدو عليه في كثير من الأحيان الخجل والحساسية الانفعالية
والعزلة كما في النمط النحيف وإذا مرض يكون من نصيبه مرض الفصام .

(٤) النمط غير المنتظم Displastic :

نوع لا يتميز بشيء مما سبق من الناحية الجسمية فهو لا يتصف بانتظام
أبعاد جسمه، وهو أقرب إلى النوع النحيف في نمط شخصيته أي الشخصية
المنقبضة - فهو كثير ما يبدو عليه الخجل والانطواء والحساسية الانفعالية بارد
عاطفياً ، وإذا فرض يكون من نصيبه مرض الفصام .

والموقف العلمي الحالي لإزاء هذه النظرية وما على شاكلتها أنه لا توجد
علاقة سببية بين النمط الجسمي والنمط المزاجي، فليس النمط الجسمي هو
سبب النمط المزاجي أو العكس . ويبدو أن كلا النمطين يقعان تحت تأثير
عامل خارجي مشترك في الاثنان قد يكون تكوين عصبي أو غدي أو استعداد
وراثي معين (١٠) .

نظرية شلدون Sheldon :

يرى شلدون أن كرتشمير قد أخطأ في أنه أخذ صفات الأنواع المتطرفة
في الصفات الجسمية - وهم الأقلية - وطبقها على العاديين وهم الأغلبية،
كما أن أي صفة جسمية أو عقلية أو نفسية تمثل متغير متدرج يبدأ من
أقل درجة وينتهي عند أعلى درجة الأمر الذي لم يتبعه كرتشمير .

فصفة الطول مثلا تبدأ بقيمة متطرفة هي طويل جدا، ثم فوق المتوسط في الطول، ثم عادى الطول ، ثم قصير جدا وهي قيمة متطرفة ، وغالبية الناس عاديين في الطول .

وحينما نأخذ القيم المتطرفة وهي في بداية ونهاية المتغير المتدرج (طويل جدا وقصير جدا) ونطبقها على غالبية الناس تكون قد أخطأنا . ومما ينطبق على الطول ينطبق على أى صفة نفسية أخرى .

ولا يمكن أن نضع خطوطاً تقسم الناس إلى فئتين منفصلتين . ولعلاج هذا التطرف وضع شلدون ثلاث موازين أو معايير يقاس بها الأبعاد الجسمانية للشخص من اتجاهات مختلفة ، وكل معيار يبدأ من درجة (٧) وينتهي عند درجة (١)، وبذلك يرصد لكل شخص ثلاث درجات تبعاً للثلاث معايير، وأعلى رقم في الثلاث أرقام يحدد النمط الجسماني للفرد . وإذا حصل الفرد في المعيار البطني مثلاً على درجة (١) والمعيار العضلي (١)، والمعيار النحيل (٦)، يكون النمط السائد لدى هذا الفرد هو النمط النحيل المقابل لأكبر رقم في الثلاث أرقام .

وبذلك ينقسم الناس إلى ثلاث أنماط سائدة لديهم هي :

(١) النمط البطني (بدين) Endomorphic : وهو الذى تسيطر عليه النزعة الاحشائية فهو بدين نهم فى الأكل باحث عن اللذة والحياة العاطفية الناعمة والمرح والراحة وحب الاجتماع مع الغير وإذا مرض عقلياً يكون من نصيبه الذهان الدورى .

(٢) النمط العضلي (رياضى) Mesomorphic : وتسيطر عليه النزعة البدنية ويتميز بعضلاته النامية والصدر العريض وحسن تنسيق القوام وتسيطر عليه النزعة لاستخدام القوة والسيطرة والمنافسة والمخاطرة والصراحة والاندفاع وفرض الذات وإذا مرض عقلياً يكون من نصيبه الذهان الدورى .

(٣) النمط النحيل Ectomorphic (نحيف) وهو الذى تسيطر عليه
النزعة الخفية طويل ضيق الصدر نحيف، ويتميز بكثرة التأمل
والتفكير وحب العزلة والحجل والحساسية الانفعالية ، وغالباً ما
يظهر عليه مرض الفصام إذا ما أصيب بمرض عقلى . (١١)،
(١٢) .

هذا ولقد نجح شلدون فى علاج نزعة التطرف فى نظرية كرتشمير ومنهجه
فى البحث أكثر دقة . ولكن ما زالت الصعوبة قائمة فى تحديد العلاقة السببية
بين النمط الجسمى والإصابة بمرض عقلى معين أو ظهور سمات مزاجية أو
عقلية معينة (١٣) .

(ب) نظرية الأنماط النفسية : (يونج - هورنى - روزنزويج)
أسفرت الملاحظات والخبرات العيادية للعالم النفسى السويسرى يونج Jung
إلى أن الشخصيات يمكن تحديدها بحسب النمط النفسى التى تنتمى إليه كاملى :
(١) نمط الشخصية الانبساطية : Extrovert

الانفعالات السائدة لدى الشخصية المنبسطة هى : الفرح ، والمرح
حب الاجتماع بالآخرين ، وحب السيطرة والاستطلاع والمقاتلة . والطاقة
الانفعالية هنا تتجه للخارج نحو الناس والأشياء .

(٢) نمط الشخصية الانطوائية : Introvert

الطاقة الانفعالية هنا تتجه للداخل نحو الذات، والانفعالات القوية السائدة
هنا هى الخضوع والحنان والتقرز والحزن والخوف والشك والحجل .

وفى بلى جدول يبين أهم الفروق بين الشخصية الانطوائية والشخصية
الانبساطية :

صاحب الشخصية الانبساطية	صاحب الشخصية الانطوائية
(١) يميل للانطلاق ومشاركة المجتمع.	(١) يميل للانطواء والانعزال عن المجتمع
(٢) يستغرق في أحلام اليقظة والتخطيط للمستقبل	(٢) يفكر في يومه دون غيره .
(٣) له مثله الخاصة ومبادئه الذاتية .	(٣) يشارك الناس مثلهم واعتماداتهم .
(٤) يحاول الوصول لمفاهيم عميقة لطبيعة الأشياء .	(٤) يهتم بالمعانى السطحية الواضحة .
(٥) قراراته نظرية أكثر منها عملية .	(٥) قراراته عملية أكثر منها نظرية .
(٦) يتردد في أغلب أموره .	(٦) أغلب تصرفاته حاسمة .
(٧) يفكر أكثر مما يعمل .	(٧) يعمل أكثر مما يفكر .
(٨) يشغله وجهه آراء الناس فيه .	(٨) لا يجعل لآراء الناس الاعتبار الأول
(٩) يميل للشك في دوافع الناس .	(٩) يثق في الناس ويأخذ تصرفاتهم الحسنة .
(١٠) يشعر بالنقص ولكنه يخفيه .	(١٠) يشعر بالثقة في النفس والاعتماد بها
(١١) من السهل أن يجرح شعوره .	(١١) من الصعب أن يجرح شعوره ؛
(١٢) قليل الأصدقاء وصدقاته عميقة ويصعب عليه عمل صدقات جديدة	(١٢) كثير الأصدقاء ولو بصورة سطحية
(١٣) إذا مرض نفسياً يكون من نصيبه عصاب الوسواس القهري .	(١٣) إذا مرض نفسياً يكون من نصيبه الهستيريا .

على أنه ينبغي تأكيد أنه لا يوجد شخصية انطوائية تماماً، كما لا يوجد شخصية انبساطية تماماً كما تتصور من هذا التقسيم لأول وهلة . فكثيراً ما نجد صفات من هذه مع صفات من تلك في نفس الشخص (٣١).

أنماط الشخصية طبقاً لهورنى : Horney

وهو تصنيف للشخصيات بحسب أسلوب التعامل مع الناس .

(١) نمط الشخصية الهارب من الناس .

ويبدو عليه الخجل والالتواء والتحوصل واستخدام الخيل الدفاعية التي

تحقق له الهروب من المشاكل والناس (Moving away from the people)

(٢) نمط الشخصية المهاجم للناس ويبدو في مواجهة المشاكل بعنف والميل

لاستخدام القوة كفتحاح للحل أو التعامل مع الناس (Moving against people)

(٣) نمط الشخصية المشارك للناس ويبدو في الميل للتفاهم والتعاون والحب

واستخدام الإقناع والإقناع - لا لوى الذراع - في حل المشاكل والتعامل مع

الناس (Moving toward people)

أنماط الشخصية طبقاً لروزنزويج : (Roscnzweig)

وهو تصنيف الشخصيات بحسب أساليب مواجهة الضرر الواقع من الغير

على الذات :

(١) نمط الشخصية ذات العدوانية الخارجية : يميل للانتقام المباشر من الناس

أو الأشياء إذا وقع عليه ظلم .

(٢) نمط الشخصية ذات العدوانية الداخلية : يميل للانتقام من نفسه

واحتقارها إذا وقع عليه ظلم من الغير .

(٣) نمط الشخصية ذات العدوانية الحامدة : يميل إلى القاء اللوم لا على

الغير أو الذات ولكن على قوة غيبية مجهولة مثل الظروف والمكتوب

والمقسوم والحظ وما إلى ذلك .

(٤) نمط الشخصية ذات العدوانية الخيالية : وهو الذي يحقق انتقامه

الانتقام عن طريق أحلام اليقظة .

(٦)

أنماط الشخصية طبقاً لبرمان Berman :

وهو تصنيف للشخصية يشير إلى النشاط الهرموني السائد عند الأفراد .

(١) النمط النخامي :

يتميز أفرادها بالقدرة على التحكم الانفعالي وارجاء الرغبات للظروف المناسبة .

(٢) النمط الدرقي :

يتميز أفرادها بالسلوك الاندفاعي وضعف التحكم في الانفعالات

(٣) النمط الجنسي :

يتميز أفرادها بالمبالغة الانفعالية والتناقض الوجداني حباً وكرها والخجل من الموضوعات الجنسية رغم الاهتمام بها .

(٤) النمط التيموسى :

يتميز أفرادها بالترعة للشذوذ الجنسي والإختلال الخلقى .

(٥) النمط الادرنالىنى :

يتميز أفرادها بالمثابرة والنشاط (١٤) .

نقد نظرية الأنماط :

العيوب

(١) أنها نظم لتصنيف الشخصيات أكثر منها نظرية مفسرة توضح الأسباب وراء الأنماط أو العلاقة بينها .

(٢) أنها تضع حدوداً فاصلة بين الأنماط والواقع أن الأنماط لا تمثل إلا الحالات المتطرفة في حين أن أغلب الناس خليط من الأنماط وعلى درجات كبيرة متفاوتة .

(٣) إغفال أثر العوامل الثقافية والاجتماعية في الفروق الفردية بين الشخصيات المختلفة .

المحاسن : تعطينا نظام للمقارنة بين الأفراد يصلح للتوجيه أو الاختيار التعليمي أو المهني أو علاج المشكلات السلوكية وهذه المقارنة تزيد فاعليتها إذا قيست الأنماط قياساً كمياً وكانت منفصلة احصائياً .

ومجمل ما تقدم يمكننا أن نقول إن النمط يعني لفظياً النوع أو الصنف أو الفئة أو الطراز .

أما المعنى الاصطلاحي للنمط Type :

(١) صفة رئيسية جسمية أو نفسية تضم مجموعة من الصفات الفرعية المتقاربة والمتراطة احصائياً .

(٢) أو صنف من الأفراد مشتركون في نفس الصفات العامة ويختلفون فيما بينهم في درجة اتسامهم بهذه الصفات . (الانبساطيون أو الانطوائيون) .

ونظرية الأنماط تهدف أساساً إلى تقسيم الناس إلى فئات بدنية أو نفسية نصلح كأساس للتنبؤ بأهم خصائص شخصياتهم وسلوكهم .

(٢) نظرية السمات

السمة : أو البعد : هى الصفة الثابتة نسبياً برغم تغير الظروف البيئية والبارزة فى الشخص بحيث تميزه عن غيره تمييزاً واضحاً .

وبعبارة أخرى هى الاستعداد الثابت نسبياً لنوع معين من السلوك برغم اختلاف الظروف البيئية . وهذا الميل يظهر أثره فى كثير من المواقف لأكمل المواقف .

فالشخص الذى لديه سمة الأمانة هو الأمين فى كثير من المواقف خاصة الظروف التى تغريه أو تدفعه لأن يكون غير أمين .

وتهدف نظرية السمات إلى تكوين صورة للشخصية بأقل عدد من السمات التى يمكن قياسها والمنفصلة بعضها عن بعض والثابتة نسبياً بحيث تميز الفرد عن غيره تمييزاً واضحاً .

وكما نستطيع قياس أبعاد الشكل الهندسى (مربع ، مستطيل .. الخ) لتحديد خصائصه ، كذلك نستطيع قياس أبعاد الشخصية أو سماتها لتحديد خصائصها .

وكل سمة تمثل بعد متدرج ممتد بين طرفين ، طرف يمثل أعلى درجة والطرف الآخر يمثل أقل درجة من هذه السمة .

وهذا البعد المتدرج يسمى أحياناً بالمتغير المتدرج Continuum ، وفى استخبار برنرويتير مثلاً Bernreuter (استبيان أو استفتاء) لقياس سمات شخصية الفرد نجد أبعاد مختلفة ، منها بعد العصائية الذى يمتد من أقصى درجات العصائية إلى أقل درجات العصائية أى السواء النفسى ، وكذلك بعد الانطوائية حتى الانبساطية ، ويعبر عن ذلك اصطلاحاً الانطوائية ضد الانبساطية ، وكذلك السيطرة ضد الخضوع ، والاتكالية ضد الاكتفاء الذاتى .

، وهذا الاستخبار يتكون من ١٥٠ سؤالاً يجب عليها المفحوص بنعم أو لا ومن هذه الأسئلة ما يلي :

- هل تشعر بالوحدة حين تكون مع الناس نعم لا
- هل تحب أن تتحمل المسئولية وحدك نعم لا
- هل تتغير ميولك بسرعة نعم لا

ثم يقدر لكل فرد درجة لكل بعد أو سمة ، وبذلك تكون قد قيمنا شخصية الفرد بأقل عدد من السمات المقاسة كياً .

وهذه السمات يفترض أن تكون مستقلة أى منفصلة بعضها عن بعض عن طريق المعالجة الاحصائية بأسلوب التحليل العامل؛ كما يجب أن تكون السمات ثابتة، لذلك نجد للاستخبار معامل ثبات معقول وكذلك معامل صحة (أى يقيس الاستخبار ما يدعى قيامه من سمات .) .

نقد نظرية السمات :

محاسن النظرية :

(١) تمدنا بسمات أمكن قياسها وتقديرها كياً لذلك ترتفع درجة الدقة فى مقارنة الأفراد بعضهم وبعض .

(٢) لها قيمة عملية فى التوجيه والاختيار المهني والتعليمي وتشخيص أسباب سوء التكيف .

(٣) تتحاشى تطرف نظرية الأنماط لأنها تمدنا بأربع أبعاد على الأقل بدلاً من نمطين فقط .

عيوب النظرية :

(١) كثير من الاستخبارات تدعى استقلال السمات فى حين أن درجة الارتباط بينها قد يكون عالياً فمثلاً نجد فى استخبار برنويتر ظهر أن

الاستعداد العصائى هو الانطواء نفسه ، وأن السيطرة مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالاكتفاء الذاتى . ولهذا السبب لا نجد اتفاق بين العلماء هنا فى عدد ونوع السمات التى يجب أن يتألف منها استخبار سمات الشخصية .

(٢) قد يحصل بعض الأفراد على نفس الدرجات فى سمات معينة ولتكن حب السيطرة أو حب التملك . ورغم ذلك لا يتساوى تركيب شخصية الأول مع تركيب شخصية الثانى ، فقد نجد فى الأول دافع حب السيطرة وسيلة للتملك ، وقد نجد فى الثانى حب التملك وسيلة للسيطرة على الآخرين . ولذلك نجد أن تغافل هذه النظرية للعوامل الاجتماعية والثقافية التى تبين العلاقة بين السمات المختلفة أهم عيوب هذه النظرية .

ولا توضح هذه النظرية ديناميكية العوامل : أى كيف تتفاعل ويتبادل التأثير بين العوامل المختلفة حتى تكونت السمات الحالية . ولا توضح تكوين شخصية الفرد باعتبارها تنظيم فريد لا يشبهه أحد فيه بنفس الشكل أو القدر أو الأسباب .

(٣) كثير من العلماء لا يرتاح إلى فكرة أن أساس الشخصية عدد بسيط من السمات أربع سمات أو ست سمات مثلاً : فهذا عدد قليل لوصف مركب معقد مثل الشخصية .

(٤) هناك سمات لا يفتن الفرد لوجودها فلا يدرك الصلة بينها وبين سلوكه كالرغبات والخاوف المكبوتة ، وفى الغالب ينفر الفرد من ذكرها حين مساءلته عنها لأنها مستكرهة للنفس وللناس على فرض أن هذه الرغبات قريبة من الشعور لذلك لا تظهر هذه السمات الهامة فى الشخصية فى الاستخبار لأنها لا شعورية .

وعلاوة على ذلك هناك سمات ظاهرية ايجابية وباطنية سلبية
فكم من حب ظاهر أخفى الكراهية أو العكس ، ورحمة تخفى
وراءها القسوة ، وتقوى يخفى وراءه ميولا محرمة .

ومثل هذه السمات الظاهرية لا تكون حقيقية في استخبار
للسمات .

(٣) نظرية البناء الهرمي (التحليل العاملي)

Factor - Analysis Theory of Personality

هذه النظرية كما وصفها ه. ج. إيزنك في كتابه (الحقيقة والوهم في علم النفس) (٣٢) والدكتور مصطفى سوييف في كتابه «علم النفس الحديث» (١٥) عبارة عن إدماج وتطوير لنظريتي الأعماط والسمات معا وإعادة بنائها على أسس علمية عصرية روعي فيه الاهتمام بالقياس لدقة المشاهدات لضروب السلوك المختلفة ، والمعالجة الاحصائية لدقة التعميم .

والمعالجة الاحصائية هنا هدفها الكشف عن العوامل المستقلة الأولية التي لا يمكن ردها إلى أبسط منها ، وسميت هذه العوامل بالمحاور الكبرى للشخصية (أبعاد أو سمات رئيسية) فالمركب السيكلوجي الذي تسميه شخصية مثل المركب الكيميائي الذي نسميه الماء مثلا . وكما يحلل الماء إلى ايدروجين وأكسوجين ، وهما عنصران مستقلان ويختلفان تماما عن بعضهما البعض ولا يمكن تحليل أى عنصر منهما إلى عنصر آخر أبسط منه . كذلك مركب الشخصية يمكن تحليله عاملياً إلى عوامل أولية مستقلة لا يمكن ردها إلى أبسط منها . هذه العوامل هي المحاور الكبرى للشخصية . وهذه المحاور الكبرى هي حجر الزاوية وبيت القصيد في هذه النظرية .

ومركب الماء العادي (يد١) يختلف عن مركب الماء الثقيل (يد٢) مثلا ، لأن جزيء الماء العادي به ذرتين من الأيدروجين وذرة واحدة من الأكسجين أما الماء الثقيل فيه ذرتين من الأيدروجين وذرتين من الأكسجين .

إذ أن التفرقة بين مركب وآخر أساسه تقدير مدى احتواء كل مركب على العناصر الأولية مقدره تقديرا كميأ . وكذلك التفرقة بين شخصية وأخرى يجب أن يبنى على أساس الحصيلة النهائية للدرجات المختلفة التي يحصل عليها الشخص في مجموعة المحاور الكبرى للشخصية . وهذه الحصيلة هي التي تحدد طراز الشخصية الذي يميز فرد عن الآخر تمييزا واضحا ، وهذا هو الفرض الرئيسي في هذه النظرية .

وكما أن البعد يدل على مسافة أو مستقيم يمتد بين نقطتين طرفيتين ، طرف يمثل أقل درجة من الطول وطرف يمثل أكبر درجة من الطول .

كذلك محور الذكاء مثلا يمتد بين قطبين قطب يمثل أكبر قدر من الذكاء (العبقريّة) وقطب يمثل أدنى قدر من الذكاء (الضعيف العقلي) والمسافة بين القطبين متدرجة .

فاذا كان لدينا مقياس دقيق لمحور الذكاء وطبقناه على عدد من الأشخاص بحيث ينال كل شخص درجة على هذا المقياس فإن هذه الدرجة تحدد لكل منهم موضعا معينا على محور الذكاء الذي نحن بصددده .

وعلى ذلك فالأبعاد الكبرى تقدم لنا أطارا يصلح للمقارنة الكمية بين جوانب النشاط النفسى لدى الأفراد المختلفين . كما يقدم لنا مفهوم درجة الحرارة ومفهوم ضغط الدم وما إليها أطارا للمقارنة الكمية بين بعض مظاهر النشاط الفسيولوجى لدى الأفراد .

وصحيح أن المحاور ليست كل شىء عن الأفراد ولكنها على كل حال جزء من خصائصهم الرئيسية .

والمحاور الكبرى التى أمكن اكتشافها حتى الآن ثلاث : (١) الذكاء وهو محور ينتظم جميع العمليات التى درجنا على تسميتها بالعمليات العقلية العليا ، وهى تضم كل ضروب النشاط الذى يؤدى إلى تحقيق قدر من المعرفة ، (٢) محور الاتزان الوجدانى وهو ينتظم جميع العمليات الانفعالية أو الوجدانية من حيث تحقيقها لاتزان الشخصية وتوافقها أو من حيث إخلالها بهذا التوافق ، لذا نجد أنه أحيانا يطلق على هذا المحور محور العصائية ،

(٣) محور الانبساطية (وقد سبق الحديث عنه قبل ذلك وعن الانطوائية).
وهناك محاور أخرى لا يزال حكم العلماء عليها معلقاً لأنها تظهر في بعض التحليلات ولا تظهر في البعض الآخر ومنها محور الذهانية (نسبة إلى الدهان وهو الجنون) ومحور الذكورة ضد الأنوثة ، والسيطرة ضد الخضوع ، والاكتفاء الذاتي ضد الاتكالية وغير ذلك من المحاور الكبرى .

والتحليل العاملي لبناء الشخصية الانسانية يشير إلى أنه تصميم هندسى هرمى يبدأ أسفله بقاعدة عريضة تضم وقائع سلوك الأفراد وعاداتهم وعينة كبيرة من هذه الوقائع والعادات ، ثم تتلخص هذه القاعدة في مستوى أعلى منها عبارة عن عدد محدود من المحاور الصغرى (أو السمات) ، ثم تتلخص هذه السمات أو تتجمع في مستوى أعلى منها هو مستوى المحاور الكبرى . ويقل عدد المفردات السلوكية من القاعدة إلى الرأس من وقائع السلوك اليومية إلى العادات ثم المحاور الصغرى ثم المحاور الكبرى .

والأبعاد الصغرى تضم عدداً كبيراً من عاداتنا ووقائع سلوكنا التي بينها علاقات منتظمة بحيث يزيد وقوعها معاً أو يقل معاً ، وكل مجموعة من العادات ووقائع السلوك يمثلها محور واحد منفصل عن المحور الآخر ، وكل عدد من المحاور الصغرى أو السمات يمثلها محور من المحاور الكبرى السالفة الذكر . فمثلاً ثبت أن محور الاتزان الوجداني يضم قاعدة مترابطة من السمات (محاور صغرى) هي : (١) القابلية للإيحاء وهو ميل ثابت لدى الفرد لتقبل أفكاره الغير دون مناقشة ، (٢) المثابرة وهو مداومة النشاط حتى الوصول لهدف أو القدرة على الاستمرار في النشاط برغم صعوبته حتى الوصول لهدف

معين . (٣) الايقاع الشخصي (Personal Tempo) ومعناها ميل ثابت لدى الفرد إلى أن تصبـدر ضروب نشاطه الحركي والنفسي كالمشي والكلام والإدراك . الخ أقرب إلى البطء أو أقرب إلى السرعة ، (٤) القصور الذاتي ومعناه ميل ثابت لدى الفرد إلى الاستمرار في نشاطه الحركي والحسي ، والفكري رغم انتهاء المؤثر الخارجي الذي أثار هذا النشاط ، (٥) سمة التناسب بين السرعة والدقة ومعناها الميل المستقر إلى أداء العمل بسرعة على حساب الدقة أو بدقة على حساب السرعة .

واقـد أثبتت الدراسات التجريبية والاحصائية أن هذه السمات الخمسة متداخلة فيما بينها . صحيح أن بينها درجة من الاستقلال والتميز لكن بينها كذلك قدرًا من الاشتراك ، بينها أرض مشتركة هي مستوى الاتزان الوجداني (المحور الكبير الذي يضمها جميعاً) ومعنى ذلك أننا إذا استطعنا أن نصنع مقياساً جيداً للاتزان الوجداني فعندئذ تكون الدرجة التي يصل إليها أى شخص على هذا المقياس بمثابة تلخيص بليغ للدرجات التي يمكن أن يحصل عليها إذا ما طبقنا عليه مقاييس السمات الفرعية الخمسة . ومعنى ذلك بعبارة أخرى أننا نستطيع عن طريق الاستعانة (بمعادلات خاصة) أن نتنبأ بمستوى قابلية هذا الشخص للإحياء والمثابرة والايقاع الشخصي والقصور الذاتي والتناسب بين السرعة والدقة .

وتؤكد هذه النظرية — عن حق — أنه لا سبيل لتقدم أى علم من العلوم إلا عن طريقين : (١) مقاييس صحيحة ثابتة لدقة المشاهدات ، (٢) استخدام سليم للاحصاء لدقة التنبؤ والتعميم .

ولنضرب مثلاً لنعرف كيف يقاس الاتزان الوجداني :

يستخدم لهذا الغرض مقياس رد الفعل السيكولوجفاني وهو جهاز حساس لأصغر كمية ممكنة من الكهرباء ، ومصدر الكهرباء فيه بطارية تعطي تياراً يستطيع الإنسان أن يتحملة دون تألم . ونقطع الدائرة الكهربائية في أحد مواضعها ونثبت طرفي السلك المقطوع في نقطتين متقاربتين فوق كف الشخص الذي نقيس لديه الاتزان الوجداني .

ومن المعلوم أن البشرة في حالة جفافها تعتبر موصلاً رديئاً للتيار الكهربائي فإذا أثبتت بالعرق ، والعرق محلول ملحي ، أصبحت موصلاً جيداً للتيار ، هنا يستعين الدارس ببعض المعارف الأساسية في الصلة بين الاضطرابات الانفعالية وبين نشاط الغدد المفرزة ، فمن الأمور المعروفة في هذا الصدد أن هذه الاضطرابات تكون مصحوبة بزيادة نشاط تلك الغدد . وبناء على ذلك يبدأ الباحث عمله فيعرض الشخص لتنبيه مفاجيء وليكن صوتاً مرتفعاً كصوت بوق سيارة ، عندئذ يتحرك مؤشر السيكولوجفانوميتر حركة تتناسب في سعتها مع كمية العرق التي تم إفرازها نتيجة للتنبيه المفاجيء ، فيسجل الباحث مقدار هذه الحركة كمقياس للاضطراب الانفعالي الذي طرأ على الشخص ، وهذا الرقم يمثل قابلية هذا الفرد للانفعال في موقف ذي خصائص معينة . ويجب تكرار هذه التجربة على الشخص نفسه عدة مرات وتستخرج متوسط القراءات حتى نحصل على متوسط ثابت للفرد ، وكذلك تكرر هذه التجربة على عينة كبيرة من الأفراد في مثل سن الفرد ثم نستخرج متوسط ثابت لمجموعة العينة أيضاً .

وإذا رتبنا أفراد العينة ترتيباً تصاعدياً أو تنازلياً استطعنا أن نتحدث عن أفراد شديدي القابلية للانفعال وأفراد متوسطين ثم منخفضين . وبذلك

يمكن مقارنة قابلية الفرد للانفعال بالافراد الذين في مثل سنه الذين تعرضوا لظروف تجريبية واحدة . وهكذا أمكننا ترجمة الانفعالية إلى أرقام وأن نقارن بين الأشخاص على سمة معينة من سمات الشخصية مقارنة كمية دقيقة إلى حد كبير ، وكما أسلفنا القول نستطيع استخدام معادلات احصائية خاصة للتنبؤ من قياس قابلية الفرد للانفعال بقابليته للانحياز والمثابرة . . . الخ .

ان تحديد طراز الشخصية الذى يتعين بحصيلة الدرجات النهائية التى يحتمل دأها الفرد على المحاور الكبرى هو الاسلوب العلمى للتنبؤ والتدبر للمستقبل قبل مواجهته نختار أسلوب التربية المناسب لطراز الشخصية التى تقوم على تنشئتها .

ان أساليب التربية الذى يناسب طفلاً يشغل موضعاً مرتفعاً على محور الذكاء ومتوسطاً على محور الاتزان الوجدانى وموضعاً ثالثاً متوسطاً على محور الانطواء يختلف عن أسلوب التربية الذى يناسب طفلاً آخر يمثل طراز مغاير لما سبق ونحن الآن مقبلون على مرحلة جديدة فى تاريخ الإنسانية مرحلة تقتضى أن يضيع أقل وقت ممكن فى التخبط ويقتضى الأمر أن تقل نسبة الفشل فى حصيلة المشروعات التربوية إلى أقصى درجة ممكنة ، وما يقال عن التربية يقال عن أسلوب العلاج المناسب ، وأسلوب التوجيه التعليمى أو المهنى المناسب وبذلك تنظم وتستثمر الطاقة انبشيرية فى مجال الانتاج والخدمات على أحسن صورة ممكنة .

إن نقد نظرية البناء الهرمى للشخصية :

أولاً - المحاسن :

(١) الدقة سواء فى المشاهدات عن طريق المقاييس الثابتة الصحيحة ، أو فى التنبؤ والتعميم بالطرق الاحصائية المختلفة ، وكذلك فى المقارنة الكمية

بين فرد وآخر ، وفي ذلك فوائد مؤكدة في التوجيه والاختيار المهني والتعليمي والعلاج النفسي وأساليب التربية المختلفة .

(٢) رغم أن محاور الشخصية لا وجود لها في الحياة النفسية كوجود الكلام والمشى والضحك، لكنها مع ذلك مفيدة في بناء علمنا الحديث عن الشخصية تماماً كقاعدة خطوط الطول والعرض رغم أنها وهمية إلا أنها مفيدة في بناء قسط من معلوماتنا الجغرافية . والمحاور تمكننا من التنبؤ بالمحاور الصغرى على درجة معقولة من الدقة ، وفي ذلك توفير كبير للجهد والوقت والمال .

ثانياً - العيوب :

(١) هذه النظرية نظام للتصنيف وليست للتعليل فقد يتساوى فردان في الدرجة على محور معين ولكن العلية وراء هذا المحور مختلفة تماماً في الفردين .

(٢) النظرية قاصرة عن الكشف عن الدوافع اللاشعورية التي لا يدرك الشخص وجودها أو علاقتها بسلوكه .

(٣) تجاهل العوامل الثقافية والاجتماعية في بناء الشخصية .

(٤) لا يزال التضارب بين العلماء موجود سواء من ناحية عدد المحاور الكبرى أو من ناحية استقلال هذه المحاور .

(٤) نظرية النفس Self Theory

منشئ هذه النظرية هو العالم الأمريكى كارل روجرز Carl Rogers وقد أشار إليها لأول مرة فى كتابه بعنوان « الإرشاد الفردى والعلاج النفسى » سنة ١٩٤٢ :

" Counseling and Psychotherapy" Boston, Houghton Mifflin 1942.

ثم بلورها بشكل محدد فى كتابه بعنوان « العلاج النفسى المعقود على العميل » ١٩٥١ Client - Centered Therapy) Rogers, Carl R., Boston Houghton Mifflin 1951

يرى روجرز أن مفهوم الفرد عن نفسه (Concept of the Self) هو مفتاح التكوين السيكولوجى للشخصية الإنسانية .

تعريف مفهوم النفس : Self - Structure

ينشأ مفهوم الفرد عن نفسه من مجموع الأنماط الإدراكية , الشعورية التى يكونها الفرد عن خصائصه الشخصية وعلاقاته مع غيره مع ما يرتبط بذلك من القيم التى يؤمن بها .

" Self - Structure or Concept of the self, includes the patterned perceptions of the individual 's characteristics and relationships, together with the values associated with these. It is available to awareness".

ويمتص الفرد المفاهيم والمبركات والقيم التى تكون مفهومه عن نفسه من الوسائط التربوية المختلفة التى قامت بالتنشئة الاجتماعية له وأولها وأهمها الأسرة ثم المدرسة وبيئة العمل وشلة الأصدقاء وغيرها .

ويستمدج الفرد هذه الخبرات الحسية فى ذاته فى شكل رمزى بحيث تظهر فى شعوره على أنها خبراته الحسية المباشرة .

كيف يؤثر مفهوم الفرد عن نفسه في بناء شخصيته وصحته النفسية :

قام روجرز بتسجيل عشرات المقابلات التي تمت بين المعالجين النفسيين وعملاتهم ممن ساء تكيفهم الشخصي والاجتماعي على أشرطة التسجيل ، بما في ذلك الجلسات العلاجية التي أجراها بنفسه على أساس مبادئ العلاج النفسي المعقود على العميل ، ثم قام بتحليل هذه المقابلات المسجلة بهدف اكتشاف أهم العوامل التي تؤدي لسوء التكيف واضطراب الشخصية . وأسفر تحليل هذه المقابلات على أن فكرة المرء عن نفسه هي الخريطة أو الإطار المرجعي الذي يرجع إليه الفرد ويستشير به خاصة في مواقف الأزمات واتخاذ القرارات الحاسمة في الحياة والمفاضلة بين الأهداف وتحديد نوع علاقته بالغير وطريقته في حل المشكلات .

كما أسفر التحليل على أن إدراك الفرد لصورة جديدة ، وصحيحة لنفسه وتقبله لها هو العامل الرئيسي الذي يجعله يقوم بالتغيير المناسب إما في بيئته الداخلية النفسية أو بيئته الخارجية المادية والاجتماعية ، وبذلك يتحسن أسلوب تكيفه وتعالج مشاكله ويعاد تنظيم شخصيته . بناء على اكتساب هذه البصيرة الجديدة Insight ، أى أن تكوين البصيرة أو اكتشاف النفس Self - Exploration وتقبل النفس Self Acceptance يؤدي إلى إعادة تنظيم النفس Self - Reorganization ثم إلى قيام الفرد بتغيير ذاته أو بيئته أى تحقيق النفس Self - Actualization ، والمهمة الرئيسية للعلاج النفسي . كما يؤكد روجرز هي مساعدة المريض على إتمام وتقبل صورة لذاته ملائمة لدوره في مجالات الحياة الهامة ، ثم مساعدته على أن يختبر هذه الصورة في العالم الواقعي وأن يحولها إلى حقيقة تكفل له السعادة وللجتمتع بالمنفعة .

فكان أسلوب التكيف العام للشخص من ناحية طريقته في حل مشاكله وعلاقته مع الناس ، وفي التعويض عما يشعر به من نقص يتوقف على الحكم الذي يصدره الفرد على نفسه ، أو الصورة التي يكونها المرء بنفسه عن نفسه ،

من حيث ما يتسم به من صفات جسمية وعقلية ووجدانية واجتماعية وخلقية يرضى عنها أو يكرهها ولا يسيغها ، وما يراه في نفسه من نواحي القوة والضعف ، وما يجب عليه عمله أو الامتناع عنه ، مما يدخل في أسلوب التكيف العام مفتاح فهمنا لبناء شخصية أى فرد ، فكأن الشخصية هى دالة أو وظيفة فكرة المرء عن نفسه ، وأساس إعادة توازن الشخصية مرهون باكتشاف النفس وتقبلها الذى يودى إلى الثقة بالنفس والاعتماد على النفس ، وبذلك يتحقق نضج الفرد واستقلاله دون الاتكال على المعالج النفسى أو غيره من الأفراد .

ويضيف روجرز أننا لن نفهم النفس إذا انصرف اهتمامنا عن مشاعر الفرد وانفعالاته ومدرجاته إلى بيئته الواقعية بما فيها من حقائق موضوعية .

ان الحقائق قوة خامدة ولكن المشاعر قوة محركة . ان ما يحرك سلوك الناس ليس الفقر فى حد ذاته ولكن شعور الفرد بالفقر ونمط إدراكه لحقيقة الفقر وقيمه المرتبطة بالفقر ، وما ينطبق على الفقر ينطبق على البطالة ، وعلى المرض وغير ذلك من الحقائق الموضوعية فقد يرى أن (الفقر حشمة والعز بهدلة - أو تجرى جرى الوحوش وغير رزقك ما تحوش - أو الله يرزق الهاجع والى نائم على ودنه) هذه المشاعر والقيم سوف تحرك هذا العميل إلى التواكل على مساعدة الغير وعدم نضج النفس واستقلالها بعكس عميل آخر يعتقد أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وان الاتكال على الله فيما لا طاقة لنا به - فقط ، وبدون بذل الجهد والكفاح هو التواكل بعينه ، ومثل هذه المعتقدات سوف تدفع العميل إلى تجنيد قدراته وطاقاته إلى العمل وتحقيق النفس .

وفى إلى أهم العوامل التي تؤدي إلى اضطراب شخصية الفرد وتفككها طبقاً لمفهوم الفرد عن نفسه :

(١) مدى التعارض بين صورة الفرد عن نفسه كما يدركها ويشعر بها ، وما هي عليه في الواقع طبقاً للدور الفعلي الذي يقوم به الفرد خاصة في مجالات التكيف الهامة وأهمها البيت ، والعمل ، والمدرسة والأصدقاء وكلما زاد الصراع بين أدوار النفس زاد تفكك الشخصية واضطرابها

(٢) استبعاد النفس وعدم تقبلها وكرهها يجعل الفرد يخفى حقيقة نفسه عن الغير مستخدماً وسائل الدفاع المختلفة كالتبرير والاستمات والتقصص والتعويض وغير ذلك من أساليب تشوية الواقع وإنكاره دفاعاً عن النفس وعدم تعرضها للاهانة ، والإسراف في هذه الوسائل الدفاعية يؤدي إلى تفكك الشخصية واضطرابها .

(٣) حيث أن فكرة المرء عن نفسه تكفه عن فعل ما يمس احترامه لنفسه إذ أن في اتصال اتصالاً وثيقاً بضميره . وعليه إذا زادت ضغوط الحياة والمواقف الاحباطية وأتى الفرد بتصرفات تتنافى مع فكرته عن نفسه وضميره عانى من الصراع النفسى وتدهورت صحته النفسية واضطربت شخصيته .

(٤) فكرة المرء عن نفسه قد تكون غامضة أو ناقصة أو خاطئة أو مبالغ فيها ، لذلك يحدد الفرد لنفسه أهدافاً أو مستوى طموح غير واقعي وبالتالي تزداد المسافة بين مستوى الطموح ومستوى الاقتدار أى بين ما يرغب فيه الفرد وبين ما يقدر عليه بالفعل مما يولد

القلق والتعاسة واحتقار النفس ، وتضطر الفرد إلى اقضاء مشاعر
النقص بتأكيد الشعور بالقوة في مجالات أو بأساليب شاذة تؤدي إلى
الانحرافات السلوكية واضطراب الشخصية مثل إخفاء النقص
وراء ظلم وهمي من الغير ، أو إخفاء النقص وراء مرض متوهم ،
أو تحقيق القوة عن طريق احلام اليقظة ، أو تحقيق القوة عن
طريق الجريمة ، أو عن طريق الاختلاق (المعر والفشر
بأعجاب خيالية) أو جذب انتباه الغير قسراً بأساليب شاذة مبتذلة
وما إلى ذلك من أنواع الانحرافات النفسية .

(٥) تصادم فكرة المرء عن نفسه من الواقع في العالم الخارجى أو مع
عالمه الداخلى أى مع ضميره أو مع دوافعه الفسيولوجية يحدد
بالخطر ويولد القلق والخاوف وغيرها من الانفعالات السلبية
الحبيسة المؤلمة أو المخيفة أو المشينة الذى يعرقل قوى النفس من
الانطلاق وتزيد من تشويه فكرة المرء عن نفسه ومتاعبه النفسية
واضطراب شخصيته .

كيف تتكون صورة النفس :

(١) نتيجة معاملة الكبار للفرد خاصة الوالدين ومدى ما يظهروه من
استحسان أو استهجان .
(٢) مركز الطفل في أسرته وما يمنحه هذا المركز من امتيازات خاصة أم
يحرمه من حقوق .

(٣) مقارنة النفس بالغير خاصة الزملاء .

(٤) ما يقدمه الفرد للمجتمع من أعمال نافعة تشعره بأن لديه كياناً وأنه
موضع تقدير اجتماعى .

(٥) ما يلقاه الفرد في الحياة من نجاح أو فشل .

وفي عبارة موجزة يلخص روجرز وصاياه لبناء الصحة النفسية كما يلي :
« افهم نفسك ، تقبل نفسك ، كن نفسك . اضبط نفسك ، ثق في نفسك
اعتمد على نفسك » .

نقد نظرية النفس :

المحاسن :

(١) قدمت هذه النظرية مفتاحاً جديداً لفهم الشخصية في تكاملها وتفككها
وأسلوباً جديداً في العلاج النفسي . فالمفهوم الغامض أو الخاطئ
أو الناقص عن النفس يؤدي لتفكك الشخصية والأسلوب الصحيح
المنطقي الواقعي عن النفس يؤدي لتكامل الشخصية ، واحتقار
النفس يؤدي إلى إخفائها بحيل نفسية دفاعية يؤدي الإسراف
في استخدامها إلى تبديد طاقات الشخصية وانكار الواقع وتشويهه
واضطراب الشخصية . وتقبل النفس يؤدي إلى الرضى عن
الذات والناس والاعتراف بمحاسنها وعيوبها كما هي دون الحاجة
لإخفائها أو خداعها .

والعلاج النفسي يبدأ بالفضفضة عن المشاعر المؤلمة الجبسية
التي تحيط بمفهوم النفس بالغموض ، إلى أن يكتشف العميل
نفسه وتتكون بصيرته فيعيد تنظيمها ويحققها بتغيير نفسه أو بيئته
وبذلك يصل للنضج والاستقلال والاعتماد على النفس دون
الحاجة لمساعدة المعالج أو غيره من الناس .

العيوب :

(١) وقعت هذه النظرية في متزلق وحدانية السبب سواء في تكوين

الشخصية أو في استوائها أو اعتلالها فالسبب في ذلك كله واحد يدور حول مفهوم النفس . وهذا تعميم يعوزه السند العلمى إذ لا يمكن تجاهل الأسباب الأخرى العضوية والعقلية وكثير من الأسباب النفسية الأخرى والأسباب البيئية الاقتصادية والفيزيكية والاجتماعية والثقافية .

(٢) إن مجرد تصحيح فكرة المرء عن نفسه لا يضمن استواء الشخصية وسلامتها ، وفي كثير من الأحيان يحتاج العميل مضطرب الشخصية بجانب تصحيح فكرته عن نفسه بعض المساعدات البيئية للتخفيف من الحرمان المادى والمعنوى الكائن في بيئته أو القيام بعلاج مرض جسمى ، والجسم هو وعاء النفس ذاتها ... الخ . فبجانب كرامة النفس وعزتها وكبريائها ضرورات الحياة ومستلزمات بقائها .

(٥) النظرية السلوكية (نظرية المثير والاستجابة)

Behavioral Theory of Personality

أسس هذه النظرية العالم الأمريكي واطسن Watson سنة ١٩١٣ وبلورها في عدة كتب له أهمها كتابه بعنوان « السلوك » - مقدمة لعلم النفس المقارن ١٩١٤ .

Watson "Behavior-An Introduction to Comparative Psychology" 1914

وكتاب « علم النفس من وجهة نظر سلوكي ١٩١٩ » ، وسار على نهجه من بعده أتباعه وأشهرهم جاثري وإسكروهل وثورنديك وغيرهم . ولقد اختلف بعضهم مع واطسن في بعض التفاصيل ولكنهم يشتركون معه في المبادئ العامة للنظرية .

أهم فروض النظرية :

أولاً: الشخصية تتكون من مجموع عادات متعلمة أو مجموع سمات مكتسبة طبقاً للارتباط الشرطي بين المنبهات والاستجابات وليس هناك شيء اسمه ذكاء موروث أو غرائز موروثة ، فالذكاء طرق مكتسبة في التفكير السليم ، والغرائز والانفعالات طرق مكتسبة بمواقف اللذة والألم . والتفكير ما هو إلا كلام داخلي مسئول عنه غدد وأجهزة داخلية محكومة بشروط بيولوجية محددة، والانفعالات هي اضطرابات حشوية مرتبطة بافرازات غدية وحالة الجهاز العصبي . وفي هذا يقول واطسون (أعطوني عشرة من أطفال أصحاب التكوين فسأختار أحدهم جزافاً ثم أدربه فأصنع منه ما أريد عالماً أو لصاً بغض النظر عن مواهبه وأسلافه) . ومعنى ذلك أن شخصية الانسان لعبة في يد البيئة تحركها كيفما تشاء أو مثل تمثال الصلصال في يد المثال يشكله كيفما يشاء .

ولننظر كيف تتكون عادة الخوف ، (وهي عادة وجدانية) تجريبياً

بفعل الرباط الشرطى ولإثبات ذلك أتى واطسون بطفل اسمه (البرت) وعمره (١١) شهرا . ولقد اعتاد هذا الطفل أن يلعب مع القتران البيضاء ولا يخاف منها ، وعلى ذلك فهي منبهات بيئية لا تثير الخوف لدى الطفل البرت جاء من خلف الطفل وفجأة وضع الفأر فى حجرة ، وفى نفس اللحظة قرع جرس عال فخاف الطفل ، تم كرر واطسون هذا الارتباط الشرطى السريع بين المنبه الشرطى (الفأر) والمنبه غير الشرطى (الطبيعى) وهو الجرس ، وبعد ذلك قدم المحرب المنبه غير الشرطى بمفرده (الفأر) فخاف الطفل وارتعد بعد أن كان لا يخاف منه، وبذلك تكونت عادة الخوف من الفأر تجريبياً بفعل عوامل بيئية (قانون التدعيم) وبفس الطريقة تتكون العادات العقلية والعادات الحركية وتكون العادات مرتبطة بمنبهات شرطية خاصة حسب خبرات كل فرد مما يجعل له بناء فريد فى شخصيته يختلف عن الأفراد الآخرين .

وعلاوة عما سبق فان الطفل البرت أصبح يخاف من كل شئ يشبه الفأر فى خاصيته القرائية . فقدم واطسون له أرنباً فخاف منه ، ثم قطعة من القطن فخاف منها أيضاً ، وكذلك أى معطف مصنوع من القراء ، وهذا هو قانون التعميم الشرطى . ولكن يمكن للكائن الحى أن يميز بين المنبهات المتشابهة إذا أعطى المنبه المطلوب دون سواء تدعيماً عن طريق ربطه بمزيد من صوت الجرس العالى المفاجئ دون سواء (قانون التمييز) ...الخ .

وحتى لو حدث تكرار الاقتران السريع بين الأرنب وأى منبه شرطى آخر لا تربطه به أى علاقة منطقية أو عملية مثل التربيت باليد على الظهر مثلاً ، فيمكن أن يخاف الكائن الحى من مجرد التربيت على الظهر حتى وإذا لم يرتبط بالمنبه الخفيف أصلاً (صوت الجرس العالى المفاجئ) وهذا هو قانون الارتباط الشرطى الثانوى .

- ١٠٤ -

وعادة الخوف من الأرنب لا تظل ثابتة إن لم يحدث تدعيم بين وقت وآخر وبدون تدعيم تضعف تدريجياً (قانون الحمود أو الإنطفاء) . وإن كان الخوف يمكن ظهوره بعد ذلك تلقائياً بعد الحمود وبدون تدعيم (قانون العودة التلقائية) . وإذا أر دنا علاجاً نفسياً لخوف البرت من الأرنب فنراعى الشروط الآتية :

١ - أن نضعف من شدة المنبه الخفيف كأن نقدمه لألبرت في قفص مغلق مثلاً.

٢ - التعرض التدريجي للمنبه الخفيف كأن نقر به إلى البرت تدريجياً . وباضعاف شدة المنبه وعرضه تدريجياً تضعف قوته تدريجياً في إثارة الاستجابة المنعكسة الشرطية (الخوف) .

٣ - توفر في نفس الوقت لالبرت بيئة آمنة (بتواجد أمه مثلاً) ونعرضه لمنبهات سارة (تقدم له بعض الشيكولاته مثلاً) . وبتكرار هذا العمل وهو ما ينص عليه قانون التكييف السلبي بتلاشي الخوف . وهذا هو جوهر العلاج النفسي السلوكي .

ثانياً : شخصية الانسان ليست ثابتة ثباتاً مطلقاً أو ثباتاً نسبياً ولكنها دينامية متطورة . بحسب نوعية الموقف البيئي . فليس هناك شخص أمين أو صادق مثلاً في كل زمان ومكان ، ولا أمين في أغلب الأحيان ، ولكن نوعية الموقف البيئي هي التي تجعل منه أميناً صادقاً أو خائناً كاذباً .

فقد يكون الشخص أميناً مع أصدقائه أو مع والديه ولكنه خائناً غشاشاً مع الغرباء أو في الامتحانات خاصة لو تواجدت ظروف ضغط أو اغراء شديد ، وهكذا تختلف سمات الشخصية بحسب نوعية الموقف البيئي . لذلك يقول السلوكيون ، (ليس هناك شخص أمين أو صادق ولكن يوجد أفعال أمينة وأفعال صادقة) .

ومن التجارب التي تثبت ذلك تجربة هارثشورن Harishorne وماى May على عينة ضخمة من أطفال المدارس الابتدائية تبلغ (٨٠٠٠) طفل من مختلف طبقات المجتمع الأمريكى بقصد قياس بعض السمات الخلقية لديهم مثل العطف والتعاون . فقام الباحثان بتهيئة موقف أو ظروف بيئية للأطفال تظهر فيها سمة التعاون دون أن يعرفوا الغرض من الاختبار .

طلب الباحثان من معلمى الأطفال أن يقدموا لكل تلميذ فى العينة هدية من أقلام ومفكرات وممح و غيرها ، ولكل منهم أن يتصرف فى هذه الأشياء كيف يشاء فقد أصبحت ملكا له .

ثم يتقدم المعلمون بعد ذلك باقتراح من مدير المدرسة فحواه أن كثيرا من تلاميذ مدارس أخرى فقراء بهم حاجة إلى هذه الأشياء المهداة ، فن أراد أن يمنحهم شيئا من عنده فليضحه فى مظهره يكتب عليه اسمه ثم يدعه عند معساون المدرسة ، ومن لم يرد فلا لثم عليه . ثم تسجل نتائج الاختبار بطريقة مقننة ، وتقدر درجاته فى مقياس التعاون ، ثم تكررت التجربة على صفات أخلاقية أخرى فى مواقف نوعية مختلفة . ولقد وجد الباحثان أن السلوك اللفظى الخلقى شئ والسلوك العملى شئ آخر . أى أن سلوك الطفل فى موقف يتحدث فيه عن التعاون والعطف شئ وموقف السلوك العملى شئ آخر . ومما يؤكد ذلك ما وجدته الباحثان بأن درجة الارتباط بين المعلومات الأخلاقية عن التعاون مثلا ونتائج الاختبارات الموقفية . حوالى ٠,٢٥ فقط ، أى أن سلوك الانسان يتوقف على الظروف الخارجية البيئية المتغيرة أى نوعية الموقف البيئى .

ومن النتائج الأخرى لهذا الاختبار أن درجة الارتباط بين المعلومات الأخلاقية والذكاء ٠,٧٠ ، وأن الأطفال الأذكاء يغشون أقل من متوسطى

الذكاء ومن هم دون المتوسط في الذكاء ، وأن أطفال الطبقات الاجتماعية الاقتصادية الميسورة يغشون أقل من أطفال الطبقات الفقيرة (هذا في أمريكا) ، وأن التعليم الديني (ليس السلوك الديني) ومدارس يوم الأحد ذات أثر طفيف في اكتساب الطفل سمة الأمانة ان كان المستوى الاجتماعي الاقتصادي خفيضاً (١٦) .

ثالثاً : أن الكل يتكون من مجموع أجزائه لا أكثر ولا أقل ، وإذا أردنا أن نفهم الكل لابد أن نبدأ بفهم أجزائه جزء جزء على حدة .

فالشخصية الانسانية تتكون من مجموع سمات جسمية وعقلية وانفعالية وحركية ، وإذا أردنا دراسة الشخصية لابد من تهيئة مواقف بيئية تظهر فيها هذه الصفات للغير ، ويجب أن يتعدد الفاحصون وأن يقيموا هذه السمات التي يمكن ملاحظتها من الخارج (الموضوعية) تقديراً كمياً رقمياً ، وأن يكون تعريف السمة ثابتاً وواضحاً لدى جميع الفاحصين أو الملاحظين . أما السمات التي يدركها المفحوص عن طريق ملاحظته نفسه داخلياً (التنبؤ الباطني أو الاستبطان فهذه السمات أما أن تكون وهمية أو خاطئة أو مبالغ فيها ولا يمكن الاعتماد عليها بحال من الأحوال .

(٤) أن احتمال ونوعية استجابة الفرد في الموقف البيئي الحاضر يتوقف على عادات الفرد المكتسبة في المواقف البيئية الماضية والمشابهة لظروف الموقف الحاضر . فالفرد الذي اعتاد أن يحل مشاكله عن طريق الضغط على الغير بتأريضه أو تمرده وعناده ، ونجحت معه هذه الطرق في الماضي ، فهناك احتمال كبير أن يستخدم الفرد هذا الأسلوب التكني في المواقف البيئية الحاضرة .

وهكذا تتكون سمات الانسان بوسائل آلية ميكانيكية . فالرباط الشرطي

محكوم بالتلازم ، والتكرار ، والتدعيم ، والأثر ، والحدائث ، وشدة المؤثر ، وسرعة الإثابة ، وشدة الإثابة ، وكل هذه الشروط خارجة تماماً عن الغرض الذى يريد أن يحققه الفرد بسلوكه أو المعنى الذى يقصده أو مشاعره وانفعالاته المرتبطة بالموقف البنى الشرطى . فكأن الانسان آلة محكومة بقوانين الرباط الشرطى بصرف النظر عن مشاعره وتفكيره وأهدافه وضميره وغرائزه وفكرته عن نفسه... الخ. من التكوينات الافتراضية التى لا معنى لها .

نقد النظرية السلوكية :

المحاسن :

- (١) حققت السلوكية للبشرية المفاضلة الكمية بين شخصيات الأفراد مما يتيح لنا أساليب دقيقة فى انتقاء أصلح الأفراد للمهن أو البرامج الدراسية المختلفة وكذلك توجيههم تعليمياً ومهنياً .
- (٢) قياس السمات يتيح لنا تقييم مدى التقدم فى العلاج النفسى وكذلك تشخيص انحرافات الشخصية .
- (٣) تساعدنا فى تقييم أثر طرق التدريس أو التدريب المختلفة فى التغييرات التى تطرأ على شخصية الأفراد .
- (٤) تساعدنا فى دراسة مدى التوافق أو التنافرين شخصيات المتقدمين للزواج حتى يمكن إرشادهم قبل الزواج .

العيوب :

- (١) تتجاهل النظرية العلاقة المتبادلة بين السمات المختلفة . فبرغم تماثل درجات فردين فى سمة حب التملك وسمة السيطرة مثلاً . فقد نجد فى الأول أن حب التملك وسيلة للسيطرة وفى الثانى قد نجد

أن السيطرة وسيلة للتملك وهكذا نجد أن تركيب شخصية الفرد
بين مختلفين برغم تماثلها في السمات الظاهرة .

(٢) السمات الظاهرة لا تتم في حالات كثيرة عن الحالات الشعورية أو
اللاشعورية الباطنية ، فكم من شجاعة ظاهرة تخفى خوفاً وجبناً
باطنياً ، وكم من مظاهر التقوى والورع تخفى الإثم والعدوان ،
وكم من حبيب يبدى خشونة بل كراهية ظاهرية نحو المحبوب كستار
يخفى حينئذ لا شعورياً أو شعورياً حب وعطف المحبوب ، ويجاهد
الحبيب في ذلك حرصاً على كبريائه أو كرامته أو مفهومه عن
نفسه .

ومن الأمثلة الشعبية في هذا الصدد «إسعى إليه وشاغبه ولا ترمي
عليه وتدلليه التقل صنعه » وتسمى الحالة التي يتجاذب فيها الفرد
عاطفتان متعارضتان التناقض الوجداني (Law of ambivalence)

(٣) الكل لا يساوى مجموع أجزائه إلا في لغة الحساب ، أما في المركبات
المعقدة . فالكل أكبر من مجموع أجزائه مثل المركبات الكيميائية
والمركبات السيكلوجية مثل الشخصية والذكاء وغيرها . وصفات
المركب الكيماوى ككلمات مثلاً يختلف عن سائر صفات عناصره وهى
الإيدروجين والأكسوجين كل على حدة . فالخلوط الذى يتألف
من عناصر متراصة كقوالب الطوب المنفصلة هو ما يساوى
مجموع عناصره . أما المركب المندمج العناصر فالجزء فيه لا يفهم
معناه إلا في ضوء الكل ، والتأثير بين الأجزاء تأثير متبادل ، وكذلك
مجموع السمات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية في الشخصية

لا يساوى الشخصية دون توضيح العلاقة بين الاجزاء وكيف تكونت هذه الأجزاء .

(٤) تتجاهل النظرية أثر الوراثة على الاطلاق ، وهذا تعميم يعوزه السند العلمى فلم توجد تجربة علمية حتى الآن جعلت من ضعيف العقل بالوراثة عادى الذكاء أو ذكياً مهما تحسنت عوامل البيئة . ولم توجد تجربة علمية حتى الآن ألغت تشابه التوائم المتطابقة وراثيا الذين تربوا في بيئات منفصلة في الصفات الجسمية والعقلية ودائما اخلاف البيئة لا يبلغ وحدة المولد ، وغير ذلك من الأدلة العلمية التي لم يثبت عكسها .

(٥) أما تجربة هارتشورن وماى فتتضمن العيوب الآتية :

أ - أجريت على الأطفال قبل ثبات تكوينهم الخلقى والاجتماعى وكثير من الراشدين العاديين لديهم صفات أخلاقية واجتماعية تظهر في أقوالهم وأفعالهم وثابتة لحد كبير ، أى ثابتة ثباتا نسبياً ، فى كثير من المواقف لا كل المواقف .

ب) أجريت على بعض الصفات دون غيرها ، فقد اثبتت التجارب العلمية أن صفة حب الاجتماع بالناس وسرعة الانفعال على درجة كبيرة من الثبات عند الصغار والكبار

(٦) لا يمكن تجاهل الحالات الشعورية أو البيئة السيكولوجية للفرد ، فنحن ندرك عناصر الواقع لا كما هو ولكن كما يبدو لنا وكما ندركه ونشعر به أى نعطى له معنى سيكولوجيا ، والسلوكية تتجاهل هذا المعنى ، مما دفع السلوكية الحديثة للاعتراف بصحة الحالات الشعورية التى تظهر فى شكل تقرير لفظى فقط دون تغيير أو تحليل هذا التقرير .

(٦) نظرية المجال (الجشطلت)

Field Theory of Personality

رائد هذه النظرية هو العالم الألماني الأصل، الأمريكي الجنسية كيرت ليفين (Lewin) ، وقد حدد معالم هذه النظرية في كتب عدة أشهرها كتابه بعنوان (النظرية الديناميكية للشخصية ١٩٣٥)

Lewin K., "Dynamic Theory of Personality " 1935.

ولقد عرف كيرت ليفين الشخصية بقوله : « الشخصية عبارة عن وحدة ديناميكية دائمة التفاعل بين عدة قوى ذاتية داخلية وبيئية خارجية تشكل المجال السلوكي للفرد الذي يحدد نمط تكيفه مع نفسه ومع بيئته المادية والاجتماعية » .
وحتى نفهم جوهر هذه النظرية نستعرض أهم الفروق بينها وبين المدرسة السلوكية فيما يتصل بالفروض الرئيسية :

ونحن في مجال الخدمة الاجتماعية للأحداث الجانحين مثلاً نسير على منهج نظرية المجال في دراسة شخصية الحدث أثناء تواجده في دار الملاحظة ، إذ نتيح له فرصة التعبير ككل بحرية عن نفسه أثناء النشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي والفني وعند قيامه بالمسؤوليات المختلفة بالدار . وفي هذه المواقف المتعددة ودون أن يشعر بالحدث يكتب الاختصاصي الاجتماعي بدار الملاحظة تقرير السلوك والشخصية على أساس حكم أو تقييم كيني أو كمي لأهم عناصر شخصية الحدث وأسلوب تكيفه العام في الوقت الحاضر .

ويستعين إخصائي مكتب الخدمة الاجتماعية بهذا التقرير وغيره من تقارير المختصين (النفسي والطبي والطبي النفسي... الخ.) وكذلك تقارير دراسة البيئة الاجتماعية للحدث لتكوين الصورة العامة الشاملة لشخصية الحدث من زوايا نظريات متعددة وتحديد أهم العوامل التي لعبت دوراً رئيسياً في الجناح حتى يمكن رسم خطة الإصلاح ويطرح هذا كله أمام قاضي محكمة الأحداث للتصرف على ضوء الواقع الموضوعي كما جاء في التاريخ الاجتماعي (Social History) وكما ظهر في مواقف الحياة الفعلية الحاضرة ، وقد سبق الحديث عن هذا الموضوع تفصيلاً في موضوع بناء الشخصية .

ويظهر من عرض الفروق بين المدرسة السلوكية والمجالية أن نظرية المجال ثورة على المدرسة السلوكية حتى لقد ذكر بعض المجاليين : أن علم النفس قد انتحر على يد السلوكيين (ومن هنا ظهرت السلوكية الجديدة التي تهتم بالحالات الشعورية (دون تحليل) التي يدركها الفرد دون سواه ، من الملاحظين الخارجيين بجانب ما يقوله ويفعله في ظروف بيئية معينة تظهر للملاحظ الخارجي) .

ومن المفاهيم الرئيسية في هذه النظرية مصطلح الجشطالت Gestalt ، والمجال (Field) ، والشكل والأرضية (Figure & Ground) ، والبصيرة Insight ومصطلح

الحشطات سبق الحديث عنه ويعنى الكل المتكامل الأجزاء أو المركب عكس المخلوط ، أما المجال فيعنى البيئة السكولوجية للفرد ، أى الواقع الذاتى والبيئى كما يدركه وليس كما هو فى الواقع ،والذى يتكون نتيجة تفاعل عدة قوى داخلية وخارجية تحدد سلوك الفرد الغالب فى حل مشاكله وتعامله مع الناس.

والأرضية هى الخلفية أو مجال السلوك الكلى للفرد ، والشكل هو الخبرة التى يهتم بها الفرد أكثر من غيرها فى وقت معين ، (إطار الصورة = الأرضية ، والصورة = الشكل ،صفحة الكتاب الأرضية وعنوان الموضوع بالصفحة = الشكل وهكذا) .

والمقصود بمصطلح الشكل والأرضية هنا أن الخبرة التى يمر بها الفرد فى موقف معين أو أى سمة بارزة من سمات شخصيته (الشكل) سوف تتأثر وتتحدد بخصائص الجو العام أو المجال السلوكى الكلى الذى يدركه الفرد ويشعر به (الأرضية) .

فالتنشئة الاجتماعية للفرد فى أرضية أو مجال ديمقراطى ، غير التنشئة الاجتماعية فى مجال دكتاتورى ، أو فوضوى ، ويختلف بناء شخصية الفرد فى كل مجال منهم . والمجال العاطفى العام فى الأسرة الذى يتكون من العلاقة الزوجية والوالدية والعلاقة الأخوية يؤثر فى النضج الإنفعالى للفرد (الشكل) وسوف لا يفهم هذا النضج إلا فى ضوء هذا المجال .

والرأى العام فى الجماعة التى ينتمى إليها الفرد (المجال) سوف يؤثر فى رأى الخاص للفرد (الشكل) الذى يتفاعل مع هذه الجماعة . وسوف لا يفهم رأى الخاص إلا فى ضوء رأى العام للجماعة التى ينتمى إليها الفرد . لذلك إذا أطلقنا شعارا يقول : (أن شخصية المواطن العربى الصالح الذى نريد تكوينه هى ، ذلك المواطن السليم بدنياً وعقلياً وخلقياً ، المؤمن بربه . وبوطنه ، ويقوميته العربية ، العارف بحقوقه وبواجباته والمقدر لمسئوليته والمتفاعل

مع مجتمعه بشكل يجعله مستعداً دائماً للتضحية والبذل لبناء المجتمع الاشتراكي (العربي) .

هذا شعار جميل لا شك، وأجمل ما فيه معرفة الحال والبصيرة والمنهج الذي يحقق بناء هذه الشخصية . ونظرية الحال تحدد ذلك بشكل واضح كما يلي :

(١) دع هذا المواطن يعيش في مجال سلوكي اشتراكي يؤمن بربه ووطنه وقوميته العربية بحيث يتواجد في هذا الحال القدوة الصالحة والمثل العليا المؤمنة بهذه الصفات .

(٢) اتح أكبر قدر من الممارسة العملية للفرد وأكبر قدر من المشكلات والخبرات الاشتراكية التي يتفاعل فيها الفرد وسط هذا الحال وهي له وسائل الترغيب للهدف المطلوب إلى أقصى حد ممكن ، وحذاً لو بدأنا هذه الممارسة في وقت مبكر من حياة الفرد حيث يزداد قابلية شخصيته للتشكيل في الاتجاه المرغوب .

(٣) ضع برنامجاً متوازناً بين المعلومات العقائدية والممارسة العملية لهذه المعلومات ، أي نتحاشى الإفراط في الشحن العقائدي ، أو التفريط في العمل ، وبذلك تغذي الفكرة الخبرة ، والخبرة تغذي الفكرة فتتدعم النضيرة وتنمو في الاتجاه المرغوب .

(٤) استخدم من أساليب الاقناع إلى أقصى حد ممكن واضعاً الهدف نصب عينيك (اشتراكية تؤمن بالله وعلمية تؤمن بالمجتمع) ، أضرب أمثلة ، وازن بين الحلول المختلفة للمشاكل ، قيم التجارب الأخرى للام في ضوء واقعنا ، تقدم من الأمثلة للقاعدة ، أو طبق القاعدة على الأمثلة ، والهدف من كل هذا هو إعادة تنظيم الحال الإدراكي للمواطن بحيث يدرك علاقات جديدة بين

الوسائل المتاحة والأهداف التي نطلقها (بصيره) حتى تصبح الأهداف التي نريدها هي أهدافه الخاصة ، فالإنسان مخلوق هادف يسعى لغرض ويحاول دائماً أن يختار من بينته الموضوعية ما يتلائم مع أغراضه (بينته السيكلوجية) . ولذلك تعرف البصيره بأنها عملية إعادة تنظيم المجال الإدراكي للفرد بشكل يسمح باكتشاف علاقات سببية جديدة بين الوسائل المتاحة والأهداف المطلوبة .

أما من ناحية تطبيق فروض هذه النظرية في مجال العلاج النفسي نجد ما يلي : -

- (١) إتاحة أكبر قدر من التفاعل النشط بين العميل والمعالج . فالعميل يجب أن يكون إيجابياً لا سلبياً ، يشارك بفاعلية في الدراسة والتشخيص والعلاج يشجعه المعالج على ذلك لأقصى حد ممكن .
- (٢) مساعدة العميل على إدراك علاقة جديدة بين مفهومه لنفسه ومطالبه البيولوجية والضميرية ومطالب المجتمع الذي يعيش فيه حتى يكتشف بنفسه أساليب التشويه في أفكاره أو الهروب من الواقع أو خداع النفس والناس (تكوين البصيرة) .
- (٣) إتاحة أكبر قدر من الجس العلاجي السمع الذي يتيح أقصى قدر من التعبير الحر عن المخاوف والمغاضب والذكريات المؤلمة الحبيسة والشهوات المحرمة دون الاصطدام بأحكام خلقية يصدرها المعالج ، ودون هذا التفريغ الانفعالي سوف يتعرقل تكوين البصيرة أو انطلاق النشاط الذاتي للعميل لحل مشكله .
- (٤) التخفيف من الحرمان المادي والمعنوي الذي يتعرض له العميل في الوقت الحالي بإتاحة مجال عاطفي إيجابي في مجالات التكيف الهامة وأهمها البيت والمدرسة والعمل وبين الصحاب ، هذا المجال يسمح للعميل بالقيام بالتغيير المطلوب سواء في بيئة الذات أو المجتمع الذي يعيش فيه ، ويسعى لحل مشكله .

(٥) إن توجيه إدراك العميل بالتركيز على أهم العوامل التي لعبت دوراً رئيسياً في مشكلته بحيث تتبلور هذه العوامل الرئيسية وتتحدد بشكل واضح في مجال إدراك العميل الكلي هي عملية فصل للشكل عن الأرضية وبالتالي تهيئة أحسن الظروف لتكوين البصيرة وهي حجر الزاوية في علاج المشكلة :

نقد النظرية :

المحاسن :

(١) الحد من تطرف المدرسة السلوكية في تفسير بناء الشخصية على أساس الرباط الشرطي الميكانيكي وكأن الإنسان مجرد آلة تسير بلا هدف ولا إدراك ولا مشاعر . ومدرسة الحشطلت قدرت وزن أهداف الإنسان ومداركه ومشاعره في تعيين شخصيته وهذا أمر يطابق الواقع التجريبي والمنطق والخبرة .

(٢) الحد من التطرف في النزعة إلى تحليل شخصية الفرد إلى سمات ، والتعلم إلى روابط عصبية مختلفة والإدراك إلى احساسات مختلفة . ووجهت الاهتمام إلى ضرورة ملاحظة الفرد ككل أثناء حل مشكلات الحياة اليومية في جو طبيعي ، وبالتالي لفهم شخصيته مما حقق فوائد عملية ، ببناء عديد من الاختبارات الموقفية لدراسة الشخصية . فالتركيز هنا على استجابة الفرد الكلية أثناء اشباع حاجاته . لا الاستجابة الجزئية (جذب يد أو رجل) .

(٣) أعضاء قدر متوازن من الاهتمام إلى القوى الذاتية للفرد والقوى البيئية ، وتفاعل هذه القوى الذي يحدد المجال السلوكي للفرد ، ويؤثر في تكوين شخصيته . على عكس المدرسة السلوكية التي تركز الاهتمام فقط على قوى البيئة .

العيضوب :

(١) الاعتماد على التقييم الكيفي للشخصية في اختبارات المواقف العملية ، وهذا التقييم يختلف باختلاف الفاحصين على عكس التقييم الكمي لسمات الشخصية في النظرية السلوكية وهو تقييم موضوعي لا يختلف باختلاف الفاحصين .

(٢) اختبارات المواقف العملية التي تتيح الفرصة لتقييم الشخصية ككل قد لا تكشف عن عناصر مهمة بدقة كافية ، مثل السلوك الجنسي أو درجة الذكاء أو الرغبات اللاشعورية المكبوتة . . . الخ .

(٣) تركز هذه النظرية على سلوك الانسان في الحاضر ومشكلاته الحالية لفهم شخصيته وإصلاح انحرافاتهما . ولكن النظرة الواقعية السليمة ترى أن سلوك الانسان حصيلة نظراته الوراثة والحاضرة والمستقبلية . فشكلات الماضي وذكرياته ، والحاضر وضغوطه ، وتطلعاتنا للمستقبل كلها قوى لا يمكن اغفالها في فهم الشخصية .

(٧) نظرية التحليل النفسى Psychoanalysis

أسس هذه المدرسة الطبيب النمساوى فرويد Freud (١٨٥٦-١٩٣٩) وتبعه كثيرون من بعده أشهرهم أدلر (Adler) ، ويونج (Jung) ، ومؤسسى مدارس التحليل النفسى الجديدة Neopsychoanalysis ومنهم (فروم) Fromm ، (و كاردنر) Kardiner ، و (هورناى) Horney ... الخ الذين اختلفوا مع فرويد لاختلافا جزئيا لاختلافا كلياً .

وأهم فروض هذه النظرية ما يلى :

(أولاً) : توكيد أهمية اللاشعور Unconscious فى تكوين الشخصية وتكاملها وتصنعها ، وفى تفسير الظواهر النفسية الشاذة والسوية على السواء . بل أن الحياة الشعورية ما هى إلا جزء يسير من الحياة النفسية إذا قورنت بالحياة اللاشعورية .

لقد ظل علم النفس فترة طويلة من الزمن هو علم الشعور ومنهج دراسته هو التأمل الباطنى للأفكار والمشاعر والرغبات ، إلى أن جاء فرويد وذكر أن اللاشعور أكبر أثراً فى تحريك أفكار الفرد ومشاعره وأفعاله وأن المنهج الرئيسى لدراسته هو التداعى الحر وتفسير الأحلام .

والسبب فى افتراض فرويد وجود اللاشعور فى الشخصية أن الحالات المرضية التى قام بعلاجها لا يمكن تفسير الاضطراب النفسى فيها تفسيراً مقنعاً إلا على أساس أن هناك عقلاً باطنياً يستر خلفه استعدادات نفسية لا يدركها الفرد ولا يعرف صلتها بسلوكه ولا يستطيع شعوريا الإقلاع عنها دون مساعدة من متخصص ولا ثبات ذلك نعرض هذه الحالة على سبيل المثال لا الحصر :

(لىلى فتاة تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً . مثقفة ثقافاة لا بأس بها ، ومن أسرة متوسطة الحال ، جميلة المظهر جذابة الملامح ، يشوب جمالها .

سحابة من الحزن والألم الصامت . جلست ليسي أمام الطبيب النفساني وبعد فترة من التردد والحياء أخذت تقص عليه قصتها فقالت : اننى يا دكتور أعانى منذ بضع سنوات حالة من الخوف الغريب الشاذ الذى سبب لى كثيرا من الآلام ، وجعل حياتى كلها سلسلة متصلة من الحزن والشقاء . ولقد سعيت إليك لعلك تستطيع انقاذى ، مما أنا فيه من عذاب ، فأجابها الطبيب النفساني فى هدوء واطمئنان ، وما الذى تخافينه يا آنسة ؟ قالت : اننى أخاف من عيون الناس ، فقال الطبيب : أرجو أن توضحى ماذا تقصدين بذلك ، فقالت : اننى أخاف من العيون ، اننى لا أستطيع أن أنظر إلى عيون صديقاتى أو إلى عيون الناس فى الطرقات ، والمجمعات . وعندما أخطب أحدا فأننى أخطبه وعيناي تنظران بعيدا عنه ، وذلك لأننى أخاف أن أنظر إليه فى عينيه مباشرة . أن النظر إلى عيون الناس مباشرة يسبب لى كثيرا من الخوف والاضطراب ، وهذا أمر يزعجنى ويؤلمنى كثيرا جدا ، ولا يقتصر الأمر على الخوف من النظر إلى عيون الناس فى حياة اليقظة . بل أننى كثيرا ما أحلم أحلاما مزعجة ، أرى فيها اشخاصا ينظرون إلى بعيون جاحظة مخيفسة كأنهم مجانين ، فيتملكنى الجزع وأهب من نومي مذعورة .

ثم إبدأت على وجه الفتاة آثار الانفعال الشديد ، وامتدت يدها إلى حقيبتها فى حركة عصبية تبحث عن مبدل لتجفف به عرقها الذى أخذ يتصبب من جبينها بغزارة : وهنا سأها الطبيب النفساني : هل تستطيع أن تتذكرى متى ابتدأت تشعرين بهذا الخوف ؟ فأجابت الفتاة : لا أتذكر متى ابتدأ هذا الخوف وبخيل إلى أننى كنت أشعر به طول حياتى ، ولكنه ابتدأ يشتد أكثر فى السنتين الأخيرتين ، وكان من نتيجة ذلك اننى لم أعد قادرة على تركيز ذهنى فتأخر ترتيبى فى المدرسة ، وكذلك تأخرت صحتى ، وساءت علاقاتى الاجتماعية

بوجه عام ، ورأى الطبيب النفساني أن 'يطمئن الفتاة ويهدىء من ثورتها النفسية فقال لها : ان خوفك من العيون يا آنسة ناشئ في الأغلب عن واقعه سيئة مرت بك في الفترة السابقة من حياتك ، وفي الأغلب في فترة طفولتك فاذا استطعت أن تتذكرى هذه الحادثة التي سببت لك الخوف من العيون أمكنك أن تساعدني على علاج هذا الخوف وعلى نخلصك منه . لذلك أرجوك الآن أن تعودى بذاكرتك إلى الوراء وأن تحاولي تذكر تلك الحادثة الهامة التي كانت السبب في نشوء هذا الخوف ، فقالت الفتاة في شيء من اليأس والحيرة : انني لا أتذكر حوادث معينة تتعلق بهذا الخوف ، وكل ما أتذكره هو انني أخاف العيون منذ زمن بعيد ، ولكنني لا أدري لماذا أخاف ولا كيف نشأ الخوف ، فقال الطبيب : ان خوفك من العيون يرجع إلى ارتباط انفعال الخوف بالعيون نتيجة حادثة بالغة الإخافة مرت بك في أثناء الطفولة . ومن الضروري الآن أن تتذكرى هذه الحادثة . وتحت تأثير الحاح الطبيب النفساني أسندت الفتاة رأسها على المقعد ، واغمضت عينيها ، ورجعت بذاكرتها إلى الماضي السحيق تحاول أن تتذكر ما مر بها من حوادث منذ الطفولة المبكرة حتى الآن ، وانقطعت عدة جلسات في أيام متتالية . وفي كل جلسة تتذكر الفتاة كثيرا من حوادثها القديمة ولكنها لم تستطع أن تتذكر الحادثة المعينة التي يمكن أن تكون السبب في نشوء خوفها وكاد اليأس يستولي على الفتاة ولكن تحت تأثير تشجيع الطبيب وحثه استمرت الفتاة في التذكر حتى جاءت في الجلسة العاشرة فتذكرت حادثة مهمة مرت بها حينما كانت في سن السابعة . قالت الفتاة ، اذكر أنني حينما كنت في سن السابعة زرت عمة لي وكانت عمياء . وفي أثناء الزيارة دخلت حجرة نومها ولم يكن بها أحد وأخذت ألعب فيها وأعبت بمحتوياتها ، ودفعني حجب

الاستطلاع والفضول إلى البحث والتطلع في كل مكان بالغرفة وفي أثناء ذلك فتحت أحد الأدراج فتحة صغيرة وإذا بي أرى في داخل الدرج عينين براقتين تنظران إلى في الظلام من داخل الدرج ، لم أروجها ولكني رأيت عينين براقتين فقط بدون وجه . فتملكني الخوف والذعر وأخذت في الجري خارج الغرفة . وقد خفت أن أقص هذه القصة على أفراد أسرتي فيعاقبوني على دخولي الغرفة وعيبي بمحتوياتها ، ولذلك كتمت هذه الحادثة ولم أفصح بها إلى أحد ، قصت الفتاة هذه الحادثة وهي في اضطراب ظاهر ، وفي انفعال شديد وبعد أن هدأت الفتاة قليلا قال لها الطبيب : هذه هي الحادثة التي كنت أبحت عنها ، وهي لا شك الحادثة التي كانت السبب في خوفك من العيون . إن العينين البراقتين اللتين شاهدتهما داخل الدرج لم تكونا في الواقع إلا عينين زجاجيتين لعمتك العمياء . فحينما شاهدتهما وأنت طفلة صغيرة لم تستطعي فهم هذه الحقيقة . ولذلك انتابك الخوف والجزع لرؤيتك عينين بدون وجه . وهكذا ارتبط الخوف بالعيون وقد أصبحت بعد ذلك تخافين من العيون ، وما ساعد على نشوء هذا الخوف وتمكنه منك واستمراره مدة طويلة ما قمت به من كتمان وكبت لهذه الحادثة خوفا من العقاب فلو انك قصصت هذا الحادث على أهلك في وقتها لما كنت تعانين الآن من هذا الخوف ، وفي الجلسات التالية أخذ الطبيب في علاج الفتاة من هذا الخوف المرضي ومن بعض الحالات النفسية الأخرى التي ترتبت عليه . ولم تمض بضعة جلسات بعد ذلك حتى زال الخوف عن الفتاة ، وعادت إلى حالتها الطبيعية وزال عنها اليأس ، وتحسنت صحتها ، وأصبحت تستطيع تركيز ذهنها في دروسها . وتحسنت علاقاتها الاجتماعية ، وأخذت من جديد تشعر بلذة الحياة (١٧)

في هذه الحالة نجد أن اللا شعور تكون من مخاوف مكبوتة ولم تستطع الفتاة

تذكر الصدمة الانفعالية التي حدثت لها في الطفولة المبكرة بمجهودها الخاص دون مساعدة الطبيب النفسى . على عكس الحالات العقلية الشعورية التي يستطيع الفرد تذكرها مباشرة بمفرده ، أما الحالات شبه الشعورية Preconscious^١ هي التي يستطيع الفرد تذكرها بصعوبة بعد التفكير في أسباب تصرفاته ولكنه عاجلاً أو آجلاً سيتذكر الخبرات شبه الشعورية بمفرده خاصة لو كان عنده شيء من الثقافة السيكولوجية على عكس الحالات اللاشعورية التي لا يمكن تذكرها إلا بمساعدة الطبيب النفسى وبوسائل متخصصة أهمها التداعى الحر وتفسير الأحلام والتنويم المغناطيسى . وفي هذه الحالة كانت المخاوف تنعكس في أحلام الفتاة على شكل أشخاص كالحمازين ينظرون إليها بعيون جاحظة بعد تحريف الواقع الأصيل (الرمزية) الذى كان مجزء عيون زجاجية صناعية . فالمخاوف اللاشعورية تظهر في الحلم في صورة مقنعة وكذلك الرغبات اللاشعورية ، ومن هنا برز قيمة الحلم في دراسة اللاشعور ، وفي الحالة أيضاً نجد أن السلوك النابع من اللاشعور سلوك فسرى شاذ دون إرادة أو تفكير قبل الفعل . فكانت الفتاة رغم ثقافتها تخاف من عيون زميلاتهما المقربين إليها وتعلم أن هذا تصرف شاذ من جانبها ولكنها لا تملك^١ من أمرها رشداً .

أن العمليات اللاشعورية مثل العمليات الهضمية في رغم وجودها ليل نهار لا يمكن أن يخبر الشخص بما يجرى أثناء عملية الهضم ولا يكون على دراية مباشرة بعملية الهضم كما تحدث ، فلا يمكن أن يقول شخص الآن ثم افراز التريسين أو البيسين أو تحول الغذاء إلى أحماض أمينية .

خذ مثلاً شخص حدث له حادثة أوقعت به ضرراً شديداً ، فهو عادة لا يكون على بينة بأن الحادثة قد تمثل رغبة شديدة لا شعورية في عقاب الذات والتخفيف من عذاب الضمير النائر ، والشخص الذى تكون لديه رغبة نهمة

في طعام أو شراب لا يكون لديه عادة وعى بأن هذا النهم قد ينشأ عن رغبة خابت في الحب وكبتت في اللاشعور وأن الإرضاء البدني في الأكل قد حل محل الإرضاء النفسي في الحب، فالشخص على الأرجح لا يكون على وعى مباشر بهذه العلاقة كما هي قائمة فيه. والادراك الشعوري بين النهم في الأكل أو الشراب والدافع للحب أى كشف علاقة جديدة بين النتائج والأسباب هو ما يسميه روجرز وليفين بالبصيرة، وما يسميه فرويد بالانسجام بين الشعور واللاشعور وهو جوهر العلاج النفسي في النظريتين. هنا يقول فرويد « إن عملنا العلمي في علم النفس يتألف من ترجمة العمليات اللاشعورية إلى عمليات شعورية فتملاً بذلك الفجوات القائمة في الادراكات الشعورية (١٨) » .

والسبب في دفع الخبرات من الشعور إلى اللاشعور هو أن الخبرة التي تمر بها خفيفة أو مؤلمة أو مشينة أو أن الرغبة مستكرهة للنفس وللناس فهي رغبة جنسية محرمة أو عدوانية مشينة مخجلة أو أن الموقف الشعوري موقف صراعى يتضمن رغبة واقعه وقوة مانعة ولا يستطيع الفرد الحل أو التأجيل أو تقبل الموقف على ما فيه من آلام . .

خذ مثلاً حالة الفتاة التي أرغمت على الزواج من رجل كبير تكرهه تحت ضغط الأهل حرصاً على مصلحتهم أو لإغراء المال ، هنا ، (تريد الفتاة المسكينة أن تصرخ بأعلى صوتها وتقول ، يا ناس حرام عليكم ! ! أنا أكرهه ، أريد ألا أعيش معه لا أريد رؤيته ثانية واحدة ! ! وهذه قوة دافعة أو حافزة ، ولكنها تصطدم بقوة أخرى مانعة أو كابنة أو معارضة وهي الرغبة في إرضاء الأهل أصحاب الفضل في التربية ، أو قد تكون القوة الكابنة نتيجة الخوف من الأهل أى الخوف من العواقب) هنا تصبح الفتاة كالبنديقة بين كفى الرضى أى في صراع نفسى بين القوة الدافعة والقوة المانعة التي تدفع بالرغبة في عدم الزواج من الشعور إلى اللاشعور، ولكنها هنالك لن تموت.

وحتى ينخفض القلق المنبعث من الصراع النفسى لأبد من توفيق بين القوة الدافعة الشعورية والكابته اللاشعورية .

ماذا حدث .. عجزت الفتاة عن الرؤية وفر العريس من العمياء وانخفض القلق بالرغم من أنه ليس هناك عيب في الميكاتيزم البصرى كما قرر الطب .

هذا يعنى أن هنالك قوة كابته « شحنة مضادة » تشل حركة الشحنات البصرية . والسبب في أن الفتاة لا تريد أن تبصر هو أن الرؤية مثقلة لها غاية الإيلام . هو دفن ربيع شبابها في خريف هذا الشيخ المتهالك .

هى تخاف خوفا شديدا من أن تبصر ، مثلها في ذلك مثل الشخص الذى يغمض عينيه في السينما أو في الشارع لكي يتجنب مشاهدة منظر مروع .

وهذا العمى المستعصى الذى يعتبره الناظر الخارجى شذوذا قد أعفاها من أن تصرح بكرهاتها للعريس والأهل أو أن تتصادم مع دوافعها الأخلاقية والدينية والتقاليد الأسرية ، وهكذا تم التوفيق بين الرغبة الحافزة الشعورية والرغبة المكبوتة اللاشعورية ، وهذا ما يحدث في أغلب أعراض الأمراض النفسية العصابية (وليس العصبية) الذى لعب اللاشعور فيها دورا كبيرا .

وحينما يكون سلوك الفرد شاذا ولا يستطيع تغييره بإرادته ورمزيا (تحريف الدوافع اللاشعورية بإشباع بديل لها) ولا يعرف الفرد ما يريد يكون وراءه دوافع لاشعورية تلعب دورا خطيرا في شخصيته فنجد هذا الفرد مثالا ينتقل من مهنة إلى مهنة ، أو زوجة إلى زوجة ، أو من هواية لهواية ، ويجهل ما يفتقد على وجه التحديد وكل ما في الأمر أنه يشعر بحالة من الضيق والتوتر والقلق تحمله على القيام بمحاولات عشوائية متتالية ، لذا نجده في أغلب الأحيان سلوكا شاذا أو جامدا لامرونة فيه لأنه سلوك لا يعرف هدفه . هذا على عكس الدافع الشعورى الذى يشعر به صاحبه شعورا واضحا ويلترك طبيعته وهدفه ومن ثم يستطيع مجابهته

والتعبير عنه باللفظ وإدراك الصلة بينه وبين السلوك الصادر عنه كدافع الجوع أو الجنس الاستطلاع أو الولاء للوطن أو الأمانة . . . الخ .

والصعوبة التي تجعل الفرد غير شاعر بدوافعه ترجع إلى أسباب عدة أهمها (١) التحام الدوافع مع بعضها على نحو يجعل من الصعب فصلها وتحليلها فسلوك الزواج مثلاً قد يلتحم وراءه عدة دوافع مثلاً الجنس ، والرغبة في المال أو الرغبة في الجاه والقوة والرغبة في إرضاء الله أو الأهل أو المجتمع . . الخ (٢) أن يكون الدافع قديماً اعتراه النسيان منذ عهد الطفولة فن الناس من يعتريه الئء عند شرب اللبن مثلاً وقد يكون الدافع إلى هذا حدثاً قديماً مؤثلاً مرتبط بشرب اللبن ، (٣) أن الدافع يجلب للفرد الألم أو الخوف أو العار أو الإثم أو الشعور بالنقص أو مس الكرامة إذا بدأ الدافع في بوثة الشعور مثل كراهية الأب أو الرغبة في السرقة ، أو تمنى زوال نعمة الغير وهكذا .

ولقد استطاع فرويد أن يسوق أدلة متعددة لإثبات وجود الحياة العقلية اللاشعورية أهمها ، (١) تحليل الحالات المرضية التي قام بعلاجها في عيادته (٢) الكشف عن العمليات اللاشعورية حينما تنخفض مقاومة الفرد وينشط تذكره في جلسات التنويم المغناطيسي الطبي (٣) الكشف عن العمليات اللاشعورية في أحلام الفرد (٤) النسيان الانتقائي الذي ينصب على الخبرات الخفية أو المشينة دون سواها (٥) ذلات اللسان والأقلام التي سرعان ما ينكرها المتحدث أو الكاتب وتتصل بدوافعه اللاشعورية (٦) اضاعة الأشياء الذي يكون ظاهره الصدفة أو الإهمال وباطنه قصد دفن لا شعوري مثل ضياع خاتم الخطوبة الذي يتصل برغبة لا شعورية في عدم الرغبة

إتمام الزواج (٧) كسر أشياء ظاهرة القضاء والقدر ومجرد الحركة الطائشة وباطنه ضيق أو نفور وملل لا شعورى من هذا الشيء (٨) الأفعال المرضية مثل التعثر والذلل أثناء المثي الذى يكون وراءه أحيانا خوف لا شعورى مما يسعى إليه الفرد بمشييه (٩) ألعاب الأطفال التى تكوى غالباً ألعاب تعبيرية رمزية عن مخاوف ورغبات ومتاعب لا شعورية .

مجمّل ما تقدم أن اللاشعور أو العقل الباطن يعرف بأنه مجموع الاستعدادات النفسية التى يستحيل تذكرها وتؤثر فى سلوك الفرد دون أن يدرك وجودها أو صلتها بسلوكه ويتكون من ، (١) الاستعدادات الفطرية (٢) المخاوف المكبوتة (٣) الدوافع المكبوتة (٤) الأحداث الأليمة المرتبطة بالصدمات الانفعالية (٥) الصراعات النفسية المكبوتة ، واللاشعور محكوم بقانون البحث عن اللذة والراحة والإشباع الفورى للرغبات المكبوتة بصرف النظر عن الواقع أو القواعد الأخلاقية والدينية والإجتماعية أما الشعور فيتكون من الخبرات التى يسهل على الفرد تذكرها ومحكوم بقانون الواقع والمنطق .

واللاشعور يؤثر فى قطّاع كبير من سلوكنا أكبر من ذلك الذى يؤثر فيه شعورنا سواء أكان سلوكاً سوياً أو شاذاً ، وأن السلوك الصادر عن الدوافع والصراعات اللاشعورية يؤثر تأثيراً سلبياً فى الشخصية لأنه سلوك لا يعرف هدفه لذا تجده سلوكاً قهرياً شاذاً يتنافى مع ما يعرفه الناس عن الفرد ولا يتناسب مع منبهاته .

(ثانياً) أن مرحلة الطفولة المبكرة حتى ست سنوات من العمر بما فيها الرضاعة بالغة الأثر فى تشكيل شخصية الراشد وأن تصدع شخصيته غالباً يرجع إلى صراعات لا شعورية تكونت فى عهد الطفولة المبكرة .

ومن الأدلة التى تثبت ذلك الحالات المرضية المتعددة التى عولجت بواسطة التحليل النفسى سواء فى عيادة فرويد أو غيره ونسوق على سبيل المثال الحالة الآتية :

تتلخص الحالة في أن شاباً متزوجاً قد أدخل المستشفى لعلاج عينيه اللتين فقدتا قدرتهما على الأبصار عقب حادث تصادم وقع له وهو يقود سيارته في طريقه إلى إحدى المستشفيات لزيارة زوجته التي وضعت مولوداً جديداً . لم يصب هذا الشاب في الواقع في هذه الحادثة إلا ببعض خدوش طفيفة . ودل الكشف الطبي على سلامة العينين سلامة تامة ولذلك فقد أحيل الشاب إلى قسم الطب النفساني بالمستشفى . ولقد تبين من تاريخ حياة الشاب أنه كان الابن الوحيد لرجل ضعيف البدن ، ضعيف الشخصية ، ميال إلى الاعتماد على الغير ، وكانت أمه على العكس من أبيه قوية البدن قوية الشخصية مستقلة الرأي ميالة للسيطرة .

نشأ الشاب يحب الطبيعة المسالمة ولين العريكة مثل أبيه ، وفي نفس الوقت يحب السيطرة والاستقلال والاعتماد على النفس مثل أمه . ولكون هذان الدافعان متعارضان لا يمكن اشباعهما في وقت واحد ، كما أنه لا يستطيع أبداء رأي مستقل مع أمه وبمعنى آخر يخاف من ابداء هذا الرأي مع هذه الأم العنيفة القوية كبت هذا الصراع الطفلي كبتاً عنيفاً في اللاشعور .

فلما بلغ الشباب سن الرشد بدأ يحس بخوف شديد من أن يصبح زوجاً ضعيفاً ولذلك قرر الاضراب عن الزواج وكذلك بدأ يشعر برغبة شديدة نحو الاستقلال والاعتماد على النفس ، فانفصل عن أسرته وأخذ يشق طريقه في الحياة مستقلاً عن والديه . وبالرغم من إصرار هذا الشاب على عدم الزواج ونزعه للاستقلال إلا أنه تزوج أخيراً من فتاة قوية الشخصية تشبه أمه في سيطرتها ونفوذها الطاغى . وكثيراً ما كان الشاب ياجأ إليها يستشيرها في أعماله الخاصة وغالباً ما يتبع آراءها ويعتمد عليها في حل مشاكله . وقد كان ذلك يسبب له كثيراً من الضيق والقلق لكنه مع ذلك لم يستطع التخلص من الاعتماد على زوجته واستشارتها في كل ما يعن له من مشاكل . لقد كان الشاب في الواقع

مدفوعاً برغبة شديدة في الاعتماد على زوجته كما كان يعتمد على أمه وهو طفل صغير . وقد كان في نفس الوقت يشعر برغبة في الاستقلال بالرأى والاعتماد على النفس وهكذا كان فريسة صراع نفسى لا شعورى طفلى . وبعد عامين من زواجهما ظهرت على الزوجة بوادر الحمل وكان زوجها قد اقنعها من قبل باتخاذ جميع احتياطات اللازمة لمنع الحمل . فلما ظهرت عليها بوادر الحمل حاول زوجها اقناعها باجراء عملية اجهاض ولكن الزوجة رفضت الرضوخ . وظل الشاب طوال أشهر الحمل وهو يأمل أن يحدث ما يمنع إتمام الحمل . أو ان تتاح له يوما فرصة للتخلص من زوجته بالطلاق . ولما ذهبت الزوجة للمستشفى للوضع أدرك الزوج أن مجيء الطفل سيربطه إلى الأبد بزوجته فسبب له هذا الادراك شيئاً كثيراً من الاضطراب والقلق . فلما جاءه النبا يبشره بميلاد ابنه استقل سيارته وأسرع إلى المستشفى . وفي طريقه إلى المستشفى وقع حادث التصادم الذي أحس الشاب بعده أنه فقد بصره .

ولما بدأ العلاج النفساني لهذا الشاب كان أول خاطر مر بذهنه أثناء التحليل النفساني هو أنه وقد أصبح أعمى فانه لا يستطيع أن يرغم زوجته على البقاء معه . ولذلك أصبح من الواجب عليه أن يعفيها من استمرار الحياة معه وذلك بتطليقها (١٧) .

وهكذا نجد أن الخبرات الخاصة أثناء طفولة الشاب كانت قوية التأثير في تشكيل شخصيته وهو راشد . ونستطيع أن نتبين وجود صراع طفلى لا شعورى بين رغبة الشاب نحو الاستقلال والاعتماد على النفس وحب السيطرة وبين رغبة أخرى نحو الاعتماد على الأم أو أى امرأة أخرى تشبه الأم وهذا الصراع مكبوت لا شعورى . وأن الصراع النفسى الجديد مع الزوجة قد أيقظ الصراع الطفلى القديم مع الأم .

ثم عودة هذا الصراع مرة أخرى في الرشد . فقد كان زواج هذا الشاب من امرأة تشبه أمه في حب السيطرة والرياسة سبباً في إثارة رغبته اللاشعورية في الخضوع لها والاعتماد عليها . ولما كانت هذه الرغبة اللاشعورية تتعارض معارضة صريحة في رغبته في الاستقلال والسيطرة نشأ ذلك للصراع العنيف الذى سبب له كثيراً من القلق والاضطراب ، وقد بلغ هذا الصراع أشده حينما رزقت الزوجة بولد مما جعل الشاب يعتقد أن التخلص من هذه المشكلة وما تولده في نفسه من صراع أصبح أمراً عسيراً .

ونستطيع مما تقدم أن نفسر العمى الذى أصيب به هذا الشاب على أنه طريقة شاذة لحلها إليها الشاب لاشعورياً للتخلص مما يعانيه من صراع نفسى شديد وقد رأينا أن أول خاطر مر بذهن هذا الشاب حينما أصيب بالعمى كان يتعلق بضرورة تطليق زوجته لأنه لا يريد أن يلزمها بالبقاء معه وهو أعمى (١٩) .

ومن الأدلة العلمية التى تؤيد رأى فرويد في أهمية مرحلة الطفولة المبكرة في تشكيل شخصية الفرد ما جاء بالدراسات الانثروبولوجية المختلفة . ومن أهم هذه الأبحاث أبحاث (مرجريت ميد) على ثلاثة قبائل بدائية تعيش في غينيا الجديدة بأفريقية وسجلت نتائج هذه الدراسة في كتابها بعنوان « الجنس والمزاج في مجتمعات أولية ثلاث » فشخصية المراهق في قبيلة (الأرايش) شخصية هادئة متعاونة . لأن هذا المراهق عندما كان طفلاً لقي من العطف والشعور بالأمن مما خلق من مراهقته انساناً متكيفاً . فالنساء يرضعن أطفالهن وهن جلوس مع المداعبة ويسمح للطفل بالرضاعة الكافية ويظل الطفل يرضع رضاعة طبيعية حوالى السنتين ، وبعد البلوغ يسمح للصبي بتحمل مسئوليات الرجال ويجرى لذلك حفلاً يشهده كل أفراد القبيلة وغالباً

ما يتزوج الشاب في هذا الحفل . على عكس المراهق في قبيلة (منديوجمور) فهو من النوع العدواني الحشن المقاتل بسبب ملاقاه في طفولته من القسوة والاهمال فالنساء يرضعن اطفالهن وهن في حالة وقوف دون مداعبة ولا يسمح للطفل بأن يرضع كثيرا والقطام يتم في وقت مبكر جدا وبقسوة فتدفع الأم الطفل عنها وتصر به إذا طلب الثدي . وعندما يشب الطفل ويصل للمراهقة يجد مجتمع الأسرة والمجتمع العام يشوبه الصراع والبقاء للأقوى .

وعلاوة على ما سبق فقد دلت مقارنة تواريخ حياة من خرجوا من الرجال من الحرب منهارين في أثر أمراض نفسية أن المشاكل السلوكية في طفولتهم - كالخاوف الشاذة واضطراب النوم والتبول القسري كانت أكثر بثلاثة أطفالها منها عند من خرجوا من الحرب سالمين .

وها هو (بيرت) الذي درس الأحداث الجانبين دراسة نفسية واجتماعية مستفيضة يقول : « أن أشيع العوامل وأكثرها خطرا وتدميرا هي العوامل التي تدور حول حياة الأسرة في الطفولة » وهذا الرأي لا يختلف كثيرا عن رأى فرويد حينما يقول : « الطفل أب الرجل من الناحية السيكلوجية وأن الحوادث في أعوامه الأولى أهمية عظمى بالنسبة لجميع حياته التالية » .

(ثالثا) تتكون الشخصية من ثلاث قوى نشطة تتفاعل وتتصارع باستمرار ويكون سلوك الفرد هو المحصلة النهائية للصراع بين هذه القوى الثلاث « الهو » Id ، و « الأنسا » Ego ، و « الأنا الأعلى » Super Ego الهو أو « النفس البدائية » هو أقدم قسم من أقسام الشخصية ويجوئ كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة وما هو ثابت

فى تركيب البدن وهو لذلك يحوى قبل كل شىء الغرائز التى تنبعث من البدن خاصة الغريزة الجنسية والأمن الجسمى والدافع لسد الرمق وإرواء العطش . . الخ . والهـو هو الجانب اللاشعورى العميق من الشخصية الذى ليس بينه وبين العالم الخارجى الواقعى صلة مباشرة لذا فهو يطالب الاشباع الفورى للغرائز بصرف النظر عن المعايير الاجتماعية أو المنطق أو مناسبة الزمان والمكان أو مصلحة الفرد فى المجتمع ، فهو يسير بوحى مبدأ الله ، فهو طبيعة الانسان الحيوانية قبل أن يتناولها المجتمع بالتحوير والتهديب ، وكثيرا ما يعبر عن نفسه مناديا (أريد ما أريد عندما أريد وكيفما أريد) .

ومعنى ذلك أن الهو محكوم بصفة عامة بقوانين اللاشعور غير المنطقية ، أما عن طبيعة هذه القوانين على وجه التحديد فلم يذكر منها فرويد سوى قانونين هما : « (١) قانون التكثيف Condensation وهو الميل نحو تكوين وحدات جديدة من عناصر هى بالضرورة منفصلة بعضها عن بعض ، فى اللاشعور وهو الحالة فى السائدة فى الهـو تجتمع المتناقضات دون حرج ، وتستخدم الأضداد كأنها مترادفات فى الشخص المصاب بجنون الاضطهاد مثلا والذى انفصلت شخصيته من الواقع وأصبحت محكومة بقوانين الهـو اللاشعورية نجد أن تصرفاته تخضع لقانون التكثيف فقد نجده يقول فى هذيان الاضطهاد مثلا : « أن زوجتى وابنتى قد اتفقتا مع عشيقها ضدى وقاما بوضع سائل منوى لى فى فنجان القهوة وشربته دون أن أدري وبعد ذلك انتفخت بطنى وأصبحت حاملا » هنا نجد الجمع بين الرجل والحمل جائزا وعاديا عندما يتفصل الانسان من الواقع وتدمجه جيوش الهـو وتحكم شخصيته طبقاً لقوانينها . وكذلك قد نجد الحب مع الكره فقد يتحدث هذا المحنون مع المعالج عن حب شديد لهذا المعالج وبعد لحظة قد يبصق عليه أو يصفعه على وجهه .

ثم قانون الإبدال Displacement وهو الإستعاضة عن شىء بشىء آخر :
 وشىء عادى أن يلجأ أى ذهائى مصاب بجنون الفصام أو البارانونيا إلى فعل
 العادة السرية علناً أمام الغير وكأن الغير (الواقع) غير موجود . وهنا نجد أن
 الفرد غير هدف أو موضوع الغريزة الجنسية وهو فرد من الجنس الآخر
 بهدف أو موضوع آخر ، وفى العناصر الرمزية فى الأحلام نجد
 العديد من عمليات التكثيف والابدال ، فعمليات التبرز والتبول قد ترمز
 للجماع ، والأسلحة أو الأدوات قد ترمز للقضيب ، والملكة قد ترمز
 للأم والملك للأب ، والأسنان لعملية الوضع . . . الخ وقد استنتج فرويد
 قانون التكثيف وقانون الابدال من دراسته للأحلام .

الواقع أن عملية فك رموز اللاشعور الذى يحكم الهو التى تفسر لنا كيف
 يعمل ، عملية مازالت غامضة وفى ذلك يعترف فرويد فى آخر كتاب له
 يقول : (. . . ما هى الطبيعة الحقيقية لكيفية اللاشعور وهى الحالة السائدة
 فى الهو ؟ وما هى الطبيعة الحقيقية لكيفية قبل الشعور وهى الحالة السائدة فى
 الأنا ؟ وما هو الفرق بينها ؟ أما عن هذا الأمر فلسنا نعرف شيئاً . وبلى
 نحن فى جهالة مظلمة نندران ينفذ إليها بصيص من الضوء . وذلك لأننا قد
 اقتربنا هنا من سر الحياة الحقيقية الذى لا يزال فى طيات الغيب) (٢٠) .

ويجب أن نضع فى اعتبارنا هنا أن قانون التكثيف والابدال لا يقتصر
 على الانحرافات النفسية الشديدة بل مطبق أيضاً فى بعض حالات الانحرافات
 النفسية المتوسطة كما فى الأمراض العصابية ، وكذلك فى حالات الاضطرابات
 الخفيفة . فالعادة السرية شائعة بين المراهقين العاديين تقريباً كما هى موجودة
 لدى الذهانين . ويمكن اعتبار حالات الشذوذ الجنسى والاتصال الجنسى
 بالأطفال أو الحيوانات كلها من قبيل الانحرافات الجنسية الاستبدالية .

١١٣

والتكثيف قد يوجد في بعض الحالات العصائية وأصحابها ما زالوا متصلين بالواقع وفيما يلي ملخص لحالة من هذا القبيل : « حالة فتاة جامعية جميلة ناجحة في دراستها تعاني دائماً من القىء والحز والفقير الدم شديد . وبالبحث الطبي تبين عدم وجود أى أعراض مرضية ولكن الأعراض كلها كانت نفسية . . . فقد تبين عندما اقترب الطب النفسى من شخصية الفتاة المريضة أن شقيقتها الصغرى تزوجت وحامل وتعالى من قىء الحوامل . وعندما سئلت الفتاة المريضة قالت انها لا ترغب في الزواج إطلاقاً ولا تفكر فيه ! ! وأنها تريد تكلمة التعليم الجامعى ولكن القىء كشف عن رغبتها اللاشعورية في الزواج .

وهنا اجتمعت المتناقضات للفتاة العذراء وقيء الحوامل ، تماماً كما في حالة الذهاني الرجل وأعراض الحمل .

الأنساي (النفس التوفيقية) :

تحت تأثير العالم الخارجى الواقعى ينمو جزء من الهو نموا خاصا . فن جهاز استقبال المنبهات البيئية والوقاية من التنبيه المفرط ينشأ جهاز الذات أو النفس التوفيقية التى تعمل كوسيط بين الهو وبين العالم الخارجى . أى أداة للتكيف والتوفيق بين مطالب الهو والظروف الخارجية . فكأنه جهاز له عينان عين تطل على الغرائز ومطالبها خاصة الجنسية والعذوانية ، وعين تطل على مطالب المجتمع الخارجى ، ثم العمل على التوفيق بين المطلبين في وقت واحد .

وجهاز النفس التوفيقية يعمل على مستوى شعورى أو ما قبل الشعور ويسير على هدى قانون الواقع أى ما هو كائن ومصلحة الفرد في العالم الخارجى ، بينما الهو والأنا الأعلى يتصلان بمكونات لا شعورية ويعملان في الخفاء أو من وراء ستار ، ويسير الهو على مبدأ اللذة والأنا الأعلى يسير في ضوء قانون — ما يجب أن يكون .

والأنا هو مركز الشعور والإدراك والحكم والتبصر في العواقب والإشراف على الحركة الإرادية ومهمته حفظ الذات عن طريق إدراك الحوادث الخارجية الخطرة فيعطى إشارة الهرب أو مواجهة الخطر؟ والتصرف في المنبهات المعتدلة عن طريق التكيف (التعود عليها حتى يصبح الفرد غير شاعر بها). وكذلك يقوم بضبط الهو وتوجيهه عن طريق كبت الدوافع أو تخويرها أو تأجيل اشباعها لظروف مناسبة في العالم الخارجى أو الاستعاضة عنها بغيرها.

وبذلك تجد الأنا من غلواء الهو وتهذب رغباته الجاهلة أو تمنعها من الظهور فتحمى الشخصية من احتقار المجتمع ، والأنا تتأثر بمبدأ الواقع وتحترم حدوده ومنطقه وتجبر الانسان على تأجيل اشباع بعض الرغبات في سبيل اهداف عليا ترتبط بها حتى لو تحمات في سبيل ذلك بعض الارهاق والمشقة والألم ويمكن القول بأن الذات هى القوة الكفيلة بحراسة الكيان الكلى للشخصية وتنظيم صلتها بالعالم الخارجى ، وحين ما ترى ما ينذر بالخطر تصيح ، « قف . انظر واسمع » . فاذا توقع الأنا حدوث زيادة في الضرر قابل ذلك باعلان (اشارة القلق) أو جرس الخطر سواء كان التهديد آتياً من العالم الخارجى أو من العالم الداخلى أى من الهو أو من الأنا الأعلى .

وحيث أن أهم خصائص الأنا هو التحكم الانفعالى وكبح جماح الشهوات وتأجيل اشباع الرغبات بجانب التوفيق بين المتطلبات المختلفة لذا نجد أن أهم مقومات الأنا القوية السليمة والذى يتمتع صاحبها بتكامل الشخصية والصحة النفسية العالية هى : (١) الإرادة (٢) والنضج الانفعالى ، (٣) البناء الخلقى غير المترمت . وبمعنى آخر تعود الفرد منذ طفولته المبكرة

- ١٣٥ -

على ضبط النفس والاعتماد على النفس والثقة بالنفس ، وإذا لم تزود التنشئة الاجتماعية خاصة في الطفولة المبكرة الفرد بهذه الأسلحة نتج عن ذلك الأنا الطفولى وهو أضعف من أن يولف وينسق بين جميع المطالب وبالتالي تسير الشخصية في طريق التفكك والتصدع .

فتضعف الوظيفة التوفيقية للأنا إذا كان هناك شطط في الطلبات الفطرية (الهو المكبوتة كبنا عنيفاً) أو الطلبات الأخلاقية المتمتة (الأنا الأعلى المبنية على الامتثال المطلق للقواعد الأخلاقية وتهويل الاخطاء) ، أو زادت مسئوليات الأسرة والعمل والمجتمع والخارجى بتعاليمه وقوانينه وقيمه المختلفة عن حدود المعقول . في هذه الحالة تعجز الأنا عن عملية الارضاء المتزن لجميع المطالب ، أى تعجز عن أن تقوم بمهمة الحكومة الديمقراطية التى تستمع للجميع وتعترف بحاجات الجميع وتتوسط لتراضى الجميع ، وتصبح شخصية الفرد مسرحاً لتصارع هذه الرغبات والمطالب المشططة ويكتسحها القلق ، أو العداء للمجتمع مصدر السلطة ، أو يمارس الفرد العديد من المشاعر السلبية والأمراض النفسية ، أو قد يسلك سلوكاً مضطرباً يتحول إلى الانحراف والاجرام وما إلى ذلك من صور الاضطراب الجسمى والنفسى والاجتماعى .

الأنا الأعلى (النفس المثالية) :

هو الجهاز الثالث الرئيسى من أجهزة الشخصية . ذلك الجانب الأخلاقى القضائى من جوانب الشخصية الذى يكافئ ويعاقب ، يكافئ بالسرور والراحة أو يعاقب بالشعور بالذنب أو بوخز الضمير . ويعمل من خلف ستار أى لا شعورى مثل الهو . والأنا الأعلى يعتبر الرقيب النفسى اللاشعورى أو السلطة الداخلية أو القانون الأخلاقى الذى يدفع الفرد إلى عمل المباح

ويكفه عن المحذور فهو سلطة تشريعية قضائية تنفيذية في نفس الوقت .
ومثوبات وعقوبات الأنا الأعلى توقع على الأنا لأن الأنا - من حيث أنه مشرف
على أفعال الانسان - مسئول عن حدوث الأفعال الأخلاقية والمنافية للأخلاق
ومهما يكن من أمر ، فليس من الضروري للانا أن يسمح بوقوع فعل
بدني لكي يجازى أو يعاقب بواسطة الأنا الأعلى ، فقد يجازى الأنا أو يعاقب
لمجرد التفكير في فعل شيء ما . فان التفكير في شيء كفعله سواء بسواء
في نظر الأنا الأعلى . ويفسر لنا هذا كم أن فردا يحيا حياة فاضلة ومع
ذلك قد يعاني من وخز الضمير . إذ أن الأنا الأعلى يعاقب الأنا على التفكير
أفكارا سيئة وحتى ولو لم تترجم هذه الأفكار بتاتا إلى أفعال .

والمثوبات والعقوبات قد تكون مادية وقد تكون نفسية فن ناحية المثوبات
المادية يوحى الأنا الأعلى للفرد الذي سلك مسلك الفضيلة . « الآن وقد كنت
فاضلا زمنا طويلا سيسمح لك بالترويح عن نفسك وقضاء وقتاً طيباً » قد
يكون ذلك بوجبة غالية الثمن أو باشباع جنسى مشروع أو براحة طويلة
... الخ . وللمذنب أخلاقياً قد يوحى إليه الأنا الأعلى لا شعوريا بقوله :
(الآن وقد كنت سيئاً ستعاقب بأن يحدث لك أمر لا يرضيك) وقد
يكون ذلك باضطراب في المعدة أو فقدان شيء ثمين أو عمل حادثة ، وفي
كثير من الأحيان تنطوى الكوارث على عقوبة ذاتية لارتكاب وزر من
الأوزار . ومن الأمثلة على ذلك تحطيم سيارة شخص في حادث بعد قليل
من اتصاله اتصالاً جنسياً غير مشروع ، ولا يكون الفرد بالطبع على بينهم
من الصلة بين الضمير التائر ووقوع الحادث هو انسان كالريشة في مهب
الرياح مطحون بين الهو الحافز ، وبين الأنا الأعلى المانع .

أما المثوبات والعقوبات النفسية التي يستخدمها الأنا الأعلى هي مشاعر
بالكبرياء أو بالذنب والنقص . فان الأنا يزدهى بالكبرياء حين
يسلك سلوكاً فاضلاً أو يفكر أفكاراً فضلى ، ويحس بالخجل من ذاته وبوخز
الضمير واحتقار الذات حين يخضع للإغراء . والكبرياء يعادل حب الذات
والشعور بالذنب يعادل كراهية الذات . وهذه التمثلات الباطنية للحب
والكره هو استدماج للحب والكره الأبوين .

لذا نجد أن الأنا الأعلى يتألف من جهازين فرعيين هما : (١) الأنا المثالي
Ego Ideal ، (٢) الضمير اللاشعوري Conscience . وإذا شبهنا الأنا
الأعلى بقطعة العملة لكان الأنا المثالي هو أحد وجهيها والضمير هو الوجه
الآخر .

والأنا المثالي يطابق تصورات الطفل بصدد ما يعتبره والداه حيزاً
أخلاقياً ، أما الضمير فهو يطابق تصورات الطفل بصدد ما يعتبره والداه
سئاً أخلاقياً .

فتتلاً إذا كوفىء الطفل (مادياً أو معنوياً) لأنه يواظب على النظافة
والنظام ، فان النظافة تصبح مثلاً أعلى من المثل العليا للطفل . وكذلك إذا
عوقب كثيراً لقذارته (مادياً أو معنوياً) فان للطفل يعتبر القذارة شيئاً سيئاً
يجب أن يعاقب عليه أو يشعر بالذنب نحو نفسه أو احتقار الذات لارتكابها
أفعالا قذرة .

وهكذا ينشأ الأنا الأعلى مع الأنا نتيجة التفاعل مع البيئة الأسرية واستدماج
الطفل المقاييس التي يقيس بها والداهما ما هو خير وما هو شر ، ما هو حلال
وما هو حرام . وإذا تشبه الطفل بسلطة والديه الأخلاقية يحل سلطته
الباطنية الخاصة محل سلطتها . وهذا الاحلال للسلطة الأبوية يمكن الطفل
من أن يضبط سلوكه في خط متوافق مع رغبات الوالدين ، وهو يفعل ذلك

حتى يضبط سلوكه في خط متوافق مع رغبات الوالدين ، وهو يفعل ذلك ليضمن رضاها ويتجنب ضيقها وتبرمها . وبعبارة أخرى ، لا يتعلم الطفل أنه ملتزم باطاعة مبدأ الواقع فحسب (قانون الأنا) ، الذي يتضمن الانتظار وترقب ظهور فرصة مناسبة في البيئة بصرف النظر عن الخير والشر أو باطاعة مبدأ الحصول على اللذة وتجنب الألم بأي ثمن (قانون الهو) ، ولكن يجب عليه أيضاً إطاعة قانون آخر هو ما يجب أن يكون ، أى إذا نامت عين الناس والقانون فان عين الله لا تنام ، وهكذا يستدمج الطفل خاصة في البيئة المتدنية تدبنا مستنيرا غير متزمت أقوى قانون خلق وأعظم ضابط لسلوك ومنظم للشخصية ألا وهو الضمير الدينى ، نور الخالق في عقل المخلوق المؤمن بالله . على عكس السيكوباتى مخلوع الضمير الذى لا يعانى أدنى قلق حتى لو ارتكب أكبر الكبائر . والناس على درجات في قوة الضمير أغلبهم من ذوى الضمير المعتدل القوى نسبياً في كثير من الأحوال وأقلهم من ذوى الضمير المتطرف المشطط الذى يحاسب على كل صغيرة وكبيرة أو من ذوى التكوين السيكوباتى مخلوعى الضمير .

والشخص الذى تخضع شخصيته لسلطان الأنا المثالى تتركز اهتماماته واختياره للموضوعات على أساس قيمها الأخلاقية أكثر من قيمها الواقعية وما يرتبط بها من نفع وضرر ، فالفضيلة والمثل العليا أهم لمثل هذا الشخص من الحقيقة .

ومدة الطفولة الطويلة التى يعيشها الطفل الناشئ مستندا على والديه تخلف أثرا يكون في أنا الطفل عاملا خاصا يعمل على إطالة سلطة الوالدين هذا العامل الخاص هو الأنا الأعلى . ولا يمثل الأنا الأعلى سلطة الوالدين فقط بل سلطة المجتمع أيضاً لأن الوالدان ينقلان للطفل رغبات الوسط

- ١٣٩ -

الاجتماعى المباشر وغير المباشر والعادات والتقاليد القائمة فى الثقافة السائدة فى المجتمع . وبنفس الطريقة يتأثر الأنا الأعلى للفرد أثناء نموه بالاشخاص الذين يخلفون الوالدين ويحاولون محملهم فيما بعد مثل المدرسين والشخصيات المحبوبة فى الحياة العامة والمثل الاجتماعية العليا .

ومن الواضح أن الأنا الأعلى والهوى يشتركان فى شىء واحد بالرغم من الفرق الأساسى بينهما فكلاهما يمثل سلطة الماضى . فالهوى يمثل سلطة الوراثة البيولوجية والأنا الأعلى يمثل سلطة الموارث الاجتماعية والثقافية . أما الأنا فهو على الأخص مقيد بخبرة الفرد الخاصة التى تعكس كيفية إدراكه ورد فعله بالنسبة لمعطياته الوراثة أو معطياته الثقافية والاجتماعية . فمن المقرر أن الفرد لا تستجيب للمعطيات الوراثة أو الثقافية كما هى ولكن كما يدركها ويشعر بها وفكرته عن نفسه وأسلوب حياته .

وهكذا يوضح لنا فرويد كيف تتفاعل الوراثة والبيئة فى تكوين شخصية الفرد بصورة مختصرة وأكثر دقة من أى نظرية أخرى للشخصية بالرغم من أن مصطلحات الأنا والهوى والأنا الأعلى عبارة عن مفاهيم نظرية ابتدعها فرويد لتفسير وقائع سلوكية وليست أشياء مادية ملموسة تشغل فراغا معيناً مستقاة وقائمة بذاتها ، ويكون الأنا الأعلى من حيث هو متميز عن الأنا أو معارض له قوة ثلاثة يجب على الأنا أن يعمل حسابها . وهكذا يصبح من الواجب على الأنا أن يرضى فى وقت واحد رغبات الهوى والأنا الأعلى والواقع .

أى أنه إذا كانت الشخصية تمثيلية فقوى الهوى والأنا والأنا الأعلى يمثلونها الثلاثة ومنظر الرواية منظر معركة بين قوى متصارعة وهذا الصراع مستمر ما بقيت الحياة وهذا ما عبر عنه فرويد بالصورة الديناميكية للشخصية .

وهذه الصورة لها فوائد عملية كثيرة في تفسير سواء الشخصية
وشذوذها.

فمثلاً في تفسير كثير من المخاوف العنيفة غير المنطقية يعرض فرويد المثال
الآتي: (حالة امرأة تخاف خوفاً ليس له تفسير عقلي من أن تغتصب جنسياً أثناء
السير بالطريق، هي في الواقع تريد أن تتصل اتصالاً جنسياً، ولكن الأنا الأعلى
عندها يثور ضد هذه الرغبة. فهي في الواقع لا تخاف من أن تغتصب، وإنما تخاف
من ضميرها فتحتمى من الرغبة المستكربة للنفس. وبعبارة أخرى أن جزءاً
من شخصيتها في حرب مع الجزء الآخر فلهو يقول: «أنا أريد ذلك». .
والأنا الأعلى يقول: «هذا أمر رهيب»، والأنا يقول: «أنا خائف».

ويتحدد سلوك الشخص بدينامياته فإذا خضعت الشخصية لحكم الأنا
الأعلى أصبح السلوك سلوكاً أخلاقياً. وإذا خضعت لحكم الأنا كان السلوك
واقعياً. وإذا خضعت لحكم الهو كان السلوك اندفاعياً.

ويجب أن نأخذ في الاعتبار أنه ليس هناك إلا قدر مهيم من الطاقة النفسية
ولا مزيد عليه. ويعني هذا أن ما يجنه الأنا من الطاقة يفقده الهو أو الأنا الأعلى
أو كلاهما معاً. فتزويد جهاز من أجهزة الشخصية بالطاقة يعني سلب
الطاقة من الأجهزة الأخرى. فالشخص الذي لديه أنا قوى جداً سيكون
لديه هو وانا أعلى ضعيفان. وبالمثل عندما يكون لديه هو أو أنا أعلى
زائدان في القوة.

هذا ويجب أن نضع في اعتبارنا أن الأنا قد يتحالف مع الهو من أجل
اشباع الغرائز وذلك عندما يكون الأنا الأعلى ضعيفاً والظروف البيئية
مناسبة لا تتضمن ضرراً على مصلحة الفرد في المجتمع وعلى العكس عندما
يكون هناك ضمير ديني كما أسلفنا.

وقد يلوح من جهة أخرى أن الأنا الأعلى من حيث كونه علوا للغرائز اللاأخلاقية الباحثة عن اللذة قد يواجه الهو ويعارضه بيد أن الأمر لا يكون دائماً على هذا النحو . ذلك لأن من الممكن أن يوجه الهو الأنا الأعلى للعمل من أجل إشباع الغرائز في حالة الأنا الأعلى لشخص أخلاقى بشكل متمت يمكن أن يغدو شديد الاعتداء على الأنا الخاص به . وحينئذ يشعر الأنا بمهانة وشعور بالاثم شديد . والشخص الذى يشعر بهذا الشعور قد يودى نفسه ابداء بدنياً أو ينتحر ، وأفعال الاعتداء الذاتى ترضى الغريزة العدوانية للهو وكأن الأنا الأعلى أصبح مندوباً للهو .

وفي كلمة يمكننا أن نقول أن الغرض الرئيسى للهو هو إشباع حاجات البدن الفطرية (الغرائز) . والغرض الرئيسى للانا هو الكشف عن وسائل الاشباع مراعيًا في ذلك العالم ظروف العالم الخارجى بجانب الأرضاء المتزن أو التوفيق بين الهو والأنا الأعلى والواقع ، بينما الغرض الرئيسى للانا الأعلى ، هو الحد من هذا الاشباع .

(رابعاً) أن الفرض الرابع في هذه النظرية يؤكد أثر الغرائز خاصة الغريزة الجنسية وغريزة العدوان في تكوين الشخصية و أحداث الانحرافات النفسية . ولفهم هذا الفرض نبسط رأى فرويد في الغريزة الجنسية بالمعنى الشامل ووصلتها بالغريزة العدوانية ، وتتطور الغريزة الجنسية وصلة ذلك بشخصية الفرد .

تتكون حياة الانسان الجنسية في الأصل ، تبعاً للرأى الشائع من الرغبة في الصاق أعضائه التناسلية بالأغضاء التناسلية لشخص آخر من الجنس المقابل . وتتضمن هذه العملية أيضاً بعض الأعمال التمهيدية كتقبيل الشخص الآخر والنظر إليه ؛ ولمسه . ومن المفروض أن هذه الرغبة تظهر أثناء المراهقة وما بعدها وأن الغرض منها هو التناسل والتكاثر .

ولكن هناك حقائق تتعارض مع هذه الفكرة المحدودة هي :

(١) من الحقائق البارزة أنه يوجد بعض الناس الذين يميلون فقط إلى إلى أشخاص وإلى أعضاء تناسل أشخاص من نفس جنسهم كباراً كانوا أم صغاراً . مما يتعارض مع فكرة الرغبة في إلصاق الأعضاء التناسلية بالأعضاء التناسلية لشخص آخر من الجنس المقابل ، ويتعارض كذلك مع غرض التناسل .

(٢) من الحقائق البارزة أيضاً أن هناك أشخاص يغفلون الأعضاء الجنسية تماماً أو يغفلون استعمالها الطبيعي ، فالافراط في الأكل والشرب أو سرقة ملابس الأطفال أو سرقة ملابس الداخلية للسيدات عند بعض الناس قد يكون اشباع بديل لرغبة جنسية فشلت وكتبت ، وهنا أغفلت الأعضاء الجنسية على عكس المعنى الشائع . كذلك يتلذذ بعض الناس جنسياً من كشف العورة للغير وفي ذلك إغفال للاستعمال الطبيعي للأعضاء الجنسية فضلاً عن التعارض مع معنى التناسل .

(٣) وأخيراً فمن الحقائق البارزة أيضاً أن كثيراً من الأطفال يظهرون اهتماماً مبكراً بأعضائهم التناسلية ويبدون علامات تدل على تهيئتهم والأمثلة على ذلك لا تقع تحت حصر خصوصاً في الأطفال بعد سن الثالثة . فبالاستمئاء الطفلي شائع بين الأطفال ويقصد به مجرد العبث بالأعضاء الجنسية وبتنشيطها للحصول على لذة جسمية ، والطفل إذا قهرناه من العبث بأعضائه الجنسية أخذ يعرض أصابعه للتعويض عن اللذة المفقودة وكلا الفعلين جنسياً . والطفل يتلذذ من كون جسمه عريانياً أو من استكشاف الأعضاء التناسلية لأطفال الجنس الآخر ، أو من زيارة فراش الوالدين ليلاً ، أو طرح وابل من الأسئلة الجنسية لوالديه للاستطلاع الجنسي ، كما يبدو على كثير من الأطفال الحجل الجنسي والغيرة

الجنسية ، ولعبة العريس والعروسة ولعب الطفل مع أمه ومداعبته إياها واصراره على أن يصاحبها وهي تأخذ زينتها أو على النوم بجانبها ووعدها إياها بالزواج منها ، بل يظهر النشاط الجنسي قبل سن الثالثة في مرحلة الرضاعة كما يبدو في التلذذ الفموي والشرجي . فيتلذذ الطفل من مص ثدي أمه برغم عدم حاجته للغذاء وكذلك يتلذذ من عمليتي التبول والتبرز .

ووصف فرويد هذه المظاهر الطفلية بأنها جنسية لأسباب متعددة أهمها ما يلي : (١) لأنها الممهدات التي تتألف منها الجنسية عند الكبار مثل التقبيل وكافة وسائل استمتاع البصر والسمع واللمس التي ينشأ عنها حالة النشوة التي تسبق اللذة ، (٢) لأن الراشد الكبير الذي يصاب بالاحباط في مجال رغباته الجنسية قد ينكص ويتراجع ويتخذ من الجنسية الطفلية بدائل عن الجنسية التي أحبطت مثل التراجع لعادة الاستمنااء (العادة السرية) أو الافراط في التلذذ الفموي عن طريق النهم الشديد في الأكل مثلاً ، (٣) لأن المظاهر الجنسية عند الأطفال تشبه الانحرافات الجنسية عند الكبار كاشتهاء المحارم أو كشف العورة علانية وما إلى ذلك من الأمور الطفلية .

مما سبق وبناء على دراسة وعلاج الأمراض النفسية والانحرافات الجنسية قرر فرويد المبادئ التالية :

(١) لا تبدأ الحياة الجنسية أثناء المراهقة فقط بل هي تبدأ عقب الولادة مباشرة في شكل واضح .

(٢) من الضروري أن نميز تمييزاً دقيقاً بين معنى جنسى Sexual ومعنى تناسلي Genetal والمعنى الجنسي هو المعنى الأعم ، وهو يتضمن أعمالاً كثيرة ليست لها أى صلة بالأعضاء التناسلية فبجانب الميل الجنسي الصريح توجد

ضروب المحبة والتقرب والتعلق العاطفى وحب الذات وحب الغير وحب الأشياء وحب المبادئ والأفكار بل حب الانسانية جميعاً .

وبذلك وسع فرويد مفهوم الغريزة الجنسية بحيث جعلها تشمل كافة الرغبات التى تستهدف اللذة الحسية أو الوجدانية تناسلية كانت أم غير تناسلية والتى تبدأ من المهد إلى اللحد ، وسماها غريزة الحب Eros نسبة إلى إله الحب فى الأساطير اليونانية القديمة . وسمى الطاقة النفسية المتعلقة بغريزة الحب بهذا المعنى الواسع بالليبدو Libido .

(٣) تشتمل الحياة الجنسية على النشاط الخاص بالحصول على اللذة من بعض مناطق البدن أهمها الفم والإست والأعضاء التناسلية ويدخل بعض هذا النشاط فى خدمة الوظيفة التناسلية بعد البلوغ وتسمى هذه المناطق التى ينبعث منها الليبدو بالمناطق الشبقية Erotogetic Zones .

(٤) أغلب دوافع الحياة الجنسية ليست من طبيعة جنسية خالصة ولكنها تصدر عن اختلاط من الغريزة الجنسية وأجزاء من غريزة العدوان (عكس غريزة الحب) Thanatos فالعملية الجنسية العادية بها أجزاء من النشاط العدوانى على شكل عنف جسمى وحركى مما ينتج عنه أوثق اتحاد وهذه الأفعال العدوانية الخفيفة مهمة لنجاح العملية الجنسية العادية ، والنقصان الكبير فى هذه الأنشطة يؤدى للخجل وفقدان القدرة الجنسية .

أما إذا زاد النشاط العدوانى عن حد الاعتدال اعتبر ذلك انحرافاً جنسياً كما فى عقدة السادية Sadism ومعناها التلذذ الجهنى من إيلاام الغير ألماً شديداً ، وكذلك عقدة الماسوكية Masochism وهى التلذذ الجهنى الجهنى من الحاق الألم الشديد بالذات بواسطة الشريك الجهنى .

وقد ذكرنا سلفاً أن الكراهية الظاهرية قد تخفى الحب الباطنى ، والحب

الظاهر» قد يخفى الكراهية. والكراهية تتضمن بلاشك نزعات عدوانية وهكذا تتحكم غريزة الجنس والعدوان في تألفها وتعارضها في النشاط النفسى للانسان كما تتحكم قوة الجذب وقوة الدفع في العالم غير العضوى.

(خامسا) أن العوامل السيكلوجية لها من الأهمية مثل العوامل الفسيولوجية في تنشيط الغريزة الجنسية أو اضعافها أو انحرافها فازالة المبيضين (الغدد الجنسية الذكورية) لدى الصبيان قبل البلوغ يؤدى إلى تحاذل الدافع الجنىسى ، غير أن الملاحظة العمياء قد دلت على أن استئصال الغدد الجنسية الذكورية أو الأنثوية من أشخاص كبار بعد البلوغ لا يؤثر في نشاطهم الجنىسى إلا تأثيرا طفيفاً ، كذلك الحال عند النساء والرجال الذين ضعفت غددهم ضعفاً شديداً بتقدم السن ، مما يدل على أن استمرار النشاط الجنىسى في مثل هذه الأحوال يرجع إلى بقاء العادات والاهتمامات التى نشأت في الأصل من تأثير الغدد الجنسية ولم تعد تتوقف عليها الآن كالشجرة التى نشأت من البذرة ثم استقلت عنها وتلاشت البذرة ، وفي هذا ما يدعوننا إلى أن نقيم للعوامل النفسية والاجتماعية وزناً في هذا السبيل . ومما يؤيد أثر هذه العوامل ما لوحظ من أن التربية الجنسية غير الرشيدة في عهد الطفولة ، تلك التربية التى تكبح الاستطلاع الجنىسى للأطفال كبحاً عنيفاً والتي تعاقبهم عقاباً شديداً على كل لعب جنسى يصدر منهم ، والتي تقرر الأمور الجنسية بالاشمئزاز والنفور والخوف والشعور بالذنب أو الاتهام والسرية . نقول أن هذه التربية كثيراً ما تؤدى إلى تلاشى الاهتمام الجنىسى أو العجز الجنىسى أو انحراف الدافع الجنىسى كممارسة العادة السرية أو اللواط في الرجال والسحاق في النساء (الشلوذ الجنىسى أو الجنسية المثالية) وغيرها ، وعلى ذلك فإن كبت الغريزة الجنسية في الصغر كبتاً عنيفاً عن طريق التربية الجنسية غير (١٠)

الرشيده من أهم العوامل الممهدة لتصديق الشخصية والأعراض النفسية . وهذا المبدأ يتعارض مع القول : بأنه إذا كان الكبت الجنسي سبب الأمراض النفسية فإن الاباحة الجنسية سواء في الصغر أو الكبر وقاية من هذه الأمراض . وقد كرر فرويد مرارا بأن الكبت المعتدل هو الضرورية التي يدفعها الفرد في سبيل بناء الحضارة الانسانية والمقصود هنا هو حاجة الطفل إلى تربية جنسية لا تسرف في كبح الطفل أو تخويفه أو تدليله أو تأنيبه .

وعلاوة عما سبق فقد أشار فرويد وغيره إلى الصلة المتبادلة بين الحضارة والكبت الجنسي . فالفنون والآداب والعلوم وغيرها من ضروب النشاط الابداعي ما هي الا صور متساهية معللة من الجنسية المكبوتة .

(٦) حيث أن من يتتبع تاريخ البشرية يجد أنه تاريخ حروب وصراعات موصولة بين الشعوب ، وكأن فترات السلام ما هي إلا استعداد للحرب جديدة وعدوان جديد ، هذا على مستوى الشعوب .

وعلى مستوى الفرد فقد دلت دراسة الحالات المرضية في العيادات النفسية على أن العدوان حاجة فطرية لدى الفرد كالجوع والعطش ، فلا بد للانسان أن يعتدى كما لا بد له أن يأكل بكل وسيلة وبأى ثمن . وغريزة الحب دائماً تسير مع غريزة العدوان جنباً إلى جنب ف وراء المحبة الظاهرة بين الناس عداة كامنة مستورة ، وليست طيبة الانسان إلا وهما وخرافة فالظلم من شيم النفوس والعدوان في فطرة بني آدم حتى أن لم يعتد عليه معتد .

ومما يدل على أن طيبة الانسان ما هي إلا وهما وخرافة ما نلاحظه في السلوك الطفلي ، فالطفل يعض ويركل ويخربش ويضرب الأرض برجليه ورأسه إذا أحببت دوافعه أو طلبنا منه تأجيل رغباته فترة قصيرة ، كما أنه يكشف عن عورته أو يعيث بأعضائه التناسلية بلا استحياء ولولا التربية

الانسانية الرشيدة لشب الانسان بشخصية شهوانية هي طبيعته الأصلية الشريرة . وحتى الغريزة الجنسية تلون وتتحلل كل عاطفة تربط الفرد بغيره حتى لو كان حب الأب أو حب الأم أو الأخ أو الأخت ويعتبرها فرويد كلها ذات طبيعة جنسية تصاعدت أو لم تبلغ هدفها Sublimated, Inhibited in their aim وكان الغريزة الجنسية وراء كل نشاط دافع في الوجود سواء اتصل بأعضاء التناسل أو لم يتصل . وقد كان فرويد يقول : « ان الانسان أصيب بثلاث صدمات هزت كيانه هذا في تاريخه الطويل الأولى عندما اكتشف جاليليو أن الأرض تدور حول الشمس فعلم الانسان أن الكون لم يخلق له وحده . والثانية يوم قام داروين بنظريته في النشوء والارتقاء فأدرك الانسان أن ما يحكم الحيوان من قوانين الطبيعة ينطبق عليه هو الآخر وأنه ليس إلا نوعاً لطيفاً من الحيوان انحدر عن أنواع أقل لطفاً . والثالثة عندما انكشف الغطاء عن اللاشعور وعلم الانسان أن بأعماق نفسه من الميول الجنسية والعدوانية المحرمة ما لم يتصور أن لها أى أثر في نفسه » .

(سابعاً) على أساس مفهوم الجنسية الطفلية Infantile Sexuality ومبررات اقتراضها (انظر الفقرة رقم ٣) جاء فرويد بنظريته من مراحل تطور الغريزة الجنسية من الناحية النفسية وبيان صلتها باضطرابات الشخصية وحدد هذه المراحل بثلاث كما يلي :

أولاً - المرحلة قبل التناسلية :

وتنقسم داخلياً إلى ثلاث مراحل فرعية :

(١) المرحلة الفموية (أو الشفوية) : Oral Phase

وتبدأ بال ميلاد وتنتهى بالفطام من الثدي .

(٢) المرحلة الاستية السادية : Sadestic - anal Phase

وتبدأ بظهور الاسنان في منتصف السنة الأولى حتى نهاية السنة الثانية .

(٣) المرحلة القضيبية : Phallic, Phase

وتبدأ من بداية السنة الثالثة حتى بداية السنة السادسة تقريباً .

والخاصة الثابتة للغريزة الجنسية خلال فترة ما قبل التناسلية هي
الرجسية Narcissism ولفظة ترجسية مشتقة من نرجس أو نارسيسس
Narcissus المذكورة في الاسطورة اليونانية وهو شاب جميل رأى صورته
في الماء فعشقها وهام بحبها وطال وقوفه أمامها يتأملها حتى سقط في الماء وتحول
إلى زهرة النرجس المعروفة .

وتعني الرجسية في مذهب فرويد حب الذات أو الشهوية الذاتية، أى اتجاه
الليدو نحو الذات واتخاذها موضوعاً للذة والحب، والطفل المولود حديثاً
لا يستطيع أن يميز بين نفسه وبين الموضوعات الأخرى الخارجية لذلك يتجه
ليبدو الطفل في أول الأمر نحو ذاته الجسمية والنفسية ويجعلها موضوعاً لـ
فيشتق الطفل لذة بدنية تتضمن تصرفات متعددة منها التلذذ من مص
الأصبع والتبرز والعبث الجنسي ويقبل نفسه في المرأة ويزداد اهتمامه وأعجابه
بكل مما يقول ويفعل ويكشف من عورته ويجرى عريانا .. الخ .

ويمكن للطفل أيضاً أن يرغب في والديه وهذه الشحنات الانفعالية
تنمو لأن والديه وبخاصة أمه يعينانه على إنجاز لذته البدنية فصدر الأم وتليها
مصدر رئيسي للذة الفمية والسادية وتقيله وتدلّيه يشبعه . أشباعاً جنسياً وهذا
ما سماه فرويد بالرجسية الأولية المطلقة أى الشهوية الجنسية الذاتية على
خلاف الرجسية الثانوية التي تتمثل في مشاعر الكبرياء التي يمارسها الأنا حيناً
يتقمص الطفل المثل العليا للأنا الأعلى .

ثانياً : مرحلة الكمون Latency Phase

وتبدأ من السنة السادسة حتى البلوغ ومطلع المراهقة .

ثالثاً : المرحلة التناسلية : Genital Phase :

وهي أطول المراحل السابقة وتبدأ بالبلوغ ومطلع المراهقة وتنتهي بالشيخوخة حيث يميل الفرد إلى التراجع إلى مرحلة ما قبل التناسلية ، وتنقسم داخلياً إلى مرحلتين فرعيتين :

(١) مرحلة الجنسية المثلية — أن الميل لنفس الجنس Homosexuality .

(٢) مرحلة الجنسية الغيرية — أى الميل للجنس الآخر Hetrosexuality

أولاً — المرحلة ما قبل التناسلية :

وتنقسم داخلياً إلى المراحل النوعية التالية :

(أ) المرحلة الفموية أو الشفوية :

التضيق الجنسي وما يرتبط به من النمو النفسى هو عملية نشوء منتظمة تبدأ فيه الغريزة مراحل تطورها بالجنسانية البدنية العامة ثم تختتم التطور بالجنسية الغيرية .

يستمد الرضيع لذة حسية من تنيبه سطح جسمه بوجه عام ثم لا تلبث هذه الحساسية الجنسية العامة أن تتركز في مناطق معينة هي المناطق الشبقية وأهمها ثلاث : الفم ، والشرح ، وأعضاء التناسل . والمعالجة اليدوية للمنطقة الشبقية مشبعة لأنها تزيل التهيج كما أن الحلك بالأظافر يريح من احساس بالهرش ولأنها تؤدي إلى احساس لاذ .

وكل منطقة مرتبطة بأشباع حاجة حيوية فالفم مرتبط بالطعام والشرح مرتبط بالتخلص من الفضلات ، والأعضاء التناسلية مرتبطة بالتبول واللذة

الجنسية . واللذة المتولدة من منطقة شبقية كثيرا ما تكون مستقلة عن اللذة المشتقة من أشباع الحاجة الحيوية ، مثلاً قرص الأظافر بالأسنان ، ومزاولة العادة السرية هي من قبيل تخفيف التوتر ولكن الأولى لا تشيع الجوع كما أن الثانية لا تجدى نفعاً في النسل .

يبدأ الطفل باستماد اللذة من نشاط الفم وما يلحق به من اللسان والأسنان واللعب ، ولا شك أن الوظيفة الأولى لنشاط الفم هو حفظ الذات بالتغذية ولكن لا يجب أن نخلط بين الناحية الفسيولوجية والناحية السيكلوجية فان اصرار الطفل بعناد على الرضاعة يدل دلالة واضحة في هذه المرحلة المبكرة على وجود رغبة في الحصول على اللذة، ومع أن هذه الرغبة تنشأ في الأصل وتستمد قوتها من تناول الغذاء إلا أنها مع ذلك تسعى وراء اللذة بصرف النظر عن تناول الغذاء . ولهذا السبب توصف هذه الرغبة بأنها جنسية والطفل يجد لذة في استخدام الأسنان ليعض الأشياء تنفيساً عن غضبه الذي ينشأ عن إحباطه .

فالطفل الذي يفطم فجأة وهذا موقف يؤدي للإحباط والقلق ينمو لديه ميل قوى للتشبث بالأشياء حتى يمنع سلفاً تكرار صدقة الطعام، فالخشع وحب التملك الزائد عن الحد ينمو كنتيجة لعدم الحصول على قدر كاف من الطعام أو الحب في سنوات العمر الأولى، فالشخص المحب للتملك لا يرتوى إذ مهما يكن ما يمتلكه ما لا كان أو شهرة فانه لا يعدو أن يكون بديلاً لما يرغب فيه بالفعل، أعنى الطعام من أم يحبها، والعدوان الفمى بالأسنان نموذج أولى لأنواع عديدة من العدوانات المباشرة أو المنقولة أو التنكيرية فالطفل الذي يعض بأسنانه قد يعض وهو راشد يدافع بالسخرية اللفظية والتهكم أو الاستخفاف وحين يشعر الانسان بالذنب ، وقد يستخدم العدوان الفمى

كشاكل من أشكال العقاب الذاتي فقد يعرض الإنسان شفثيه أو لسانه أو يقضم أظافره ، وقد يثبت في نموه عند مرحلة أولية من العدوان الفمى أو قد يراجع إليها حين يواجهه احباطات في مراحل نموه التالية تباع من الحسامة حدا لا يستطيع معه احتمالها .

(ب) المرحلة السادية الإستية :

تأخذ الرغبات السادية (العدوانية) في الظهور بطريقة غير منتظمة أثناء المرحلة الفمية عندما تبدأ الأسنان في الظهور وتزداد هذه الرغبات العدوانية بدرجة كبيرة أثناء المرحلة السادية الشرجية (الاستية) لأن الطفل في هذه المرحلة يسعى في الحصول على اللذة من وراء العدوان بالأسنان لثدى الأم وعن طريق عملية التبرز التي تثير غضب الغير . فيجد الطفل لذة في العناد والتحكم والسيطرة نتيجة لاستيائه مما يلقاه من ضغط وتقييد أو عقاب أثناء تعليمه التحكم في عمليتي التبول والتبرز وقد لا يستطيع الطفل الإفصاح عن عدوانه هذا فيرده إلى نفسه، وقد يجد لذة في هذا العدوان المرتد على الذات (الماسوكية) والسادية عبارة عن امتزاج لرغبات ليبيدية (جنسية) صرفه ورغبات عدوانية صرفه ويستمر هذا الامتزاج منذ ذلك الوقت بدون انقطاع .

وطرد الفضلات يجلب للطفل الراحة لأن معناه القضاء على مصدر التوتر كما أن احتجاز الطفل للفضلات لاذ أيضاً فان الضغط على الحوائط الداخلية للقولون بواسطة مواد الغائط (البراز) يشبع الطفل اشباعاً حسياً جنسياً .

وتدخل الأم العقابي الصارم أو التعجل في التدريب في عملية التبرز
قد يدفع الطفل إلى الانتقام بأن يلوث نفسه عمدا . وحينما ينمو مثل هذا
الطفل يغدوا مقلقا لمصادر السلطات غير عابئ بالمسئولية . أو قد
ينتج رد فعل في الفرد حين الرشد في شكل اسراف في النظافة
والتأنق والدقة المبالغ فيها بالنسبة للوقت والمال والقرف والخوف من القذارة
والبخل الزائد عن الحد ، أو الاندفاعات القهرية اللاشعورية في التلذذ الشرجي
كما يحدث في الجنسية المثلية .

. والرغبة الشديدة في حجز الغائط (البراز) . والتلذذ منه يمكن أن تعمم
بعد ذلك في صورة رغبة لجمع الأشياء وحفظها وامتلاكها .

(ج) المرحلة القضيبية :

الطور الثالث في مرحلة ما قبل التناسلية هو الطور القضيبى أو المرحلة
القضيبية وهى باكورة المرحلة النهائية للحياة الجنسية وهى المرحلة التناسلية
كما أنها تشبهها شبا كبيرا ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن
اهتمام الأطفال في هذه المرحلة — بنين وبنات — لا ينصب على الأعضاء
التناسلية لكلا الجنسين فقط بل ينصب على عضو الذكر التناسلى وهو القضيب
ولذلك تسمى هذه المرحلة بالمرحلة القضيبية .

وتتعاقب الأطوار الجنسية ابتداء من العام الثالث إلى بداية العام السادس
كما يلي :

يمجد الطفل لذة كبيرة في عملية التبول والعبث بأعضائه التناسلية . بيديه
(ما يشبه الاستمناء) ويمجد لذة في كشف عورته وجسمه أمام الغير ، ثم
يمر بطور نرجسى ينصب فيه حبه على جسمه ونفسه ويطلق النظر إلى جسمه .

- ١٥٣ -

خاصة في المرأة ، كما أنه يستشعر لذة جنسية من اكتشاف جسم الأطفال الآخرين وخاصة اعضاءهم التناسلية والميل لزيارة فراش الوالدين ليلاً واختلاس النظر لمعرفة ما ذا يفعلون ، وكذلك الاستطلاع الجنسي عن ولادة الأطفال ومجيئهم إلى الدنيا وكيف يتكونون ، ويتلذذ الطفل أيضاً في هذه المرحلة من دغدغة جسمه وتقبيله وضمه للصدر . . . الخ .

بعد هذا يمر الطفل بطور ترى فيه الأولاد ، غالباً يميلون إلى اللعب والاجتماع بالأولاد دون البنات ، ونرى البنات يملن إلى اللعب والاجتماع بالبنات من دون الأولاد . ويطلق على هذا الطور الجنسي المثلى .

ثم تنصب الغريزة الجنسية (الليدو) بعد ذلك على الوالدين ويطلق على هذا الطور المرحلة الأوديبية ، وقد يتمخص هذا الطور عن تعلق الطفل تعلقاً شديداً بأمه . أو ما يشبه أمه وغيرته وكرهيته لأبيه أو ما يشبه أبيه وخوفه من بتر قضيبه (الخضاء) في نفس الوقت . وهذه هي عقدة أوديب . أو تعلق الطفلة بأبيها أو ما يشبه أبيها تعلقاً شديداً ، وغيرتها وكرهيتها لأمها (أو من يشبهها) أو يحل محلها كالأخت الكبرى مثلاً والأخ الأكبر في حالة الولد ، وكذلك رغبتها الشديدة في أن يكون لها قضيب وحسد الولد على هذه الخاصية الذكورية في نفس الوقت . وهذا ما يعرف بعقدة أوديب بالنسبة للبنات أو عقدة الكترا . وهذه أخطر عقدة نفسية في حياة الطفل وتؤثر أبلغ تأثير في شخصيته إذ هي ذات صلة وثيقة بتكوين ضمير الفرد كما أنها حجر الزاوية ونواة جميع الأمراض النفسية والعقلية .

وقد استعار فرويد مصطلح أوديب والكترا نسبة إلى اسطورتين في الأدب الاغريقي ووداهما أن أوديب كان مطلقاً لأحد الملوك فتكهن أحد المنجمين بأنه

سيقتل أباه حين يكبر ، فأمر الملك بطرد ابنه في العراق ، فلما كبر أوديب
التقى بأبيه في أحد رحلاته ولم يكن يعرفه ، ولأمر ما تنازعا فقتل أوديب
أباه ، ثم مضى حتى بلغ مدينة أبيه فتزوج ملكتها وهي أمه دون أن يعرفها ،
ولما عرف بعد ذلك أنه تزوج أمه وقتل أباه ثار ضميره ثورة شديدة
وعاقب نفسه بفقء عينيه كفارة عن فعلته الشنعاء .

ويقول فرويد أن الخصباء موجود أيضاً في اسطورة أوديب فالعمى الذى
عاقب به أوديب نفسه هو بديل رمزى للخصباء كما تدل على ذلك الأحلام .
وكذلك زواج الأم وقتل الأب تعبيرا عن التعلق الجنسي بالأم والغيرة
والكراهية للوالد ، أما عدم معرفة الأب والأم في القصة فهذا تعبيرا عن
الخاصية اللاشعورية لارغبتين حب الأم وكراهية الأب وما أصابها من كبت
ونسيان الطفولة .

ومن المحتمل وجود أثر من الذاكرة النوعية باق من التاريخ القديم
للالسرة الانسانية حينما كان الأب الغيور يقوم فعلا بحرمان الابن من أعضائه
التناسلية إذا قام الابن بمنافسته على امرأة . ويساعد هذا الأثر الباقي في الذاكرة
على جعل التهديد بالخصباء مفزعا إلى درجة شديدة . (وهنا يعتقد أن
التاريخ القديم للالسرة الانسانية ينتقل من السلف للخلف بيولوجياً عن طريق
الوراثة أو ما سمي فيما بعد بالاشعور الجمعى) .

أما عن عقدة الكترا Electra Complex تروى الاسطورة اليونانية
أن الكترا بنت أجا ميمنون Agamemnon ملك مسينا قد أغرت أخاها
أوريستس Orestes على الانتقام من أمها وعشيق أمها لأنها قتلت أباهما
أجا ميمنون . وقد حزن الكترا على موت أبيها حزنا شديدا لازمها حتى

الموت . وهنا تحب البنت أبيها حباً شديداً وتكره أمها كرها شديداً على عكس الولد .

ويتكون الموقف الأوديبى بتتابع الوقائع التالية : -

يحب الطفل فى أول الأمر ثدى الأم لأنه يغذيه . ثم يتغير الموضوع الأول لحب الطفل بعد ذلك ويصبح كل شخص الأم التى تطعمه وتحببه وتعنى به وكذلك تدغده وتضمه لصدرها وتقبله ، وبذلك تثير فيه كثيراً من الاحساسات البدنية اللذيذة أى الجنسية . ولعناية الأم لبدن الطفل تصبح الأم أول من يغريه جنسياً فالإنسان لا يستطيع الوصول للوجدانيات أو المعنويات إلا عن طريق الحسيات ، خاصة وأن إدراك الطفل ما زال أولياً فى هذه المرحلة .

وإلى هاتين العلاقتين اللتين تنشآن بين الطفل والأم ترجع أهمية الأم (أو من يحل محل الأم كالأخت الكبرى) ، تلك الأهمية الفريدة فى نوعها والتى لا يوجد نظير لها والتى لا تتغير مدى الحياة باعتبارها أول وأقوى موضوع للحب وهى النموذج الأول لكل علاقات المحبة التالية لكل من الجنسين . والفرد قد يجد بديلاً عن شئ عزيز يفقده ولكن لا بديل عن صدر الأم وثدى الأم ودفء الأم ، أول وأصدق وأعمق مصدر للحنان والحب الجواد الذى يعطى بلا حدود ودون انتظار جزاء .

يستشعر الطفل احساسات لذیذة فى عضوه التناسلى ، ويتعلم أحداث هذه الاحساسات اللذيذة كلما أراد بالمعالجة اليدوية ، وكما ضمته الأم إلى صدرها وزادت من ثقيله ودغدغته كلما نشطت الميول الجنسية . لذلك

يرغب الطفل في امتلاك أمه ولا يريد مشاركة أحد له في ذلك ، أى حب استحواذي ، ويساعد على ذلك خيال الطفل الحبيب في هذه المرحلة من الحياة الجنسية . فذكورة الطفل المستيقظة في وقت مبكر يجعله يحاول في علاقته بأمه بأن يحتل المكان الذي ينحس والده الذي كان حتى الآن مثالا يحسده على قوته البدنية وسلطته ، ويصبح أبوه الآن منافساً يقف في طريقه فيغير منه ويكرهه ويود أن يتخلص منه . فاذا غاب أبوه استطاع أن يشارك أمه فراشها . وإذا عاد الأب أبعد مرة أخرى عن فراش أمه . فالمتعة الذي يحصل عليها حينما يغيب أبوه وخيبة الأمل التي تحمل به عندما يظهر أبوه وهي ما توجب الغيرة والكراهية للأب .

وسوف تفهم الأم بعد مدة قصيرة أو طويلة سر احتياجه الجنسي ورغبته الجامحة في التصاقه بها وأن من الخطأ العبث بأعضائه التناسلية ولا بد من منع استمرار هذه الأمور فتعاقبه بدنيا ونفسيا ، وعلى قدر عنف العقاب والجزع على قدر زيادة التعقيد .

وتهدد الأم الطفل بحرمانه من قضيبه كلما زاد عبثه به ، ولكي تجعل التهديد أكثر ارهابا وأكثر اقناعا فانها تقوم في العادة بتفويض أمر تنفيذه إلى أب الولد . وذلك بأن تقول له أنه سوف ينجر أباه عن ذلك وأن أباه سوف يقوم بترفضيبه ويصبح هذا التهديد مفزعا إذا تذكر الطفل مظهر أعضاء تناسل الأنثى أو رأى هذه الأعضاء التي ينقصها فعلا ذلك الجزء الذي يقدره تقديرا عظيماً ، ويشتد الفزع أيضاً كلما تذكر الطفل الختان وهي بديل رمزي آخر للخصاء ، ويعزز كل ما سبق قسوة الوالد في عملية التربية والتطبيع الاجتماعي عموماً .

ولما كان الولد يخاف من بترفضيبه ، ويعجب في الوقت ذاته بأبيه لأنه

قوى ويجاب له السرور والهدايا فى المناسبات المختلفة . لذلك نجد الطفل يتخلى عن كثير من تعلقه الشهوى بأمه ويبدأ فى تقمص شخصية أبيه ويحتذيه ، ويقلده ويستدمج معايير الخلقية فيحجم الطفل عما يعتبره أبوه رذيلة ويقدم على ما يعتبره أبوه فضيلة وبذلك يتكسب من ضمير الطفل وذاته العليا . تلك السلطة الداخلية التى تقوم مقام الوالد فى مراقبة الطفل وتوجيهه ونقده وعتابه . وعلى هذا يكون الضمير خليفة الوالد فى نفس الطفل وريث عقدة أوديب التى تحل عادة على النحو السابق لدى الطفل السعيد الطالع فى بدء السادسة تقريباً . وعلى قدر ما يكون الضمير مشغولاً أو غائباً على قدر ما يكون التعقيد النفسى تلك هو الموقف الأوديبى الذى يتحتم على كل طفل أن يمر به فى كل زمان ومكان . فالطفل فى كل حضارة وفى كل مكان عاجز من الناحية البيولوجية لفترة طويلة ومن الطبيعى أن يتعلق بأى شخص يرضى حاجاته الطبيعية ويجلب له اللذة والسرور والأمن سواء أكان هذا الشخص أمه أم غيرها ومن الطبيعى أن يغار الطفل أو يكره كل من ينافس فى حبه لأمه أو من يقوم مقامها سواء أكان هذا الشخص الأب أو غيره ، وفى جميع الأحوال يظل جوهر الموقف الأوديبى قائماً وهو التعلق الاستحواذى للطفل بشخص يعتمد عليه فى ارضاء حاجاته لضعفه ، مع غيرته وعداوته لمن ينافسونه .

هذا عن الموقف الأوديبى الحثبى أما التعقيد النفسى فأمر يتوقف على العوامل الحضارية ونمط التنشئة الاجتماعية الاسرية والمنالغ العاطفى فى الأسرة والصدمات العاطفية التى تلقاها الطفل . فالختان ومستوى الاحتشام والحياء الجنسى وقسوة الوالدين أو تدليلها أو قتلها بين القسوة والتدليل أو الاهتمام والتجاهل أمور تتوقف على العوامل الحضارية فى كل مجتمع من المجتمعات .

أما عن سر زيادة تعاق الطفل بأمه وزيادة تعلق الطفلة بوالدها حتى وإن تساوى الوالدين في العطف فاعل الطبيعة تعد الطفل بهذا الشكل للهدف التناسلي في سن البلوغ والرشد ، وتعوده على حب شخص آخر من غير جنسه وأن يكون بنفسه فكرة عن الجنس الآخر .

وعلاوة على ما سبق يتوقف نجاح الطفل في تصفية هذه العقدة على ما لقيه منذ الميلاد من تربية سليمة رشيدة وعلى ما يلقاه في هذه المرحلة من حسن تصرف الوالدين ، فالطفل الذي لم يتعرض للحرمان الشديد أثناء عملية الرضاعة ولم يفطم من ثدى أمه فطاما مفاجئا عنيفاً ، ولم تفرض عليه ضبط المثانة والأمعاء في عنف أو تعجل واسبغ عليه الجس العاطفي الأسرى حباً وحناناً وصبراً مثل هذا الطفل يتقبل في سر وسماحة ما يفرض عليه من أوامر ونواه واستطاع أن يجتاز مرحلة أوديب بسلام .

أما الطفل الذي فرض عليه الحرمان والكبت الشديد ازاء هذه العمليات جميعاً ، أو الذي لاقى في ازاءها إشباعاً مسرفاً ، أو كانت تربيته متقلبة فلاحتمال الأقوى أنه لا يجتاز هذه المرحلة بسلام .

وذكر فرويد أن كل عصابي (مريضاً نفسياً) لا يزال متعلقاً تعلقاً شديداً شاذاً بأمه ولا يزال يكره أباه ويخاف من بتر قضيبه وهذه الرغبات لا شعورية لأنها كبتت كبتاً عنيفاً حيث أنها مستكرهة للنفس والناس . وهذه الرغبات والخاوف اللاشعورية هي ما تتدخل بشكل قهري فتفسد رغبات الفرد الشعورية في الميل للجنس الآخر . واختياره فرداً ملائماً في مثل سنه من الجنس الآخر وكذلك تفسد الهدف الطبيعي التناسلي . فقد يؤدي هذا التعلق الشديد بالأم وكرهية الوالد والخوف من الخصاء إلى الامتناع عن الزواج أو الإصابة بالعجز الجنسي أن تزوج أو يميل بالفرد إلى التخنث أو اللواطية (الجنسية المثلية).

أو يتزع إلى الزواج من امرأة تكبره في السن حتى لتقارب أمه سناً أو تشبهها .
 وعداؤه اللاشعورى لأبيه قد ينفجر بشكل صريح ، أو يظهر في
 شكل كراهيته للسلطة في كل صورها . أو غيرته وكراهيته من كل
 رجل يتعامل مع زوجته حتى لو كان تعاملًا رسمياً أو بريثاً أو عابراً
 (غيره مرضية) مما يجعل سعادته الزوجية أمراً مستحيلاً . أو يجعله خاضعاً
 ذليلاً للنساء خصوصاً كبيرات السن . أو يجعله عاجزاً عن المحبة تلقياً وعطاءً
 لأنه باحث عن شخصه لا توجد إلا في خياله (الأم) فيصبح قلبه
 (كالمصفاه) زير نساء كما يقولون . أو تجعله العقدة ناجحاً جنسياً مع
 العاهرات اللاتي لا يتمتعن باحترامه ولا ينجح جنسياً مع زوجته صغيرة
 السن .

وعلاوة على ما سبق يعتقد فرويد أن أعراض هذه العقدة ليس فقط
 عند العصبيين بل لدى أغلب الأسوياء من الناس مما يشير إلى أنه يندر أن
 تصفى هذه العقدة تصفية كلية نهائية . فالصفات والاتجاهات الأوديبية
 الطفلية تبقى ملازمة أغلب الناس طول حياتهم على درجات متفاوتة حدة
 وبرزاً .

كما ذكر فرويد أن كل فرد لديه استعداد وراثي للذكورة والأنوثة معا
 سواء أكان رجلاً أو امرأة . وقوة التقمص مع أحد الوالدين في
 الموقف الأوديبى — أى تقمص الوالد في حالة الطفل ، وتقمص الوالدة
 في حالة الطفلة — أمر يحدده جزئياً القوة النسبية لكل من الاستعداد
 للذكورة والأنوثة .

فاذا كانت المقومات الانثوية لدى الولد قوية كان الولد أشد تقمصاً
 لوالدته وتعلقاً بها وزادت حدة عقدة أوديب . وبالمثل إذا كانت المقومات

الذكورية للفتاة قوية كانت الفتاة أشد تقمصا مع الأب وتغدو فتاة خشة سليطة لا يهملها إلا السيطرة على الرجال وقهرهم وإذلالهم بلا سبب أو لأتفه الأسباب .

أما عن المرحلة القضيبية عند الأنثى ففيها كثير من أوجه التشابه بالمرحلة القضيبية لدى الولد وكذلك بعض الاختلافات .

فالبنات أيضاً تركز حبها ابتداء على ثدي أمها ثم إلى حب أمها كلها . وتبدأ العيب بعضوها التناسلي خاصة بظرها (التتوء الذى يقطع كلياً أوجزها في عملية الظهارة) ويخيب أمها لحرمانها من القضيب كما هو موجود عند الولد . وتفشل في الحصول على لذة كاملة لصغر بظرها عن قضيب الولد وتحسد الولد وتغار من الذكور لامتلاكهم هذا العضو دون سواها . وسوف لا تسمح الأم باستمرار هذا العيب الجنسي من جانب البنت فتعاقبها جسدياً أو معنوياً . لذا تنصرف البنت إلى حب أبيها وكرهية أمها . والرجال بطبيعتهم يميلون إلى تدليل البنات ومعاملتهم برقة وعطف على عكس الأولاد الذين يريدون لهم الآباء الحشونة مما يشجع البنت على التعلق بالأب . وكلما زادت ثورة الأم وجزعها وزادت قسوتها على البنت من جراء عيبها الجنسي كلما زاد تشبث البنت بمعالجة بظرها يدويا على أساس أن الممنوع مرغوب . وعلى قدر الاعتدال والصبر وزيادة حنان الأم على الفتاة بصفة عامة كلما مرت هذه المظاهر بسلام . وكلما زاد التشبث كلما زادت حدة عقدة الكترا عند الفتاة . على عكس الخوف من الخصاء الذى يضع حدا لعقدة أوديب عند الولد .

وطبيعى أن الفرد يحب من يكمل النقص فيه ويعوضه ، لذلك تنجذب الفتاة جنسياً إلى أقرب الناس إليها بعد أمها . وهو أبها لأنه يملك ما حرمت

منه وهو القضيبي . وتبدأ في التقرب والالتصاق به خصوصاً في غياب أمها . ويخيب أملها في الحصول على هذه اللذة كما حضرت أمها . وتواجهت بالمنزل . لذلك فأمها تشاركها وتنافسها في موضوع حبها الاستحواذي فتغير منها وتكرهها .

ومع هذه الغيرة والكراهية للأم فالأم أيضاً مصدر إعجاب وأشباع كثير من الحاجات والرعاية والحماية لذلك تبدأ الفتاة في تقمص شخصية أمها وتقمص أوامرها ونواهيها وخصوصاً إذا كانت المقومات الأنثوية للفتاة أقوى من المقومات الذكورية ويتكون ضميرها والانا الأعلى لها ، هذا ان كتب لها النجاح والمرور بسلام وتصفية هذه العقدة . وإذا تشبثت البنت الصغيرة برغبتها الأولى وهي أن تصبح ولداً وغيرها وحسداً للأولاد لحصولهم على القضيبي فان الأمر سينتهي بها بعد ذلك في الحالات المتطرفة إلى الجنسية المثلية بشكل واضح وتظهر في تصرفاتها صفات المذكورة الواضحة سواء في التفكير أو الشعور أو العمل .

ويقول فرويد أنه إذا سألنا محللاً نفسانياً عن الحالات النفسية المستعصية التي يصادفها بين مرضاه لأجابتنا بأن هذه الحالات هي : (رغبة المرأة في أن يكون لها قضيبي ، واتجاه الرجل الخنث نحو الأشخاص الذين من نفس جنسه وهو اتجاه تكون نتيجته الحتمية فقدان القضيبي) .

والانثى العصابية المصابة بعقدة أوديب تظل طوال حياتها تشعر أن جميع الرجال كوالدها يرفضون الحب الذي تستشعره لهم ، أو تشعر بالذنب أن أحبت أي رجل لأنها لا تزال تشعر بالذنب من حبها لأبيها ، أو تشعر أن جميع الرجال ليسوا أهلاً لها بالقياس إلى أبيها . أو لا تستطيع أن تحب إلا من يشبه أباه ، أو تشعر أن جميع النساء كوالدها ينافسها في كل رجل (١١)

تجبه ، أو تكره من النساء ذوات السلطة والنفوذ ، أو تغار غيرة شاذة على زوجها وهى غيرة تنطوى على خوف شديد من فقدانه ذلك أنه بديل للأب الذى لا تزال تتعلق به تعلقاً أنانياً لا شعورياً .

ثانيا : مرحلة الكمون :

هنا تدخل الغريزة الجنسية تحت عوامل الججل والاشمئزاز والاحباط والكبت إلى فترة هدوء واستقرار نسبيتين فى حياة الطفل لذا تعرف بمرحلة الكمون حيث تفر الأنانية وتهدأ انفعالات الطفولة الصاخبة التى تميزت بها مرحلة الطفولة المبكرة . وتتحول طاقة الليبدو عن طريق التسامى (تحويل الطاقة الجنسية المستكرهة إلى نشاط سامى يقبله المجتمع ويمجده) إلى ضروب أخرى من النشاط الحيوى لذا تظهر المهارات العقلية والفنية والحركية والاجتماعية والرياضية بدخول الطفل المدرسة الابتدائية وطوال هذه المرحلة .

ثالثا : المرحلة التناسلية :

تبدأ مرحلة البلوغ والمراهقة بنزعة ظاهرة للاختلاط ، البنون فيما بينهم والبنات فيما بينهم فتكره الصداقات والاجتماعات والأنشطة المشتركة بين أفراد الجنس الواحد وهذا الاندماج العاطفى قد يصل إلى حد الميل الجنسي الصريح وهو ما يسمى بالجنسية المثلية .

ثم تختتم الغريزة الجنسية مراحل تطورها بالجنسية الغيرية (أى الميل للجنس الآخر) حيث تتعاون المقومات الجنسية الطفلية فى خدمة الهدف الطبيعى النهائى للغريزة الجنسية وهو التناسل .

وأهم شروط اكتمال النضج الجندى والنفسى فى هذه المرحلة ثلاث :

١ - أن تخفى الذات الشبقية الطفلية على استقلال وأن تسير جميعاً في موكب اللذة المستمدة من العملية التناسلية . بمعنى أنه لو استمر التلذذ الفمى من مص وعض كهدف في حد ذاته ، أو التلذذ الشرجى ، أو التلذذ من العبث بالأعضاء التناسلية باليد وانصرف الفرد أو نفر من العملية التناسلية الطبيعية واكتفى بالنشاط الجنسي الطفلى فان نضجه الجنسي النفسى لم يكتمل . ولا بأس من تواجد بعض مظاهر الجنسية الطفلية لعوامل مساعدة لإثارة الشهوة الجنسية استعداد للنشاط التناسلى العادى .

٢ - أن الغريزة الجنسية تجمع بين اللذة الحسية وكذلك عاطفة الحب المعنوى
Armourous Sentiments

٣ - أن يجد الفرد الرضا والاشباع الجنسي والاكتفاء من فرد واحد من الجنس الآخر (العين تشوف كثير والقلب له واحد) . ورغم هذا الاكتفاء فان الفرد يظل محبباً لأمه وأبيه وأخوته وأخواته وأقاربه وزملائه ووطنه ومبادئه ومعتقداته بل والانسانية جمعاء ولكن بصورة تختلف عن المحبوب المختار .

والفشل في اكتساب هذه المقومات الثلاثة للنضج العاطفى والجنسى في هذه المرحلة يرجع إلى عاملين رئيسيين في هذه النظرية هما :

(١) التثبيت Fixation

، (٢) النكوص (التراجع) Regression .

(١) التثبيت : هناك في النمو الجسمى أربعة مراحل هي الطفولة والصبا والمراهقة والرشد ، ومن الطبيعى أن يمر الشخص من مرحلة إلى أخرى بتقدم يكاد يكون منتظماً ، وأحياناً يقف التقدم ويظل الشخص على

درجة واحدة من درجات السلم بدلا من أن يصعد إلى الدرجة التالية ، حين يحدث هذا في النمو البدني نقول أن نمو الشخص قد توقف ، وحين يحدث هذا في النمو النفسي والجنسي نقول أن الشخص غدا مثبتا فالشخص الذي حدث له تثبيت على الطور الرجسي مثلا نجده يختار موضوعا لحبه يشبه ذاته الجنسية أو النفسية وقد يكون هذا سبباً من الأسباب التي من أجلها يؤثر الشخص أن تكون علاقته الجنسية بذكر على أن تكون أنثى . أو قد يتزوج الشباب من أمراه مسترجلة ، أو قد تتزوج المرأة رجلا نمثا فالشخص هنا يجب صورته المنعكسة على موضوع حبه .

وبعبارة أخرى فان التثبيت هو التشبث بالأساليب الطفلية في الاشباع الجنسي .

والتثبيت يحدث بقدر معين لدى جميع الناس لكنه أن تجاوز حدا معيناً كان نقطة ضعف في الأنا Ego أو في شخصية الفرد . يمهّد للانحراف الجنسي أو المرض النفسي أو العقلي فيما بعد .

ويحدث هذا التثبيت لسببين هما : (١) الاشباع الشديد للغريزة الجنسية (بالمعنى الواسع لفرويد) في مرحلة الطفولة اشباعا يجعل الطفل يجد صعوبة في التخلي عنها أو يجعله يحن إلى العودة إليها حين يكبر . ومن جهة أخرى فان الاشباع الشديد للغريزة يؤدي إلى كبته لأن الطفل لا يلبث أن يصطدم مع ما يتلقاه الطفل من معايير اجتماعية (٢) كبج الغريزة الجنسية كبجاً شديداً مما يؤدي إلى كبته واشيع أسباب الكبت هو الخوف والشعور بالذنب أو الخجل أو الاشتزاز أو الاستهجان والاذلال والحرمان ، كذلك الخجل والاشتزاز والشعور بالذنب الشديد الذي ينجم عن التربية الجنسية غير الرشيدة خاصة في عهد الطفولة المبكرة .

(٢) النكوص : هو الارتداد أو التراجع إلى الأساليب الطفلية في الاشباع الجنسي بفعل أحباط شديد في الكبر . فمثلا الشاب الذي فشل فشلا ذريعا في كسب حب فرد من الجنس الآخر أو لقي صدم عنيف منه (إحباط) فانه قد يرتد إلى مزاولة العادة السرية بإفراط أو السواط (الاتصال الجنسي بفرد من نفس الجنس) أو السحاق (الاتصال بفرد من نفس الجنس في البنات) .

وفي الأمراض العقلية (الذهان) نجد النكوص بشكل واضح وأكثر انتشارا وبشكل بدائي فالتبول والتبرز اللاإرادي والاستمناء العنفي وكشف العورة دون حجب واستحياء وكافة مظاهر النشاط الجنسي الطفلي أمور معروفة لدى الذهانيين . ونكوص الفرد إلى اللذة الجنسية الطفلية واتخاذ هذا النشاط بديلا عما منى به الفرد من حرمان يحدث هذا عادة متى كان الحب التي تغدقه الأم على طفلها مصطبغا بصفة حسية غامرة مما يساعد على تدعيم التثبيت وتقويته وكذلك النكوص إلى المرحلة الذي زاد وتدعيم التثبيت فيها . وقد تزيد المداعبة الحسية من الأم حتى تصبح تعلقا جنسيا صريحا من الأم بطفلها خاصة إذا كانت الأم تعاني حرمانا جنسيا أو فراغا عاطفيا من زوجها أو أرملة أو كانت مصابة ببرود جنسي نحو زوجها . إذ ذاك نجد نوعا من الارضاء الحسي في مداعبة الطفل ، وعاقبة هذا أن يصبح الطفل موثوقا وثاقا جنسيا قويا بأنه ، فان اتفق له أن شعر بشيء من الحرمان والاحباط نكص وهرع إلى لذاته الحسية الطفلية يلتمس فيها عزاء وبديلا عما يعاينه من حرمان (٣١) .

ويتم فرويد اهتماما خاصا بصدمات انفعالية معينة تحدث في الطفولة المبكرة وتلعب دورا واضحا في التمهيد للعصاب النفسي . وأهم هذه الصدمات (١)

(١) انتهاك الكبار لأعراض الصغار (٢) الاعتداء الجنسي الذي يقع على أطفال من أطفال آخرين يكبرونهم في السن (٣) رؤية الأطفـسـال أو سماعهم للاتصال الجنسي الذي يتم في الغالب بين الوالدين أو غيرهم في وقت لم يفكر أحد أنهم يهتمون بمثل هذه الأمور أو سيفهمونها أو يستطيعون تذكرها فيما بعد ، وهذه الصدمات توجه دوافع الطفل الجنسية فيما بعد في اتجاهات شاذة . ولما كانت هذه الصدمات تتعرض للكبت مباشرة أو حين تحاول العودة في صورة ذكريات فهي إذن تكون استعداداً للقهر العصابي الذي سيجعل من المستحيل على الأنا فيما بعد أن تتحكم في الوظيفة الجنسية وربما يجعله يعرض عن هذه الوظيفة نهائياً فإذا لم يحدث العصاب ظهرت عدة انحرافات جنسية مختلفة وأصبح تدبير هذه الوظيفة وهي هامة جداً ليس فقط للتناسل بل لتنظيم الحياة بأكملها . والقهر العصابي نوع من العصاب تتلخص فقط للتناسل بل لتنظيم الحياة بأكملها . والقهر العصابي نوع من العصاب تتلخص أغراضه في تسلط الوسوس والخواف على ذهن المريض وإتيانه لبعض الأفعال والحركات القهرية تلجأ إليها النفس للتخلص من الرغبة الجنسية أو العدوانية مثل غسيل اليد المتكرر بشكل مسرف بعد المصافحة أو الانشغال بشخبة الصور في المحلات والكتب وغيرها أو الامضاء على كل ورقة يجدها الفرد . . . الخ . والسير الشخصية للحالات المرضية مصداق لفروض نظرية التحليل النفسي لا تقع تحت حصر ولا يتسع لها المجال هنا ولكننا نجتريء الآتي :

في كتاب ٥٥ مشكلة حب للدكتور مصطفى محمود وردت عدة سير شخصية أرسلت إليه طلباً للعون والنصيحة منها ما يأتي : —

(١) أنا شاب في العشرين . . . ما زلت إلى الآن طالباً بالثانوية العامة . . .

مظهرى محترم ومؤدب جدا . . . من يعرفنى لأول مرة يقول غنى أنى
 خجول وطيب ومهذب . . . وهذه فى الحقيقة هى المعاملات الظاهرة التى
 أبدوها أمام الناس . . . ولكن فى الخفاء حينما انفرد بنفسى ، فى غرفتى
 أتحوّل إلى شخص آخر تماما . . . ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق
 باب الغرفة وأحكم أغلاقه . . . ثم أفتح الشباك المطل على الجيران وأنجرد
 من ثيابى وأروح أتمشى فى الغرفة وأنا عريان . . . وأشعر بالسرور إذا
 أحسست أن هناك امرأة تلمحنى حتى ولو كانت خادمة . يحدث أحيانا أن
 تبصق على المرأة التى ترانى على هذه الحال وأحيانا تبسم ، وحدث أن نشأت
 علاقات بهذه الطريقة . . . وهى طبعاً علاقات قذرة مع خادومات ونساء
 ساقطات . . . والمشكلة أن هذه العادة اللعينة تتحكم فى ساوكنى وتستعبدنى
 تماما وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبد . . . لا أستطيع لها دفعا . . . ومهما لاقيت
 من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التماهى فيها . . . والغريب أنى فى
 وجودى فى مجتمع أتصرف بأدب وخجل شديد وكأنى شخص آخر . . .
 حدث أن كانت لى علاقات مع فتيات محترمت تعرفت بهن فى أماكن عامة .
 وكنت أدعوهم إلى نزهة على النيل أو إلى سينما . . . ولكنى كنت دائما
 أخسرهن فى النهاية بسبب مسلكى الشاذ فى السينمات . . . فى اللحظة التى
 ينطفئ فيها النور ويسود الظلام . . . كان يركبنى ذلك الشيطان فأتصرف
 بدناءة وقذارة وتكون النهاية ، وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة ولكنى
 أفعلها وأنا مغلوب على أمرى وأنا أشعر بتعاسة لا أجد لها حلا .
 أنا مريض أنا أعلم أنى مريض وأنا فى دراسى أرسب على الدوام وخائب
 خيبة لا أحدها ، وفى أعماقى احتقر نفسى وأشعر أنى ملوث ولكن ماذا أفعل ؟

(٢) أنا فتاة فى السادسة عشرة . . . فى المرحلة الثانوية . . . محبوبة من

كل من حولى حساسة جدا من الناحية الدينية فانا مثلاً أتمسك بالصلاة

وبقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء وكنت أصاب بحالات من البكاء والعصبية والرعشة بعد ليل أقضيها في الصلاة والدعاء ولكن هذه النوبات قلت الآن كثيراً . . . أحب السحاب الأبيض وأبكي عند رؤيته وأحب القمر والمطر وأحلم بالملائكة والآخرة ، وأقضي الساعات الطويلة في قراءة القرآن . . . ولكني للأسف الشديد لا اعتقد أني مؤمنة إطلاقاً فكثيراً ما كنت أفكر وأنا في وسط صلاتي أنه قد لا يكون هناك اله . . . لا أعرف أن كنت أحب الناس أم لا . . . ولكني أشفق عليهم إلى حد غريب وأخاف على شعورهم لا أكثر . . . أغلب أصدقائي من شبان عائلتنا يفضون إلى بأسرارهم . . . ونا كنت من البداية على استعداد للتطبع بطبعهم فقد أصبحت تصرفاتي رجولية إلى أبعد حد . . . فنلا لا استطع أن أضحك دون جلجلة ومشيتي عسكرية وتفكيرى حسن كتفكير الرجال ولا مانع من اقتحام أسوار أى شاب دون خجل وأغلب وقتي أقضيه منطوية مع الكتب .

بدأت مشكلتي عندما لاحظت أني أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة أحلام ملخصة جميعاً أني لست عذراء ، وتطورت الأحلام فأصبحت أحلم انى عارية تماماً أمام والدى وأن والدى ينظر إلى نظرة اشتها غريبة .

وبدأت أعتقد من ناحية والدى . . . بدأت أفكر أني شاذة فأخاف من شذوذى وبمرور الوقت ضاعت المشكلة لتبدأ غيرها . . . فقد بدأت أشعر بنفس الشعور تقريباً ناحية أخى الصغير فكنت أخاف من أن ينسام جانبي . واستيقظ أكثر الليالى فرعة مشمثة عندما يلمسنى بيده صدفة . . . وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام فى مكان آخر .

والآن أو بالأصدق منذ حوالى ثلاثة أيام تقريباً تنهت لنفسى وأنا

أنحص زميلاتي في المدرسة وأقول تلك جميلة جدا وهذه حلوة وهؤلاء مقبولات .. الخ وعادت مشكلتي من جديد ... هل أنا شاذة هل من الممكن أن ارتكب هذه القذارات .

بالأمس كانت ستنام أختي الصغيرة بجوارى فهرت من الفراش لأنام على الأرض وأمضيت الليل في خوف ودوار وابتهاال إلى الله .

أنا الآن أفكر في الموضوع واتساءل ... هل أنا واهمة ؟ ... هل السبب كثرة انطوائى وتفكيرى فى نفسى ، هل لأنى بعدت تماما عن جو الفتيان ؟ أم السبب هو شدة خوفى من الخطأ ... أم أنى شاذة حقاً ؟ ولم ؟ ! ولم أفعل أى شر أو أذى لخلق ... هل الله يكرهنى لأنى كفرت به ؟

وسأحاول مساعدتك فأنا لا اعتبر نفسى جميلة وأنا خجولة وحساسة جدا وجياشه العاطفة وأقول لك حادثة قد تساعدك ... فقد حدث لى وأنا صغيرة أن فعلت معى فتاة كبيرة شيئاً قبيحاً مازلت أذكره بالرغم من صغرى سننى وقتها وذلك لغرابة الأمر بالنسبة لى .

هذه مشكلتى وهى مشكلة تتفاقم معى يوما بعد يوم وأشعر بأنى أكره نفسى وبأنى أود تعذيب نفسى ولا أعرف لهذه الآلام نهاية أرجوك لا تحقرنى .

(٣) أنا أدخل اليوم فى عامى الثامن والعشرين ... منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت احترق فيه وأذوب وحدى دون أن يعلم بى حبيبى .

وحبيبى فى الستين من العمر ... لا تدهش ولا تمصص شفئك فى سخرية ولا تقل عنى مراهقة ... أو خيالية ... فهذا الحب هو الحقيقة الوحيدة فى خيالى الحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها .

هذا الرجل في الستين الذى تنظر إليه على أنه عجوز في خريف أيامه هذا الرجل كان دائماً ربيع أيامى . . . كان شبابى وكان قلبى لا ينبض إلا له .. وقد نشأنا في جيرة واحدة وكان صديقاً لعائلتنا . . . وقد تزوج وأنا في السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد وكنت أعيش على خياله وأنام وأنا على خياله . . . وكنت أتمنى لو ماتت زوجته ليصبح لى من جديد كما كان دائماً . . . وقد ماتت زوجته فعلا ومات معها طفلها الوحيد . . . وعاد جيبى يعيش منفردا في بيته الكبير يطوى ضاوعه في حزن دائم وتبلى عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل .

وفهمت أنه يعيش في ذكرى حب واحد هو حب لزوجته وأنه يحفظ لها أخلاصا لا يموت . . . وكتمت حبي في نفسى وحاولت أن أنساه ولكنه كان يشتعل ويتأجج في قلبى كلما رأيته بعينه الواسعتين الحزينتين .

وكان من عادته أن يتجول في الحديقة في الصباح ومعه كلاب الصيد التى يقتنها وهو لا يهوى في الدنيا إلا أربعة أشياء . . . كلاب صيده والكنان التى يداعب أوتارها في أوقات فراغه وصور زوجته ومهنة الهندسة التى يزاولها . أما أنا فلا مكان لى في حياته . . . أنه لا يشعر بوجودى لا يرى انوثتى ولا يحس بجمالى ولا يدرك عاطفتى المتأججة نحوه . . . وأنا في اليأس الذى أعيش فيه وأمام حبه المتفانى لزوجته الراحلة لا أجد الجرأة على مصارحته .

تقدم للزواج بي كثيرون وأتيحت لى فرصة للزواج لا تتاح لفتاة غيرى رفضتها جميعاً لأنى لا أريد أحدا سواه لأنى أنا زوجته أمام الله وأمام قلبى وسأطوى ضلوعى على سرى وأعيش وأموت له .

لعلك تقول . . . لابد أنها قبيحة لا أمل لها في أن يحبها أحد ولهذا خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه . . . ولكن الحقيقة المؤسفة أنى جميلة

ومثقة وأحمل دبلوماً عاليًا في اللغة الفرنسية وأجيد العزف على البيانو ومعشوقة من الجميع وعائلتنا ذات مركز مرموق وأعيش في مجتمع ينظر إلى في حب واحترام ولكني لا أشعر بهذا المجتمع ... لا أشعر إلا بشيء واحد هو حبيبي رغم أن بيننا فارق من العمر يبلغ ٣٢ سنة ولكني لا أشعر بهذا الفارق .. أنه شباني وطفولتي وحياتي ... ماذا أفعل وأنا أتعذب .

(٤) وبخلاف المرجع السابق نعرض الحسالة الآتية التي وردت في مجلة الدكتور العدد ٢٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٦ ص ٦٠٢ (تزوجت منذ ١٧ سنة وانجبت من الأولاد خمسة زوجي يجتاز الآن الـ ٣٩ من سنوات عمره وأنا سنة صحتي جيدة وأنا جميلة كذلك زوجي صحته جيدة ويأكل جيدًا وبشراهة ويشرب في اليوم ٣٠ سيجارة ، ٦ كوبات قهوة ومثلها شاي ، لا يفكر إلا في نفسه ... مشاكل البيت والأولاد هو بعيد عنها كل البعد .

أصيب منذ عشر سنوات بانهيار في أعصابه ، وعولج وشفي ورجع إلى طبيعته وكانت حالة الانهيار مصحوبة بهياج وأفراط جنسي حتى أصبت بهزال وضعف أما هو فعولج في عيادة نفسية .

منذ ثلاث سنوات أصيب بسرعة القذف والضعف الجنسي ، وضمور الرغبة الجنسية وربما ينقضي الشهران بدون شيء ... غير أنني لاحظت منذ مدة طويلة أنه يقوم بعملية الاستمناء (العادة السرية) ولا يدري بوجوده بجواره برغم أنني أنام كاملة الزينة ، حاولت تشجيعه دون تبذل ولكن عبتا حاولت ، فعلت معه المستحيل وجربت الانفصال عنه في النوم ولكنه هاج وثار .

لى صديقة أشارت على ببعض العلاجات ولكن فضلت أن يذهب
للكتور ولكنه رفض لأن صحته زى البلب كما قال .

كنت أستعمل أقراص منع الحمل ولكن لم استعملها الآن لأنه لا داعى لذلك
ورجعت لاستعمال العجلة إذا لزم الأمر كل شهرين .

أسرف زوجى فى الأيام الأخيرة فى هذه العادة القذرة ، وخوفا من
الزعل كل يوم تركته يفعل بنفسه ما يشاء ورغم ذلك يغير على غير
عمياء ، ما دور المرأة ، ماذا تفعل الزوجة ، وبجوارها زوج كامل الرجولة
يعبث بنفسه بيديه ؟ .

هل تصارحه ؟ إذا كان عصبي نكدى ماذا تفعل معه ؟ فى هذه
الحالة يود أن يخفى شلوده. وراء الزعل والزعيق ، ماذا تفعل الزوجة ؟
ندمت لأنى صرحت لصديقة لى بهذه الحالة .

حدث مرة سوء تفاهم وسافرت لأهلى ، مكثت عندهم شهرين
اتصل بنا شقيقه مرتين وحضر معه زوجى ورجعت لمتزلى ولكنى لم أشعر
بوجوده معى فى الفسراش كزوج غابت عنه زوجته هذه المدة .

من حلول صديقتى أن أشعر شقيقه بهذه الحالة ، وهذا موضوع مهما
كان لا أوافق على ذلك بأى حال - كذلك اخبرتنى أن أضع صفار
بيضتين فى كوبة لبن يشربها دائما عند الاستيقاظ من النوم ولكن عبثا
حاولت .

هذه مشكلتى وأنا على يقين من أن هناك آلاف غيرى لم يجدن الشجاعة
للتعبير عن شكواهن وربما انخرفن) .

نقد نظرية التحليل النفسى :

لا شك أن معظم ما لقيه فرويد فى آرائه من انكار واستنكار انما كان
راجعا أساساً إلى نظرياته البالغة الحرارة فى الموضوعات الجنسية .

فيري مكدوجل مثلاً :

(١) أن ما يذهب إليه فرويد من وجود ما يسمى بالجنسية الطفلية أى وجود نشاط جنسى فى عهد الطفولة لا يصح إلا فى الحالات الشاذة فحسب عندما نصادف أطفالاً صغاراً ينصرفون إلى العبث بأعضائهم التناسلية بشكل يرجع أحساسهم بلذة جنسية حقيقية . ولا مانع عندئذ من أن تؤدى هذه الحالة من الجنسية المبكرة إلى حدوث اضطرابات نفسية فى المستقبل ، ولكن ليس معنى ذلك أن تنسحب هذه الجنسية الطفلية الشاذة على الأطفال جميعاً .

(٢) ان ما يقوله فرويد من وجود مناطق شبقية يستمد منها الطفل لذة ذات طبيعة جنسية شديد الغموض ولا تؤيده أدلة قاطعة .

(٣) ليس هناك ما يدعو إلى التوسع فى مدلول الغريزة الجنسية وتضمينها كل حنوأو عاطفة حب كالحب المتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة والذى يصدر عن الغريزة الوالدية . وعلى ذلك فان الغريزة الجنسية يجب أن تفهم على أنها لا تشمل إلا الميول المتجهة إلى الاقتراب من الجنس الآخر والاتصال به فقط (٢٢) .

وخلاف ما سبق يضيف النقّاد ما يلى :

(٤) أنكر فرويد على الانسان كل فضيلة وأرجع كل تصرفاته إلى رغبته فى إشباع طاقته الجنسية وجعل الكراهية وراء كل مظاهر الحب ، والشر يكمن وراء كل خير فيه ، ولكن الأضواء الجديدة على أعماق النفس كشفت عن وجود رغبات خيرة فى

الإنسان بجانب رغباته الشريرة وأن العطف والحنان والحب يمكن أن ينبع من النفس الإنسانية ولا كيف تفسر توضحية الأم من أجل أبنائها وتوضحية الأخ من أجل أخيه ، وبذل الإنسان روحه من أجل وطنه أو من أجل قضية يؤمن بها وغير ذلك من الجوانب المضيئة في حياة الإنسان والتي أغفلها فرويد وهو يبحث في أعماق الإنسان ويسعى وراء كل ما هو مخز وشائن في أعماقه .

(٥) أن شخصية الإنسان في نظر فرويد شيء ثابت لا يمكن تغييره فهي تتكون في السنوات الخمس الأولى من حياته ثم تستقر بعد ذلك على الصورة التي تشكلت عليها في هذه السنوات الخمس ، وهكذا أغلق فرويد باب الأمل أمام كل إنسان يفكر في أن يطور شخصيته ، ولكن الأضواء الجديدة كشفت أن شخصية الإنسان ليست شيئاً مستقراً استاتيكية ولكنها في تفاعل دائم ونمو ونضج فهي ديناميكية لا تتوقف وأن الإنسان قادر على أن يحوّل ويغيّر من شخصيته مادام حياً .

(٦) أن كلمة الغريزة خاصة الجنسية والعدوانية هي من أكثر العبارات تردداً في كتابات فرويد والغرائز في الإنسان لا تختلف في مفهومها عنده عن مفهومها في سائر الحيوانات فهي لا تسعى إلا إلى الإشباع الفوري مهما كان المنطق أو الواقع أو التقاليد ومعايير المجتمع ولا يمكن للإنسان أن يتدخل في عملها إلا بالقدرة الضئيلة الذي لا يوقعه في مسؤولية الخروج على القانون ، أما الجليل الجديد من العلماء فقد حذف كلمة الغريزة من كتب الطب

النفسي فالإنسان في نظرهم ليست له غرائز بل دوافع وفرق شاسع بين الغريزة والدافع . فالإنسان قد استبدل هذا السلوك الغريزي الفطري بالسلوك الانساني الواعي الذكي المرن الذي اكتسبه بالخبرة والتعليم والذي يراعى فيه ظروف الحياة ومشاعر الآخرين . فالدوافع هي طاقة كامنة في الانسان تهينه وتدفعه ليسلك السلوك الذي يحقق به أهدافه وهي قابلة للتحويل تبعاً لظروف الحياة وخير الانسان ودرجة تعليمه . فالإنسان إذن محكوم بعاداته أى دوافعه المتعملة المكتسبة وليس محكوما بغرائزه الفطرية القهرية التي تدفعه لأراديا للسلوك الشاذ .

بجمل القول أن النظرة الجديدة لهؤلاء النقاد قد نقلت بؤرة الاهتمام من الماضي وخبرات الطفولة المبكرة إلى الحاضر وخبرات الانسان اليومية، ومن العوامل الوراثية والبيولوجية إلى العوامل الحضارية والاجتماعية . لذلك ظهرت مدارس التحليل النفسي الجديدة Neopsychoanalysis التي تؤكد أثر العوامل الحضارية في تكوين الشخصية واحداث الاضطرابات النفسية بدل الغريزة الجنسية وغريزة العدوان وكذلك تهتم هذه المدارس الجديدة بحاضر الفرد وظروفه الراهنة أكثر مما تهتم بماضيه وظروف طفولته المبكرة . ومن اتباع هذه المدارس الجديدة أوتورانك ، وهورنى واريك فروم ، وهارى ستاك سوليفان وغيرهم .

ومن هؤلاء المنشقين على آراء فرويد ظهر أدار (١٨٧٠-١٩٣٧) الذى لم يقتنع برأى فرويد في الدور الهام الذى تابعه الغريزة الجنسية في تكوين الشخصية والأمراض العصابية ورأى أن الشعور بالنقص هو السبب الأساسى لتكوين هذه الأمراض . وينشأ الشعور بالنقص نتيجة

لوجود عيب أو ضعف بدني يجعل الطفل عاجزاً عن مسابقة زملائه من الأطفال وقد ينشأ الشعور بالنقص أيضاً عن بعض المتاعب والصعوبات في بيئة الطفل كإساءة الوالدين له وحرمانه من الحب والعطف والتشجيع . ويرى أدلر أن الانسان يحاول دائماً أن يعرض ما به من ضعف وأن يخفي شعوره بالنقص بما يبيده من مظاهر القوة والسيطرة والتعالى وبما يلجأ إليه من وسائل وحيل لتقرير ذاته ، وقد ينتج عن ذلك حيانا أن يتجه اتجاهها معادياً للمجتمع ، ويعتبر أدلر أن دافع القوة وتقرير الذات هو القوة الإيجابية المسيطرة على الحياة ، على خلاف فرويد الذي يعتبر الدافع الجنسي هو القوة الهامة الفعالة في الحياة . وينشأ تفكك الشخصية والعصاب في رأى أدلر حينما يشق على الانسان أن يتخذ أسلوباً في الحياة يستطيع به أن يعرض ما يشعر به من نقص فيتملكه الخوف من الفشل في الحياة ، ويحاول أن يتقن الفشل ببعض الحيل الدفاعية التي تكون الأعراض العصائية ويتأخص العلاج النفسي في رأى أدلر في مساعدة المريض على معرفة (عقدة النقص لا عقدة أوديب) Inferiority Complex في نفسه . ومعرفة أسلوبه الخاص في الحياة لتحقيق القوة والسيطرة والتعالى ثم ارشاده إلى بعض الطرق العملية التي تهيء له حياة اجتماعية أكثر توافقاً . وأطلق أدلر على مجموع فروضه الجديدة اسم (علم النفس الفردي) Individual Psychology .

وكذلك أبتدأ تفكير يونج Jung يتجه اتجاهها مخلفاً لتعاليم فرويد ثم انتهى الأمر بانفصاله عن جمعية التحليل النفسي في عام ١٩١٣ وتكوينه مدرسة جديدة في زيورخ عرفت باسم (علم النفس التحليلي) Analytical Psychology

اعتقد يونج أن فرويد قد تغالى في تقدير الدور الذي تلعبه الغريزة

الجنسية في تكوين العصاب وأدرك قد تغالى في دور الدافع للسيطرة والتعالى والقوة . وفضل أن يعطى لليبيدو معنى أعم وأوسع من المعنى الذى وضعه فرويد وهو الطاقة الجنسية . يعنى يونج بالليبيدو (الطاقة الحيوية الكلية) وتنبعث هذه الطاقة من دوافع متعددة منها الحاجات العضوية بما فيها الدافع الجنسي والحاجات النفسية الحاجة للأمن والمحبة والتقدير والاجتماعى وتقرير الذات وتوكيدها . ثم العواطف عواطف الولاء للأسرة والاخلاص للوطن ونصرة المبدأ، وميول الفرد وهواياته ونشاطاته الاجتماعية والفنية والثقافية، وفلسفته في الحياة وضميره ومستوى طموحه واتجاهاته العقلية وسماته الخلفية ورغباته وأهدافه .

كل هذه الدوافع محركة لسلوك الانسان وتشكل الطاقة الحيوية الكلية . وكل مشاكل الانسان التى لم تحل بسبب غجزه عن اشباع الدوافع العامة السابقة تدخل في تكوين العصاب وتفكك الشخصية والأمراض العصبية ما هي إلا محاولات غير ناجحة للتكيف مع الواقع .

ويونج ينسب إلى الذكريات المكبوتة في اللاشعور دورا هاما في تكوين العصاب ولكنه لا يذهب كما ذهب فرويد إلى أن هذه الذكريات المكبوتة متصلة بالرغبات الجنسية الطفلية ولكن بكل مشاكل الطفل التى لم تحل بالمفهوم السابق .

واهتم يونج بدراسة الأنماط السيكلوجية ، فالمنبسط هو الذى تنتجه طاقته الحيوية للخارج ، والمنطوى هو الذى تنتجه طاقته الحيوية للداخل أى نحو الفرد ذاته .

وعنى يونج باللاشعور الجمعى Collective Unconscious وهو يحوى

التجارب والأفكار الموروثة من الأجيال السابقة وطرائق التفكير البدائي للعقل الانساني وهذا يختلف عن اللاشعور الشخصي الذي وصفه فرويد .

ومهما كانت هذه الانتقادات في المدارس التحليلية الجديدة فيعتقد كثير من الكتاب أنها مازالت داخل إطار المدرسة الفرويدية الأم لأنها مازالت تؤمن ، بأهمية اللاشعور ودوره في تكوين الشخصية وانحرافها ، وكذلك تؤمن هذه المدارس بالحلل النفسية اللا شعورية أو خافضات القلق وأثرها في تكوين الميول العصائية ، وأهمية الصراع النفسي والاحباط ، كذلك مازالت تؤمن بأجهزة الشخصية كما حددها فرويد في الأنا والأنا الأعلى والهو .

وعلاوة عما سبق فإن فرويد لم يذكر أن شخصية الانسان استاتيكية تتحدد كلية بسمات الطفولة المبكرة ولكنه ذكر أن هذه السمات ثابتة في كثير من الظروف لا كل الظروف . وأنها صفات صعبة في التغيير ولكنها ليست مستحيلة التغيير . ولم يذكر فرويد أن الانسان محكوم بغرائزه اللاشعورية المكبوتة في الهو فقط ولكن هذه الدوافع يحورها الأنا الأعلى المحكوم بقانون ما يجب أن يكون ، وكذلك الأنا المحكوم بقانون الواقع ومصلحة الفرد في مجتمعه . فكأن شخصية الانسان وسلوكه محكوم بالمطالب الأخلاقية والمطالب المجتمعة وليس بالمطالب الفطرية وحدها .

أما أهمية مرحلة الطفولة المبكرة فأمر لا يحتاج إلى أدلة عملية أكثر مما ذكرنا سابقاً سواء في الأبحاث الانثروبولوجية أو الحالات العيادية أو الأبحاث التجريبية .

وما يتفق عليه الجميع من مآخذ على فرويد هي مغالاته في الدور الذي تلعبه الغريزة الجنسية أو العدوانية دون سواها ، وكذلك نظريته

المتشائمة للطبيعة البشرية خصوصا قوله : ان الشر من طبيعة النفس الانسانية
وأن وراء كل نزعة حب كراهية مستترة والظلم من شيم النفوس .. الخ
كذلك اعتقاد فرويد أن لدى المرأة دافع لا يهدأ في الحصول على قضيب
أمر ينتابه الغموض عند كثير من علماء النفس المحدثين .

(٨) تكامل الشخصية Personality Integration

للصححة النفسية مقومات رئيسية أهمها ما يلي :

(١) النضج الانفعالى .

(٢) تكامل الشخصية .

والنضج الانفعالى بصفة عامة يعنى القدرة على التحكم الانفعالى فى المواقف التى تثير الانفعال دون اندفاع وتهور ، وارجاء اشباع الرغبات العاجلة للظروف المناسبة ، والاعتماد على النفس دون الاستغناء عن الغير .

والمعنى اللفظى لعبارة تكامل الشخصية هو الشخصية الناضجة أو الشخصية ذات التكيف الحسن أو الشخصية السليمة .

أما المعنى الاصطلاحي فى علم النفس فهو ، استعار من التكامل البيولوجى فى جسم الانسان . فجسم الانسان يتكون من أجهزة ذات وظائف مختلفة مثل الجهاز التنفسى والجهاز الدورى والجهاز العصبى . . الخ . ورغم اختلاف وظائف هذه الأجهزة فإنها جميعاً تعمل متعاونة لتحقيق هدف واحد هو المحافظة على حياة الفرد وعلى نوعه . لذلك يطلق العلماء على التكامل الوحدة فى التنوع أو الائتلاف فى الاختلاف . وبنفس الشكل نجد التكامل السيكلوجى للشخصية يعنى أن مكونات الشخصية وقواها المختلفة تتعاون بحيث تعمل كوحدة واحدة بهدف تسهيل تكيف الفرد فى بيئته المادية والاجتماعية .

والشخصية كما عرفناها من قبل هى وحدة ديناميكية تتكون من حصيلة تفاعل قوى ذاتية جسمية وعقلية وانفعالية وقوى بيئية مادية واقتصادية

اجتماعية . فاذا سهلت هذه القوى المختلفة بتعاونها تكيف الفرد تكاملت الشخصية وإذا عرقلت هذه القوى بتنافرها تكيف الفرد تفككت الشخصية وتصدعت .

فالإنسان له حاجات بيولوجية ، وله ضمير ومثل عليا ، وله قيم ومبادئ ومفهوم عن نفسه ، ومستوى للطموح ، ويعيش في مجتمع له مطالب اقتصادية واجتماعية . وكل هذه الحاجات قوى مختلفة فإذا عملت متناغمة منسجمة تحقق التكامل ، وإذا دب بينها الشقاق والصراع العنيف الموصول تصدعت الشخصية واجتاحها القلق والمرض النفسي أو العقلي .

وبعبارة أخرى نقول أن التكامل يعني خاوا الشخصية النسبي من الصراعات النفسية العنيفة المستمرة الشعورية أو اللاشعورية فالصراع بين حاجات الفرد البيولوجية وضميره ، أو بين نزواته وعاطفة احترامه لنفسه ، أو بين ما يريده الفرد وما يقدر عليه بالفعل ، أو بين افكاره ومبادئه وقيمه ، أو بين انجازاته وأهدافه ، أو بين رغباته ومخاوفه من العواقب .

إذا زادت حدة الصراع النفسي استهلكت الطاقة النفسية في مواجهة الحرب الداخلية ، ولم يبق قدر كاف منها لمواجهة مشكلات الحياة ومتطلباتها وأصبح انتاج الفرد قاصرا وانخفض مستوى احتماله النفسي . كذلك تختل العمليات السيكلوجية من تفكير وحكم وتميز وأستدلال اللازمة لحل مشكلات الحياة اليومية حلا منطقياً وواقعياً ، وهذه العمليات السيكلوجية أشد الطرق فاعلية لمواجهة تزايد التوتر أو منعه .

ويعبر عن هذا المعنى علماء التحليل النفسي بقولهم (... لكي تعمل العملية الثانية - التفكير والاستدلال - عملا فعلا يلزم ضبط الشحنات

الانفعالية في الهو ، وشحنات المثل العليا في الأنا الأعلى ، وذلك بتكوين شحنات مضادة ، وإلا اتجهت هذه الشحنات الانفعالية نحو تشويه مبدأ الواقع في الأنا وذلك بخلاطه بتفكير مغرض اندفاعي أو تفكير مفرط في التزمّت من الناحية الاخلاقية لا بد من وجود تيار من الطاقة النفسية متأهب لخدمة العمليات السيكولوجية من إدراك وتذكر وحكم وتميز ، وهذا لا يتأتى إلا بقدرة الأنا على التوفيق بين مطالب الهو والأنا الأعلى والواقع (٢٢... الخ) .

ولا يعني تكامل الشخصية خلوها من الاحباطات وألوان القلق والتوترات فان الحياة لا تخلوا أبداً من التوتر . فالتكامل لا يعني خلو الشخصية من المشكلات ولكن يعني القدرة على مواجهة المشكلات بطريقة فعالة ناجحة .

وكما أن الصراعات النفسية العنيفة تهدم تكامل الشخصية كذلك الحيل الدفاعية النفسية تساعد في هذا الهدم . هذه الحيل التي لجأ إليها الفرد لحفض القلق الناشئ عن الصراع النفسي . فالاستخدام المعقول لهذه الميكانيزمات الدفاعية فعال في حماية الشخص من القلق ولكن الاستخدام المفرط يستنزف الطاقة النفسية وتحل هذه الميكانيزمات محل التفكير الواقعي .

وطبيعي أن سلامة مكونات الشخصية الحسنية والعقلية والانفعالية والاجتماعية شرطا ضروريا لتحقيق تكامل الشخصية . فتلف الجهاز العنضي أو نقص نسبة الذكاء ، أو فرط المخاوف والمغاضب والغيرة الشاذة . أو قصور التكوين الخلقى والاجتماعي ، كل نواحي القصور هذه معوقات لتكامل الشخصية .

وبخلاف ما ذكر نوضح أهم الطرق المساعدة على تكامل الشخصية :

(١) اختيار هدف جوهري يعمل الشخص على تحقيقه مهما صادفه من عقبات أو من ضروب الاغراء . فهذا الهدف يوفق بين الدوافع المتصارعة ويحول دون تبديد الطاقة .

(٢) قدرة الشخص على حسم الصراعات بين الدوافع المتصارعة وذلك بأن ينصر أحد الدوافع المتصارعة على الآخر . فثلاً قد يقهر الحب الكره أو يشله ، أو قد يحسم الصراع بالعثور على طرائق لاشباع الدوافع المتعارضة جميعاً أو اندماجها في نشاط واحد مثل الموظف الذي يشبع حاجته للاعتماد على الغير وحاجته للاستقلال في وقت واحد من خلال نشاط واحد وهو عمله كأن يتفق مع رؤسائه في العمل ، أن يرجع إليهم في بعض القرارات الرئيسية بحكم أنهم أكثر خبرة منه ، وفي نفس الوقت ينهض بأعباء ومسئوليات وقرارات تستلزم حكماً مستقلاً صادراً منه وحده . وقد يوفق الفرد بين دوافعه العدوانية والأخلاقية في وقت واحد كما في مزاولة رياضة الملاكمة ، أو التوفيق بين الدوافع الجنسية والأخلاقية كما في الرقصات الجماعية (المحنشة) بين الجنسين مثل رقصة الدبكة السورية وغيرها . أو اشتراك الطلاب مع زميلاتهم في الأنشطة الاجتماعية والثقافية والفنية المختلفة ، أو قد يحسم الصراع بالتعبير المتقطع عن الدوافع المضادة من وقت لآخر مثل الصديق القادر على مصارحة صديقه بخطئه وتعنيفه وهذا لا يمنع من مواصلة مودتهما و صداقتهما .

(٣) تعلم طريقة للتعبير السليم عن المغاضب والمخاوف حتى تحول دون تصاعدها فيفقد الفرد توازنه النفسى . مثل الزوج-جان اللذان يتفقان مقدما على أسلوب حسم الخلافات بينهما ، كأن يكون بعيدا عن الأولاد أو دون تدخل الأقارب أو عن طريق الاقتناع والاقتناع لا لوى الذراع . . . الخ .

(٤) تعلم أسلوب الحلول الودية أو الحلول الوسطى فهى إلى حد ما مشبعة ، وإذا لم تكن مشبعة فهى تعين على الأقل عن احتمال الألم والقلق ، ولنعلم أن الفضيلة حد وسط بين رذيلتين هى الافراط والتفريط . مثل الاعتدال بين الحمود والتحرر الزائد عن الحد ، بين اليمين الرجعى واليسار المغامر ، بين الحب الشديد والكراهية المسرفة . . . الخ .

الفصل الثالث

طرق دراسة الشخصية وتقييمها

Personality Assessment

تقييم الشخصية معناه الحكم عليها إما عن طريق القياس أو عن طريق التقدير . وعرض النتائج في صوره رقمية في حالة القياس وفي صورة وصفية في حالة التقدير . فاذا استخدمنا أسلوب المقابلة كطريقة للدراسة الشخصية عرضت النتائج في شكل تقديري . أى عبارات وصفية وإذا طبقنا اختبارا للشخصية عرضت النتائج في شكل كمى رقمى غالباً . وحيث أن نتائج القياس واحدة مهما اختلف الفاحصون ، أما نتائج التقدير يمكن أن يختلف فيها الفاحصون . لذلك يطلق على طريقة القياس الكمية الطريقة الموضوعية ، أما طريقة التقدير الوصفية الطريقة الذاتية أو الشخصية .

وإذا كانت أداة القياس الكمية — أى الاختبار — على درجة عالية من الصدق والثبات مع توحيد طرق التطبيق والتصحيح (التقنين) كانت أقرب للأسلوب العلمى من الطريقة الذاتية بلا شك .

وحيث أن أدوات القياس الكمية للشخصية ما زالت على درجة منخفضة نسبياً من الصدق والثبات وقاصرة عن الكشف عن تبادل التأثير (أى التفاعل) بين قوى الشخصية المختلفة لذلك نجد العلماء مازالوا حتى اليوم يستخدمون الطريقة الموضوعية والذاتية معا حتى يتكون لديهم صورة أكثر شمولاً وصدقاً عن الشخصية الانسانية . أى الجمع بين الحكم الذاتى

والموضوعى فى تقييم الشخصية . وبذلك نكون قد أخذنا فى اعتبارنا طرق
الدراسة المختلفة المنبثقة من نظريات الشخصية المختلفة . سواء السلوكيون
الذين يركزون على قياس أقل عدد من السمات أو الأنماط أو المحاور الكبرى
المنفصلة وعرض النتائج فى صورة عددية بواسطة الاستخبارات أو موازين
التقدير وغيرها ، وكذلك علماء التحليل النفسى الذين يركزون على
مقابلات التداعى الحر وتأويل الأحلام ، والجشطلتيون الذين يركزون
على اختبار الشخص ككل — لا بعض سماته — فى مواقف الحياة العادية حتى
يمكن الكشف عن أسلوبه التوافقى العام فى حل مشاكله وفى علاقته
مع الغير .

(١) الطرق الخاطئة لدراسة الشخصية

(١) من المقرر علمياً أن القصور الكمي والكيفي في نظام التغذية للفرد قد يسبب تحللاً في النمو الجسمي والعقلي خاصة في الأطفال الرضع، وبعض أمراض سوء التغذية كالبلاجرا مرتبط باضطرابات ذهنية. هذه حقيقة علمية ولكن يستغلها أرباب العلمية الدجلية بصورة انشائية ويقولون: (إن نوع وكمية الغذاء الذي يتناوله كل إنسان هو الذي يحدد طبيعة شخصيته... إن الأمر لا يحتاج إلى علاج من الطب البشري أو فلسفة من علم النفس. أن الأمر ببساطة هو أن أسوأ الاضطرابات النفسية والعقلية يمكن أن ترجع إلى نظام خاطئ في التغذية) وهنا نجد الانزلاق في خطأ وحدانية السبب فمن المقرر أن الشخصية لا تتكون بعامل واحد ذاتي أو بيئي ولكن تتفاعل عوامل متعددة، وكذلك لا تنهار الشخصية وتتصدع بسبب عامل واحد ولكن نتيجة تفاعل عوامل متعددة من بينها أمراض التغذية.

(٢) من الحقائق المؤكدة في علم النفس أن الإنسان يسقط ما بنفسه من انفعالات ونزعات على العالم الخارجي لخفض القلق الناشئ من الصراع النفسي والاحباط فالكريم غالباً - لا دائماً - يرى كل الناس كرماء، والخائن يتصور زوجته خائنة وهكذا. وقد استغلت هذه الحقيقة النفسية في قياس الشخصية وذلك باتاحة الفرصة للشخص لوصف شكل أو صورة غير محددة المعالم فيرى فيها المفحوص ما بداخل نفسه. وبنيت اختبارات اسقاطية على هذا الأساس ولكن بطريقة علمية، أي للاختبار معامل صدق وثبات ومقنن.

فيستغل أرباب الدجلية العلمية هذه الحقيقة أيضاً ويقررون، إن

الخطوط الخارجية لصورة الانسان تعكس بصورة مذهلة تركيب شخصيته خاصة أسلوب حياته وموقفه من الجنس الآخر وهكذا تساق البيانات والاختبارات الزائفة بلا تقين أو معامل صدق أو ثبات . وشتان بين هذه الخزعات وبين اختبار تفهم الموضوع (TAT) أو اختبار بقع الحبر لرورشاخ Rorschach مثلاً .

(٣) من الحقائق المقررة أيضاً في علم النفس طبقاً لنظرية المجال أو الحشطات أن الكل أكبر من مجموع أجزائه . ومن ثم فلا يمكن الحكم على الكل من مجرد دراسة جزء واحد فيه أو دراسة أجزائه منفصلة ، كما أنه لا يمكن الحكم على خصائص كتاب مثلاً من مجرد دراسة فصل فيه .

أما أرباب الدجلية العلمية فنجدهم يأخذون من السلوك حركات الرأس واليدين فقط ويستنتجون منه النشاط العقلي والانفعالي والاجتماعي والخلقي وسائر بناء الشخصية . فيقولون : (ان شد الأذن باليد يعنى الغيرة ، وتشابك الأيدي على الركبة يعكس المخاوف أو الشك ، ووضع اليد على الرأس معناه امتلائها بأفكار غير سارة ، وزم الشفاه معناه كتم الغيظ والغضب ، وسند الرأس على اليد يعنى الارهاق الذهني نتيجة إلحاح المشكلات الاقتصادية والمادية ، والامساك يظهر الكرسي بخني القلق والاضطراب ، والامساك بدبلة الخطوبة أو الزواج أو خلعه يعكس القلق بسبب مشكلات عاطفية بين الطرفين ، وقضم الأظافر بالانسان يعكس العدوان والتظاهر بغير الحقيقة أمام الجنس الآخر ، وعض الشفاه معناه ضياع الأمل في النجاح أو توقع تغير في الحوادث لا نرغبه ، واللعب بالأشياء مثل قصاصات الورق معناه أخفاء الأمور أو رغبة لا شعورية في الانطواء ، وتشابك الذراعين دليل الثقة بالنفس والتجدي ... الخ) .

أن أى سمة حركية حتى ولو كانت ثابتة نسبياً قد تكون مجرد تقليد ولا تعكس أى حالة نفسية سيئة أو خطأ فى تكوين الشخصية إلا إذا ارتبطت بسببات نفسية وعقلية أخرى أهمها ضعف الاتزان الانفعالى الذى يتمثل فى الثوزة لأتفه الأسباب وسرعة الاهتياج والعجز عن ضبط الانفعالات وكذلك القلق الذى يتضح فيما يبيده الفرد من الحيرة والتردد والخوف من المستقبل والتشاؤم بشكل موصول . فاذا ظهرت بعض الحلجات النفسية مثل الانقباضات التشنيجية فى مجموعة من العضلات كعضلات الوجه أو الكتفين . أو غير ذلك من الحركات المضطربة مثل قضم الأظافر أو فرك اليدين أو فرقة الأصابع أو حك مؤخرة الرأس أو السير جيئة وذهاباً بلا سبب . نقول إذا ظهرت هذه الحركات المضطربة دون ارتباطها بالاختلال الانفعالى أو القلق فهى غالباً ما تكون إما حركات طارئة أو مقلدة ليس لها دلالة فى بناء الشخصية . وتؤكد من ذلك بدراسة مكونات الشخصية مجتمعة جسمية وعقلية ونفسية واجتماعية وخلقية ، وتقدير الوزن النسبى لكل عامل على حدة وعلاقته بالعوامل الأخرى . . . الخ . فأحياناً نجد اضطراب الغدد الصماء له صلة بهذه الحركات المضطربة ، أو ترجع إلى صدى سىء فى نفس الفرد نتيجة معاناته من أمراض جسمية مزمنة بما تشعره من نقص وعجز وخوف من المستقبل ورثاء اللذات . أو نتيجة أصابته بأمراض نفسية واضحة . . . الخ . أما الانتكاسات والتراجعات للمرحلة الجنسية الضمنية مثل قضم الأظافر أو زم الشفاه بقوة أو عضها فلا تفهم إلا فى ضوء الكشف عن المؤامرة بين الكبت العنيف فى الطفولة المبكرة والاحباط الشديد فى الكبر وإلا فلا دلالة تشخيصية لها .

(٤) من الوسائل الخاطئة أيضاً الفراسة وتتضمن الحكم على شخصية الفرد من ملامح وجهه كما فعل (لبروزو) من قبل ، أو تضاريس الجمجمة كما فعل (جال) ، أو من خطوط الكف أو قراءة الفنجال والظالع وضرب الودع وفتح الكتاب كما يفعل المنجمون وهم كاذبون حتى لو صدقوا.

(٢) فوائد الدراسة العلمية للشخصية

(١) تتضح أثر دراسة شخصية العميل في الخدمة الاجتماعية مثلاً . حيث تتيح لنا دراسة أهم سماته وأسلوب حياته في الماضي والحاضر وتطلعاته للمستقبل بما يمكننا من التشخيص ووضع الخطة العلاجية للمشكلة . فدراسة تطور شخصية العميل هو حجر الزاوية في التاريخ الاجتماعي والذي من أجله ندرس سكن العميل وظروف جبرته ، وتركيب أسرته وتطور نظرتها للمشكلة . ومن أجل ذلك أيضاً نقوم بالمقابلة والزيارة المنزلية ، وندرس المستندات والسجلات الخاصة بالعميل سواء في المؤسسة أو المؤسسات الأخرى ونستعين بالخبراء ، ونصل بمصادر المعلومات وغير ذلك من وسائل الدراسة .

وبذلك توضع لوحة بيانية أمام الاختصاصي الاجتماعي عن شخصية العميل وأثرها في مشكلاته ، لوحة تعرض فيها الحقائق الهامة وتصنفها وتربطها ببعض لاستخلاص المادة الدراسية ذات الدلالة التي أوضحها النظريات العلمية للشخصية .

(٢) دراسة شخصية العميل تكمل صورة الشخصية التي تحصل عليها من اختبارات الذكاء .

(٣) تساعد دراسة الشخصية في الاختيار والتوجيه الزوجي ، وكذلك الاختيار والتوجيه التعليمي والمهني .

(٤) تساعد في التنبؤ باستجابة الفرد تحت ضغوط معينة كظروف

المعارك الحربية أو المواقف القيادية أو الإصلاحية . . . الخ .

(٥) تساعد في تتبع التغيرات التي تطرأ على سلوك الفرد في حالة الصحة والمرض ، والتنبؤ بسير المرض النفسي أو تشخيصه وعلاجه وتشخيص أسباب سوء التكيف عمومًا أو معرفة مدى التحسن في العلاج النفسي .

(٦) تساعد الدراسة في الأغراض العلمية المختلفة للوقوف على أثر العوامل المختلفة الذاتية والبيئية سواء في تكامل الشخصية أو تصدعها .

(٣) وسائل دراسة الشخصية

- (١) موازين التقدير.
- (٢) الاستخبارات .
- (٣) الاختبارات الاسقاطية (الاستفتاءات) الموقفية .
- (٤) دراسة الحالة .
- (٥) التداعى الحر والتنويم المغناطيسى .
- (٦) دراسة الأحلام .
- (٧) المقابلة .

هناك أشخاص من رفيعى الذكاء والمواهب ولكنهم لا يستطيعون تحمل المسئولية وينقصهم المبادأة والإرادة وبالتالي لا يمكن اسناد مراكز قيادية لهم استنادا على معيار الذكاء والموهبة أو الأقدمية وحسبها .

وهناك أشخاص يميلون للسيطرة أو سرعة الانفعال ويريدون الزواج من شابات يملن للسيطرة أو سرعة الانفعال مما يجعل احتمال توافقهن الزوجى أقل مما لو كان أحدهم يميل للسيطرة والاخر يميل للخضوع أو العكس .

وهناك طلاب يتقدمون للالتحاق بالكليات العسكرية من أصحاب الجسوم والعقول ولكن ينقصهم سمات شخصية هامة مثل الشجاعة والثقة بالنفس وقوة الاحتمال النفسى ومقاومة الانحاء .

والمهم فى كل الحالات السابقة وغيرها كيف نهتدى لوسيلة علمية لتقدير كمية ما يتصف به الشخص من الصفات القيادية الهامة والسمات

i (١٣)

الشخصية المطلوبة للنجاح الزوجى ، أو النجاح فى الكليات العسكرية وغيرها من مؤسسات المجتمع الهامة .

يجب على هذا السؤال علماء النفس ويساهمون بنصيب وافى فى تحقيق هذا المطلب القومى ووسيلتهم فى ذلك هى أدوات قياس الشخصية والحكم عليها بطريقة علمية وأهمها ما يلى :

(أولاً) موازين التقدير Rating Scales :

ميزان التقدير هو مقياس لتقييم شخصية الفرد تقيماً كمياً ، أى تقدير كمية ما يتصف به الفرد من السمات الهامة للشخصية . وكل مشرف يصلح للحكم على شخصية من يشرف عليه سواء فى مجال الانتاج أو الخدمات ، كالمدرسين بالنسبة لطلابهم ، أو رواد الأندية بالنسبة للأعضاء ، أو الاخصائيون الاجتماعيون فى دور الملاحظة بالنسبة للاحداث الجانحين . . . الخ . ويشترط فى كل الحالات تعدد الفاحصين بالنسبة لكل مفحوص ، وتوفير عامل الاهتمام والكفاءة والخبرة فى مجال التقييم المطلوب .

وسمة الشخصية الداخلة فى الميزان لا يمكن قياسها إلا إذا عرفت تعريفاً واضحاً محدداً وفى صورة عملية أو اجرائية . فمثلاً سمة المثابرة قد تعرف بشكل وصفي أو انشائي كالاتى : المثابرة هى العزم والحزم وحرارة التصميم . هذا التعريف يسمح باختلاف الفاحصين فى فهم معنى المثابرة والعجز عن التمييز بينها وبين الصفات الأخرى مثل الإرادة أو المبادأة أو الشجاعة .

ولكن إذا عرفنا المثابرة بأنها قدرة الفرد على الاستمرار فى عمل شاق نسبياً حتى الوصول لغرض محدد أمكن ترجمة هذا المعنى إلى محسوسات

سلوكية يمكن ملاحظتها بواسطة الغير وقياسها واجراء التجارب عليها. ولهذا يقال إن هذا التعريف اجرائى ولا يختلف الفاحصون فى فهمه .

أما عن تحديد عدد ونوع سمات الشخصية التى يتألف منها ميزان التقدير فهذا يمكن الوصول إليه بالتحليل الوظيفى للمهنة أو البرنامج الدراسى أو الكتب الدراسية فى هذه المجالات (Job analysis) أو تحديد أهم الصفات للأشخاص الناجحين فيها وكذلك بالرجوع للخبراء فى هذه المجالات .

وهناك أنواع متعددة من موازين التقدير منها قوائم التقدير وهى عبارة عن قوائم بكلمات أو جمل أو فقرات يضع الفاحص بعدها علامة تدل على وجود أو عدم وجود الصفة المطلوبة .

فمثلا قد نطلب من المدرسين وصف سلوك الطالب أثناء قيامه بفحص مادة تحت الميكروسكوب ثم نطلب من المدرس وضع علامة على العبارة التى تناسب مع استجابة الطالب فى هذا الموقف . ونعطى للمدرس هذه القائمة :

- | | |
|---------------------|--------------------------------------|
| (١) حركاته مرتبكة . | (٢) بارع فى حركاته . |
| (٣) بطيء ورزين . | (٤) سريع جداً . |
| (٥) أصابعه ترتعش . | (٦) واضح الانزعاج . |
| (٧) واضح الغضب . | (٨) لا يأخذ العجل مأخذ الجدل . الخ . |

أما مقياس التقدير هو مقياس لتسجيل درجة وجود سمة معينة من سمات الشخصية الهامة . ويمكن أن تحدد هذه الدرجة بإعطاء درجات ١ ، ٢ ، ٣ ، صفر بدلا من كثير التعاون مثلا أو متوسط التعاون أو قليل التعاون أو لا يظهر عليه التعاون على الترتيب ، أو بدلا دائما يتحمل المسؤولية ،

أو غالباً يتحمل المسؤولية ، أو أحياناً يتحمل المسؤولية ، أو لا يتحمل المسؤولية أبداً على التوالي .

ويمكن أن نبين ما لدى الفرد من السمات بنسبة مئوية أو رسم بياني وغير ذلك من وسائل عرض النتائج بأسلوب كمى عددي ، وهكذا بالنسبة لأي صفة أخرى مثل المرح أو التفاؤل أو الثقة بالنفس أو الاتزان الانفعالي وغير ذلك من الصفات الانفعالية والاجتماعية والخلقية للأفراد التي أعتبرت أهم متطلبات للنجاح في مجالات الحياة العامة . ويمكن الحد من تحيز الفاحصين إذا اتخذ من الشخص المتوسط أساس لترتيب باقي المفحوصين تصاعدياً أو تنازلياً . كذلك تقدير كل سمة من السمات لدى المفحوصين جميعاً واحداً بعد الآخر بدلاً من تقدير السمات جميعاً على التعاقب لدى كل مفحوص على حدة . أو يحكم على كل فرد بدوره بأنه أحسن أو أسوأ من كل فرد آخر في المجموعة ثم تعالج نتائج هذه المقارنات الزوجية بطرق احصائية خاصة للوصول إلى تقديرات نسبية .

ويمكن للفرد أن يطبق ميزان التقدير على نفسه ولكنه ثبت أنه لا يمكن الاعتماد على النتائج إن لم تكن تقارن بتقديرات الغير .

ومن أهم الأخطاء والصعوبات الشائعة في موازين التقدير ما يلي :

(١) خطأ الهالة ومعناه أن يحكم الفاحص على المفحوص بحسب اتجاهه العقلي أو انطباعه العام عنه ، وغالباً ما يستمد الفاحص هذا الاتجاه من الشائع في بيئة الشخص أو حكم الملاحظين السابقين أو شهرة المفحوص وما إلى ذلك .

(٢) خطأ البداية والنهاية ، وذلك حينما يتأثر الفاحص بنشاط المفحوص في بداية سلوك معين ونهايته فقط دون الأخذ في الاعتبار فترة ما بين النهايتين .

(٣) استخدام سمات كثيرة جداً أو قليلة جداً مما يقلل من ثبات الميزان وقد وجد أن سبع سمات يؤدي إلى درجة ثبات ملائمة .

(٤) صعوبة وضع تعريف إجرائي للسمة المطلوبة .

(٥) استخدام عدد غير كاف من الفاحصين المدربين على الملاحظة المقننة ، وقد وجد أنه ينبغي الحصول على تقديرات ثلاث فاحصين مستقلين على الأقل في معظم الحالات التي تقيم فيها سمات الشخصية .

(٦) أحياناً يؤدي تحيز الفاحصين إلى تقديرات متطرفة اما عالية جداً أو منخفضة جداً ، وأحياناً يخاف الفاحصون من التطرف ويلتزمون بالقيم الوسطى وقد تكون غير واقعية .

(٧) هناك بعض الصفات الشخصية لا تظهر للغير لأنها ترتبط بالخوف أو الألم أو الحجل أو العار أو مرتبطة بمشاعر الحياء والاحتشام كالسلوك الجنسي مثلاً وفي هذه الحالة لا يمكن للغير ملاحظتها وبالتالي تعجز موازين التقدير عن الكشف عنها . زد على ذلك أن الدوافع اللاشعورية يعجز المفحوص عن الكشف عنها .

وبوجه عام يمكن تقليل نواحي الضعف في موازين التقديرات بأعداد دليل للتعليمات يحتوى على تفصيلات دقيقة عن معنى كل صفة وعن طريقة الاستخدام وطريقة التصحيح التي يجب أن تكون ثابتة موحدة لدى جميع الفاحصين ، ويكون للميزان معامل صدق وثبات 'معقول وأن يكون قد سبق تجربته قبل الاستخدام لمراجعة نواحي الضعف فيه .

ثانياً) الإستخبارات (الاستفتاءات) Questionnaire

تكثيك شائع الاستعمال في طريقة المسح في البحوث النفسية والتربوية ودراسة الشخصية في العيادات النفسية المختلفة ، وهو عبارة عن قائمة أسئلة تجاب بنعم أم أو لا أو صح أو خطأ أو أى إجابة قصيرة . . . الخ وتوضع الأسئلة في ضوء العرض من البحث أو على أساس السمات الرئيسية للشخص . وقد يرسل الاستفتاء بالبريد أو يسلم باليد ولكن بدون اتصال شخصي بين الفاحص والمفحوص .

أما إذا أجاب المفحوص على أسئلة الاستفتاء بإرشاد الباحث أثناء الاتصال الشخصي سميت الطريقة حينئذ بالمقابلة المقيدة وسمى الاستفتاء بمجدول المقابلة أو قائمة البحث Schedule ، والاستفتاءات أداة مفيدة في البحث العلمي متى كانت الأسئلة واضحة ومتى توخى المفحوص الصدق والأمانة والاهتمام في الإجابة على الأسئلة .

وأنواع الاستفتاءات أو الاستخبارات ما يلي :

(١) الاستفتاء ذو الأسئلة المقفلة closed form (هل تحب مشورة الغير في حل مشاكلك ؟) . نعم ، لا

(٢) الإستفتاء ذو الأسئلة المفتوحة open form (أحب ... / أكره ...)

والاستفتاء ذو الأسئلة المقفلة يتقيد فيه المفحوص بإجابة محددة أما بنعم أو لا ، أو موافق أو غير موافق ، أو وضع علامة أو رقم أو دائرة على رقم معين للإجابات المعروفة أو ترتب بعض الإجابات بحسب أهميتها للمفحوص وغير ذلك .

وميزة هذا النوع أنه سهل في التصنيف والتحليل الإحصائي ولكنه عاجز عن الكشف عن الاتجاهات العقلية والقيم لدى المفحوص .

أما استفتاء الأسئلة المفتوحة لا يتقيد فيها المفحوص بشيء بل يستجيب بحرية وتلقائية كيفما يريد . مثل ما رأيك . . . ؟ أو أسئلة الحمل الناقصة أحب أكره . . . الخ . وهذه الأسئلة مفيدة في الكشف عن اللوافع والاتجاهات والقيم . ولكنها صعبة في التوبيخ والتحليل الاحصائي ، ويمكن أن يصمم استفتاء خليط من النوعين بجانب الأسئلة التقليدية عن البيانات الاجتماعية كالاسم والسن والجنس والمستوى الاقتصادي وكذلك الأسئلة التي تنصب على الأسباب وتبدأ بلماذا ... الخ

مما سبق نرى أن موازين التقدير عبارة عن أدوات لتقييم الشخصية تعتمد على آراء الغير عن المفحوص أما الاستخبارات أو الاستفتاءات فهي عبارة عن أدوات لتقييم الشخصية تعتمد على آراء المفحوص عن نفسه أى عن سلوكه الخاص واحساساته وصفات شخصيته .

وحيث أن الاستخبارات تعتمد على آراء المفحوص عن نفسه فاذاً هي طريقة تعتمد على التأمل الذاتي أو الاستبطان وفيها يقرر الفرد ما يعرفه عن نفسه ويلاحظه من تصرفاته ، وهو يفعل ذلك عن طريق الاجابة عن أسئلة محددة أو يقرر أمام عبارات تقدم له بأنها صحيحة تنطبق عليه أم أنها لا تنطبق عليه أو بعلامة استفهام دلالة على أنه لا يعرف ، وغالباً ما يتكون الاستخبار من (١٥٠ - ٣٠٠) عبارة أو سؤال للكشف عن سمات هامة للشخصية مثل : التكيف الأسرى ، التكيف المهني والتكيف الاجتماعي ، والتكيف الانفعالي ، القيادة والتبعية ، السيطرة والخضوع ، الانطواء والانبساط ، الرضاء الذاتي ، التفاؤل والتشاؤم المرح والاكتئاب . . الخ .

وهذه السمات يجب أن تكون مستقلة بعضها عن بعض إحصائياً ، ولا يمكن تحليلها إلى صفات أبسط منها طبقاً لنظرية التحليل العامل . كما أن

الاستخبارات مبنية على أساس نظرية السمات السابق الإشارة إليها التي تعتبر الشخصية مكونة من صفات منفصلة تظهر من استجابة الفرد بطريقة ثابتة لمؤثر محدد. لذلك نجد أن الأسئلة أو العبارات ثابتة ويجب عليها بطريقة موحدة بالنسبة لجميع المفحوصين .

وتتميز طريقة الاستخبار عن طريقة موازين التقدير بأنها تعطينا صورة للشخص لا نستطيع الحصول عليها إذا اكتفينا بملاحظة تصرفاته الظاهرية كما في موازين التقدير . لأن شعور الشخص وقصده قد يختلف عن سلوكه ولا يجب أن يأول الفاحص أو يفسر التقرير اللفظي للمفحوص ولا يخرج عن الشروط الموضحة بمراسة التعليمات للاستخبار .

ومن ميزات الاستخبار كذلك مقارنة الأفراد بعضهم ببعض على أساس التقدير الكمي للسمات المقيسة إذا خصص لكل إجابة قيمة عددية خاصة في الاستخبار .

وينشأ قصور الاستخبار من افتراض أن الفرد يعرف ويرغب في الكشف عن النواحي الهامة لشخصيته . وفضلاً عن ذلك ما زالت محاولة تقسيم الشخصية إلى سمات منفصلة موضوعاً للجدل بين علماء النفس خاصة الحشيطاليون الذين لا يوافقون على ذلك .

الواقع أن الفرد قد لا يعرف دوافعه إذا كانت لا شعورية ، وقد لا يرغب في إظهارها إذا كانت مؤلمة أو مخيفة أو مشينة . وعلاوة على ذلك قد يتأثر المفحوص بنجراته الحديثة سواء إذا كانت سارة أو مؤلمة ويعمم نتائج هذه الخبرة على نفسه بصفة عامة ، كذلك قد يلجأ بعض المفحوصين إلى التزييف أو الإهمال أو التخمين في الإجابة مما يقلل من قيمة الاستخبار ، وفيما يلي عينة من مفردات بعض الاستخبارات :

— ٢٠١ —

- (أ) هل تقلق أثناء الليل بسبب أحلام عن عملك ...
 نعم () لا () لا أعرف ()
 هل ترى أحيانا فقط الشبح أمام عينيك
 نعم () لا () لا أعرف ()
 هل تفقد أعضائك وتغضب بسهولة
 نعم () لا () لا أعرف ()
 هل تشعر أن الحياة عبء لا يحتمل
 نعم () لا () لا أعرف ()
 هل تخاف السقوط من مكان مرتفع
 نعم () لا () لا أعرف ()
 هل يجرح الغير شعورك بسهولة
 نعم () لا () لا أعرف ()
- (ب) أجسد صعوبة في التحدث أمام زملائى فى المدرسة صحيح خطأ
 كثيرا ما أحاول أن أدارى خجلى
 أحس أن الناس تنظر إلى بانققاد.
 أخشى مقابلة الغرباء
 من السهل أن يجرح شعورى

وهنا يضع المفحوص علامة تحت صح أو خطأ بالنسبة لكل عبارة .
واللحد من تزييف المفحوص يوضع بالاستخبار أسئلة واحدة مرة بصورة
الاثبات ومرة بصورة النفي ، أو يعنون الاستخبار بعنوان بحيث يبدو أنه
يختبر شيئاً آخر غير ما يريد بالفعل ، أو أن تدرج فيه أسئلة غريبة عن
موضوعه الأصلي . غير أنه يجب أن نذكر أنه ما دامت كل سمة تقاس
بعدد كبير من الأسئلة تنصب على مواقف مختلفة فمن المستبعد أن يحرف
المفحوص اجاباته في جميع هذه الأسئلة .

وأسئلة الاستخبار يجب أن تكون واضحة في ذهن المفحوص دون لبس
أو إلهام ولا توحى بجواب معين أو تكون من النوع الذي يخرجه أو
يربكه ، وتساعد التجربة المبدئية قبل تطبيق الاختبار عملياً على حذف كثير
من الأسئلة والعبارات غير المناسبة .

ويرى (تراكسلر) أن البيانات المستخلصة من الاستخبارات تحت
التلاميذ على تقييم صفات شخصياتهم تقييماً ناقداً ، كما أنها خطوة
انتقالية مفيدة تهيء إلى فاعلية المقابلات بين المرشد النفسى والعملاء . كما
تساعد على تحديد الأفراد سيئىء التوافق والذين يحتاجون إلى توجيه
ليتكيفوا تكيفاً ذاتياً واجتماعياً ناجحاً .

ومن أمثلة هذه الاستخبارات اختبار ودورث وثرستون وبونويتز
واختبار مينيسوتا متعدد الأوجه للشخصية وغيرها ، هذا وقد تسمى
الاستخبارات استفتاءات أو استبيان أو تقارير التشخيص الذاتى .

وعلى نفس فكرة الاستخبارات وضعت (قوائم تقدير المشكلات)
تتناول المشكلات بدلا من سمات الشخصية أو الميول .

وتشتمل القوائم كذلك التى وضعها (مولى) وزملاؤه بجامعة ولاية

أوهايو بأمريكا على عبارات تسهل على التلاميذ التعبير عن المشكلات التي تقلقهم في ميادين مختلفة مثل : الصحة والنمو الجنسي ، الحب والزواج ، النشاط الاجتماعي والترويحى ، المنزل والأسرة ، الأخلاق والدين ، التكيف في العمل المدرسى ، المستقبل المهني والتعليمي ، المنهج وطرق التدريس . . . الخ . وطريقة استخدام قوائم المشكلات يضع الطالب خطا تحت المشكلات التي تهمة ، ويضع دوائر تحت أكثر المشكلات حيوية ويجب على أسئلة تلخيصية تناول إحساساته نحو مشكلاته .

وليست قوائم تقدير المشكلات أدوات للتشخيص النفسي ولكنها أدوات وصفية وتحليلية تفيد في عمل مسح سيكولوجي في مدرسة أو نادى أو مصنع لمعرفة ما يفكر فيه الشباب وأهم مشكلاتهم ، وتشير إلى بعض البرامج التي تقوم عليها توجيه وإرشاد هؤلاء الشباب ، وزيادة فهم المعلم عن طرق التدريس الملائمة للجماعة معينة من التلاميذ ، كما تسهل المقابلات الخاصة بالتوجيه النفسي والتربوي وكذلك القيام ببحوث تتعلق بمشكلات الشباب .

وفي السنوات الأخيرة نشرت عدة قوائم للمشكلات منها قائمة S.R.A. للشباب وأخرى للصغار .

وعلاوة على ما سبق توجد تقارير السيرة الذاتية Autobiography وهي قصة حياة الفرد كما يكتبها بنفسه مما يؤدي إلى فهم ميوله وقدراته وتاريخه الشخصي وآماله وطموحه ورغباته، ومن المفيد أن يوجه الفاحص المفحوص في كتابة سيرة حياته في النواحي التي ينبغي أن يتضمنها في حديثه كخطوات طفولته المبكرة ، وتاريخ أسرته ، والسجل الصحي والجسمي ، وتاريخ حياته المدرسية ، وميوله وأوجه نشاطه في أوقات

- ٤.٢ -

الفراغ ، وهواياته وخبراته في رحلاته ، وصدقائه وخبراته المهنية ، وخطته للمستقبل وخطته فيما يتعلق بالزواج والحياة العائلية . الخ

(ثالثا) الاختبارات الإسقاطية والموقفية :

Projective & Situational Personality Tests

تختلف استخبارات الشخصية عن اختباراتهما ، في أن الاستخبارات لا تظهر الدوافع اللاشعورية التي لا يعرفها الفرد ، ولا تكشف عن الدوافع المحرجة التي لا يرغب الفرد في الكشف عنها ، بينما الاختبارات يمكن أن تظهر الدوافع اللاشعورية وكذلك الدوافع التي لا يريد الفرد الكشف عنها وهو لا يدري ، وهذا هو السبب في بناء هذه الاختبارات .

وفي الاستخبار غالباً لا يكون هناك اتصال شخصي بين الفاحص والمفحوص على عكس الإختبار لذلك يزداد احتمال سوء فهم المفحوص لأسئلة الاستخبار وفي الاستخبار يستطيع المفحوص أن يلجأ إلى التريث في الإجابة بنسبة أكبر منها في الاختبار.

والاختبارات الإسقاطية قائمة على فكرتين رئيسيتين :

(١) المنبهات البيئية الواضحة ذات المعنى المحدد لا يختلف في الاستجابة لها الأفراد لذلك فهي تكشف عن حقائق واقعية موجودة في البيئة الخارجية . أما المنبهات الغامضة عديمة المعنى فيختلف في الاستجابة لها الأفراد رغم ثبات المدركات الغامضة لذلك فهي تكشف عن حقائق ذاتية موجودة في البيئة الداخلية - وهي بيئة النفس - دون أن يشعر الأفراد بذلك .

(٢) أن الانسان يميل أن ينسب عيوبه أو محاضنه إلى الغير دون أن يدري فالكريم يرى غيره كريم غالبا والخائن يرى غيره خائنا غالبا .

فاذا قدم للفرد أى منبه يبتئ غامض ليس له معنى محدد فان الفرد يسقط ما بنفسه على هذا المنبه ففيه يرى الفرد ما يميل هو شخصيا أن يراه أو يفعل فيه ما يود هو أن يفعله . فيكشف الفرد عن نموذج شخصيته أثناء معالجته لمادة المنبه أو الموقف الغامض دون أن يدري .

ومن أشهر الاختبارات الإسقاطية اختبار (رورشاخ) Rorschach نسبة إلى العالم النفسى ' السويسرى هيرمان رورشاخ . لقد كان مهتماً بوضع أداة تشخيصية تساعد الأخصائى النفسى فى التمييز بين الأفراد تبعاً . لأنماط الصفات العقلية ، ولكن التجربة على الاختبار أثبتت أنه يكشف قدراً كبيراً عن بناء شخصية الفرد ، عن درجة وضائه عن نفسه ، دوافعه الداخلية ، الاستقرار الانفعالى ، العلاقات مع الناس وطريقة مواجهة المشكلات .

ويشتمل الاختبار على عشر بطاقات يمثل كل منها بقعة حبر على أرضية بيضاء ، ونصف البطاقات ملونة والباقي عادى . ويقع الحبر فى البطاقات ليس لها تكوينين معين فيمكن أن ترى وتفسر بطرق كثيرة .

والتعليقات التى تعطى للمفحوص هى : يرى الناس جميع أنواع الأشياء فى هذه الصور لبقع الحبر ، والآن أذكر لى ما ذا ترى ؟ ما الذى تعنيه بالنسبة إليك ؟ ما الذى يجعلك تفكر هكذا ؟

ويهتم الأخصائى النفسى بثلاث نواح فى استجابات العميل .

أولاً : المحتوى — أى الذى رآه المفحوص ؟ هل رأى انساناً أو حيواناً أو جهاذا . . . الخ .

ثانياً : الموضع — أى أجزاء البقع استخدمها العميل ؟ هل استخدم البطاقة كلها أو التفصيلات الصغيرة .

- ٢٠٦ -

ثالثا : المحددات - أى العناصر التى تأثر بها العميل ؟ اللون ، الشكل ، الظل ، الحركة ، أو مزيجاً من كل هذا .

وتقدر كل استجابة فى هذه النواحي الثلاث وإليك بعض النتائج العامة بالنسبة لمعنى أنواع معينة من الاستجابات .

- إعطاء استجابات كثيرة للألوان يعنى السلوك الاندفاعى والتوتر الانفعالى الشديد .

- رؤية البقعة فى جملتها يعنى الميل للمواد النظرية أما رؤية التفاصيل فيشير إلى الميل للنواحي العملية .

- رؤية الأشكال على البقع كما لو كانت تتحرك يشير إلى الانطواء بمعنى أن الفرد يعيش داخل نفسه أكثر من العالم الخارجى .

- إذا تأثر الفرد بشكل البقعة أو التخطيط العام لها وليس بلونها أو تظليلها يشير إلى أن الفرد يفتقد الشخصية المميزة .

عموماً فإن اختبار رورشاخ يتطلب مهارة كبيرة والتشخيص لا يتناول أجزاء ولكن تفسر الاستجابة للجزء فى ضوء الاستجابات الكلية للبطاقات العشر وما ذكرناه آنفاً على سبيل المثال لا الحصر .

فمثلاً حولت طفلة للعبادة النفسية وذكر فى مصدر التحويل : (ان الطفلة تعاني من تأخر دراسى وتبول لا إرادى ، صداع نصفى ، مخاوف ليلية ، سرد قصص خيالية وسلوكها شاذ فكثيراً ما تنظر فى المرآة وتعرج وجهها) وبتطبيق اختبار رورشاخ عليها قبل العلاج (أظهر أنها طفلة حادة الطبع قلقة ، مكبوتة ، عصبية ، مع احتياج تحطيمى) وعند إعادة الاختبار عليها بعد العلاج أظهر : (الطفلة أصبحت أكثر انفتاحاً وأقل اخفاقاً قلت خيالاتها وأصبحت أكثر تحملاً ، وأقل اضطراباً من الناحية

العصابية وتعيش بعيدا عن خيالاتها ، قد تكون أكثر ازعاجا للغير ، ولكن أقل اضطرابا من الناحية النفسية الداخلية) .

ومن الاختبارات الاسقاطية الأخرى اختبار تفهم الموضوع (T.A.T للعالم النفسى الأمر يكي (هنرى مورى) Henry A. Murray ويتكون هذا الاختبار من ٢٠ صورة غامضة بعضها صور مثيرة وبعضها عادى محايد ، وفيها صور رجال أو نساء أو أطفال. تعرض الصور على المفحوص واحدة بعد الأخرى ، ويطلب منه تخيل قصة تحكى ما يجرى فى الصورة ثم تحلل الاجابات ، طبقاً لكراسة التعليمات فى الإختبار بواسطة اخصائيين نفسيين على مستوى عال من الخبرة . ويقوم التحليل على أساس الفرض القائل ان ما يراه المفحوص فى مدركات غامضة Unstructured يكشف نموذج شخصيته ودوافعه وعواطفه واتجاهاته النفسية ومعتقداته وأسلوبه فى الحياة دون أن يدري . والفاحص ليس حراً يفسر كيفما يشاء الانتاج القصصى ولكنه يسير طبقاً للنماذج والمعايير المستخلصة من مقارنة العينات المعيارية للشواذ والمرضى لتحديد الفروق الجوهرية بينهم فى نماذج شخصياتهم . لذلك لا يتصور البعض أن الأمر سهلاً يفسر بحرية تامة طبقاً لما ورد بالقصة من مسرات وآلام .

غالباً ما نجد أن لكل قصة بطل يتقمصه الفاحص خاصة لو كان فى مثل جنسه وسنه وهذا التقمص يحمل المفحوص على اسقاط آماله وآلامه وتوقعاته ومخاوفه عليه .

وفى ايلي نموذج من القصص المكتوبة وتفسيرها نفسياً بالنسبة للصورة الأولى وبها ولد صغير يتأمل كماناً (. كمنجة) موضوعة على منضدة ، وهى من الصور المحايدة غير المثيرة : (منذ سنوات عديدة تلقى فى

هدية من والديه في عيد ميلاده ، والسبب في أنهم أهله كمانا ، أنهم كانوا يرغبون في أن يصبح مهتماً بالموسيقى مثلهم . وما أن جلس الطفل الصغير ناظرا إلى الأداة الجميلة حتى ظهرت الحية على وجهه . وفكر كم كان من الأحسن جدا لو أن أبويه أعطياه بعض اللعب . لقد تأكد من مدى ما تعنيه الهدية بالنسبة لهما . ولذلك حاول أن يبدو مسرورا بقدر الامكان . لقد كان مسحورا بالمكان لأنهم لم يرى واحدا منه من قبل ، ولكنه سمع والداه يتحدثان عنه ، ولذلك قرر أن يرى كيف يعمل . فرفع القوس وأمررها على الأوتار ، وأحب الصوت وحاول مرة أخرى ، وفكر فيما إذا كان من المسلى أن تعزف جميع الأصوات معا . والآن يقف هذا الفنان العظيم على خشبة قاعة المسرح المشهور ينتظر انتهاء التصفيق ويشكر أبويه من أعماق قلبه .

ويفسر العالم النفسى (تومكينز) هذه القصة بقوله ، (ان أمل الأبوين بعيدا عن رغبات الطفل ، ولكنه يخضع لهما لأنه لا يريد أن يخيب أملهما فيه ، والتأثير الأبوى في هذه الحالة كبير ، وعندما نضج العميل قدر الإذعان لرغبات الوالدين تقديرا مرضيا وأظهر التقدير الكامل للقيم الوالديه (٢٣) .

وهكذا تبين القصة عميلا اسقط على صورة الفتى علاقته الشخصية بأبويه ويرى مورى أن كل فعل منسوب لبطل القصة يمكن تفسيره اما في ضوء حاجات المفحوص أو الضغوط الواقعة عليه ، فتورة البطل أو نزواته الجنسية تشير إلى الدوافع الجنسية والعدوانية لدى المفحوص وهكذا بالنسبة لباقي الحاجات مثل النجاح والشهرة والتسلط وتجنب الضرر . وتشمل قائمة الضغوط فقر الأسرة والشعور بالنقص والضياع والنبذ والغيرة من ولادة صغير

وضروب الاغواء... الخ. وبعض الاختصاصيين يهتمون في التفسير بأنواع
نهايات القصص سعيدة أو محزنة ، وكذلك اللغة المستخدمة ومفرداتها
ومعانيها مما يلتقي ضوءاً على البناء العقلي للمفحوص ، هذا ويعتبر اختبار
بقع الخبر لرورشاخ واختبار تفهم الموضوع من أهم الاختبارات الإسقاطية
عند علماء النفس العلاجي .

وهناك وسائل إسقاطية أخرى سريعة وسهلة في تطبيقها وتفسيرها
ولا تكلف مالا كثيراً أو تحتاج إلى مستوى عال من الخبرة وتطبق بطرق
فردية أو جماعية . وبرغم هذه المميزات المتعددة ، فإنها ذات مساوئ
منها أن معامل الصدق والثبات فيها أقل من اختبار تفهم الموضوع وبقع الخبر ،
كما أنها غير مقننة تقنياً دقيقاً من حيث طريقة التطبيق وطريقة التصحيح
والتفسير ، لذا يختلف الفاحصون فيها اختلافاً واضحاً .

ونحن لا نطالب هنا بالغائها ، أو نقول لا أهمية لها ، ولكن المقصود
أن نقدر مدى أهميتها ونؤكد ضرورة تدعيمها بوسائل تعزيزية أخرى من
وسائل دراسة الشخصية المتعددة .

وفيما يلي أهم هذه الوسائل الإسقاطية السريعة الاستخدام .

- طريقة تداعي الكلمات Word Association
- طريقة تكميل الجمل أو القصص الناقصة Completion Method
- طريقة الأصوات الغامضة Ambiguous Sound Method
- طريقة اللعب Play Method
- طريقة تحليل الخط أو الصور أو الرسوم أو المنتجات الأدبية
والفنية . Analytical Method

طريقة تداعي الكلمات :

طريقة تستخدم للكشف عن العقد النفسية والرغبات والمخاوف والعداوات المكبوتة وتنسب للعالم النفسى يونج ، وفى هذه الطريقة يتلو الفاحصون عددا من الكلمات المختارة بدقة تبلغ (١٠٠) كلمة غالبا ويطلب من المفحوص أن يرد على كل كلمة يسمعا بأسرع ما يمكن وبأول كلمة تطرأ على ذهنه .

ومجموعة الكلمات بها عدة كلمات حرجة تمس النواحي الانفعالية المكبوتة لدى المفحوص أى تمس المخاوف والعداوات والرغبات المكبوتة ، وهذه الكلمات موزعة توزيعا عشوائيا فى باقى قائمة الكلمات التى تتضمن كلمات أخرى عادية محايدة .

وإذا بدى على المفحوص بعض العلامات التالية كان هذا دليلا على ما يعانى من اضطرابات انفعالية . (لا يعتمد على النتائج من أول مرة والأفضل تكرار هذه الطريقة أكثر من مرة) وهذه العلامات هى :
 (١) طول زمن الرجوع وهو الزمن الذى يمضى بين سماع المفحوص الكلمة والرد عليها (٢) تكرار الكلمة التى يسمعا المفحوص (٣) تكرار جواب سابق (٤) غرابة الاجابة أو سخفها (٥) ذكر جملة بدل الكلمة (٦) الخطأ فى سماع الكلمة التى تتلى على المفحوص (٧) العجز التام عن الاجابة (٨) الرغبة فى تغيير الجواب بعد ذكره (٨) الضمخك أو الانزعاج الواضح (٩) الحركات المضطربة لليدين أو الرجلين .

وإليك مثال لشطر من اختبار أجري على شخص عزم على الانتحار غرقاً فى أثر نوبة من الهبوط والاكتئاب . :

- ٢١١ -

الكلمة المنبهة	الجواب	زمن الرجوع
١ - رأس	شعر	١,٤ ثانية
٢ - أخضر	زرع	١,٦ »
٣ - ماء	عميق	٥ »
٤ - عصا	سكين	١,٦ »
٥ - طويل	مائدة	١,٢ »
٦ - سفينة	يفرق	٣,٤ »
٧ - يسأل	يجيب	١,٦ »
٨ - صوف	يفزل	١,٦ »
٩ - بحيرة	ماء	٤ »
١٠ - مريض	سلم	١,٨ »
١١ - حبر	أسود	١,٢ »
١٢ - يعوم	يستطيع العوم	٣,٨ »

يلاحظ طول زمن الرجوع ونوعية الاجابة في الاجوبة ٣ ، ٦ ، ٩ ،
١٢ . (٢٤) .

طريقة تكميل الجمل أو القصص الناقصة :

وسيلة مبنية ومبنية على طريقة تداعي الكلمات السابقة وفيها يعرض
على المفحوص عبارات أو جمل ناقصة ويطلب من المفحوص تكميلها
لتكوين جملة مفيدة بأسرع ما يمكن . ومن أمثلة هذه العبارات والجمل
ما يلي :

— أكون سعيدا حينما — يصيبني الغضب الشديد حينما

- ٢١٢ -

- أحب - أكره.....:
- أنا لا أرغب في - أخاف من
- أريد أن أعرف - أشعر أن رئيسي في العمل (والدتي والدي صديقي)

وغالبا يلتزم الاختصاصيون بثلاث تصنيفات للأجوبة (١) الأجوبة التي تدل على الصراعات النفسية (٢) الاجابات الايجابية البناءة (٣) الاجابات الحيادية أو العادية .

وأحيانا تقسم الأجوبة إلى ميادين : النبذ - المقاومة والحيل الدفاعية النفسية - المخاوف - المغاضب - الرغبات - العقد النفسية . . . الخ .

وفي أساليب تكملة القصة يقدم قصة ناقصة للمفحوص (طفل غالبا) ويطلب تكميلها إما تحريريا أو شفويا وتحلل الاجابة على أساس مضمون القصة ونوعها (عدا خوف غيره حرمان) وكذلك نوع النهاية (سارة أو مخزنة) ، فمثلا يعطى للمفحوص القصة الآتية ليكملها : -

(يذهب على إلى المدرسة في الصباح وعند ما يحين وقت اللعب يجلس بمفرده في أحد الأركان) ثم يطلب من المفحوص اكمال القصة وبيان لماذا لا يلعب على مع الأطفال الآخرين . ويلاحظ هنا أن الأطفال يمكن أن يتأثروا ببعض العوامل الخاصة مثل الخبرات الحديثة أو التأثير ببعض الأفلام أو الكتب أو المحلات . وهنا تصبح القصة ضعيفة الدلالة بالنسبة لبناء الشخصية .

طريقة الأصوات الغامضة :

تسجل بعض الكلمات الغامضة أو عديمة المعنى على شريط جهاز تسجيل . ثم يدلى لسمعه المفحوص فيفسره في ضوء حاجاته ومشكلاته النفسية .

طريقة اللعب : طريقة اسقاطية تستخدم في دراسة شخصية الأطفال المشكلين وتفيد أيضاً في العلاج النفسى على أساس أنها تعطى فرصة للتنفيس عما يعتلج في نفس الطفل من مخاوف وعداوات وورغبات غير مشبعة علاوة على أنها تفيد في بيان مدى تقدم العلاج النفسى .

وتشتمل أساليب اللعب على أن يقدم للطفل أدوات لعب مختلفة ، قد تكون مواد قابلة للتشكيل مثل الصلصال والعجائن الأخرى ، أو مواد مشكلة مثل المكعبات وقطع الخلف والبلى ، أو العرائس والتماثيل والألعاب الخاصة بالحياة الأسرية أو المدرسية أو المهنية بشكل مصغر ، ولا يعطى أية تعليمات للطفل ويطلب منه أن يفعل في هذه الأدوات ما يشاء والطفل قد يحطم اللعب أو يخلع عن الدمية التي تمثل الأم أو يوارى دمية الأب تحت التراب مما يرمز للعدوان المكبوت ، أو يكون مسيطراً أو خاضعاً أو غيوراً مع أقرانه . وغرف اللعب لها حاجز من الزجاج الخاص يسمح بالروية من جانب واحد ويقف الفاحص خلف الحاجز تاركاً الطفل يلعب بحرية .

ويقول مورفي Murphy (٢٥) : (ان الطفل يستخدم الألعاب ليصور مفهومه عن المنزل والأسرة والحيوان والعالم ، وهو يظهر أبويه والكبار الآخرين ، وكلبه ونفسه في صورة كلام مباشر أو أفعال غير مباشرة ، واللعب له قيمة اسقاطية كبيرة لأن طريقة الطفل في التعبير ما زالت تلقائية ومباشرة . . . وينبغي أن نتذكر أنه ليست هناك طريقة اسقاطية واحدة يمكن أن تكشف عن جميع أوجه شخصية الطفل . ومع أن اللعب لا يشد عن هذه القاعدة إلا أنه يعد من أكثر المقاييس شمولاً فهو يفيد أكثر ما يفيد في توجيه انتباه المعلم أو الاختصاصى النفسى إلى نواح معينة تحتاج إلى فحص) . .

طريقة التحليل للمنتجات الفنية أو الأدبية : وقد ينصب التحليل على خط المفحوص أو الصبور التي يرسمها الأطفال سواء بالقلم الرصاص أو

الأقلام الملونة أو الرسم بالألوان المائية أو التلوين بالأصبع ، وأحيانا ينصب التحليل على المنتجات الأدبية أو الفنية للكبار .

ويرى بعض علماء النفس أن تفسير هذه المنتجات ينحصر في كثير من الأحيان للحدس والبديهة والتخمين وأنه ميدان مفتوح ولكنه غير حاسم في بحوث القياس (٢٦) .

ويقال في تحليل الخط مثلا أن شدة الضغط بالقلم أثناء الكتابة له صلة بالتوتر الانفعالي ، واتساع الخط وكبره يدل على الكرم أو التبذير ، وصغر الخط وضيقه يدل على البخل والتقتير ، والتأمل والاعتدال في الكلمات له صلة بالميل الجمالية ، وعدم النظافة في الخط يدل على الاحساس بالذنب أو ضعف الميل الجمالية أو عدم الاهتمام بالنظام والصحة والمظهر الاجتماعي الخ .

وبالنسبة لاستخدام الألوان في الرسم يقال أن اللون الأسود والألوان القائمة تدل على القنوط ، في حين يدل الأصفر على تعبيرات الخصومة والعدوان ، وفي بعض الحالات يرتبط الأصفر الفساقع باحساسات الفرح ، ويشير اللون الأحمر وحده إلى كل من احساسات الود والحب أو احساسات العدوان والكراهية ، كذلك يستخدم معايير الشكل لوصف الشخصية ، فمثلا تفسر الحدود الحامدة والايقاع الموحد كدليل على الاكراه والخبرية أما الأشكال ذات الخطوط القصيرة المقوسة فقد تعبر عن العدوان .

ويفضل الأطفال الذكور استخدام اللونين الأزرق والأخضر في حين يفضل الأطفال الإناث الأحمر والأصفر .

ومن الوسائل التحليلية الشائعة اختبار زندي Zondy (٢٧) لتشخيص

- ٢١٥ -

الاضطرابات السلوكية المرتبطة بالأمراض النفسية والعقلية ، وهو عبارة عن ست مجموعات من صور الوجوه كل مجموعة منها مكونة من ٨ صور تمثل كل صورة منها وجه شخص مصاب بأحد الأمراض الآتية :

الجنسية المثلية ، الميل للقسوة الإيذاء ، الصرع ، الهستيريا ، الفصام
الكتاتوني ، البارانونيا ، (جنسوة العظمة) ، الهوس (الميانيا)
والاكتئاب .

وتتلخص طريقة إجراء الاختبار في أن يعطى المفحوص كل مجموعة من الصور ليختار من بينها الصورتين اللتين يحبهما جدا ، والصورتين اللتين يكرههما جدا ، وبذلك نحصل على ١٢ صورة يحبها جدا ، ١٢ صورة يكرهها جدا ، وبدون أن نتدخل في طريقة اختياره يطلب منه أن يحكى قصة عن الصور الأربع التي يحبها أكثر من الجميع ، والصور الأربع التي يكرهها أكثر من الجميع .

وقد وضع زندي بعض القواعد التي يمكن اتباعها في تفسير اختيار الصور المختلفة وكذلك تحليل القصص التي يذكرها المفحوص عن كل صورة .

ويرى زندي أن اختيار الشخص لأنواع معينة من الصور يدل على الصفات النفسية الغالبة عنده ، في حين يرى كثير من العلماء أن حب الشخص أو كراهيته لأحدى الصور قد يكون مبنيا على أسباب أخرى خلاف اتصافه بما تحمله من صفات .

ومجمل القول عن الوسائل الإسقاطية جميعا أن أهم مزاياها هي : أنها طرق غير مباشرة تحول دون عجز أو تخرج أو خوف المفحوص من التصريح بمشاعره ومخاوفه ورغباته مما تعجز عن كشفه وسائل المقابلة أو الاستخبارات كما أنها تكشف عن الجوانب اللاشعورية في الشخصية ، واحتمال التزييف

والتحريف فيها أقل بكثير من الطرق المباشرة ، كما أنها أكثر إثارة
لاهتمام المفحوص .

أما أهم عيوبها أنها غير مقننة تقنياً دقيقاً من حيث طريقة الاجراء أو
طريقة التفسير لذا يختلف الفاحصون فيها اختلافاً كثيراً ، كما أن معامل
الثبات والصدق مازال ضعيفاً فهو أقل عن معامل الصدق والثبات في
اختبارات الذكاء والقدرات الخاصة بفارق ملحوظ .

اختبارات المواقف المقننة : Standerdised Situations

هذه الاختبارات تدور حول وضع الشخص المراد اختباره في مواقف معينة
لمعرفة أساليب تصرفه فيها سواء أكانت هذه المواقف تتصل بأعمال مهنية خاصة
من نماذج الحياة الواقعية ، أو مواقف تمثيلية مصطنعة تشبه ما يراود للشخص
القيام به من عمل مستقبلاً . وفي أثناء ذلك يلاحظه الفاحصون ليقفوا على
أسلوبه في التصرف في المواقف ومبلغ قدرته على القيام بدوره فيها وطريقته
في التعاون مع المشتركين معه في هذا الموقف الخ .

والمهم في هذه الاختبارات أن نحاول تهيئة الموقف بطريقة لا يشعر
المفحوص فيها أنه موضع الاختبار حتى يتصرف بطريقة طبيعية فيعبر عن
شخصيته ومشاعره واتجاهاته وأفكاره بطريقة تلقائية .

فاذا كنا مثلاً نريد معرفة أسلوب الفرد في حل مشاكله وفي علاقاته
مع غيره ، وهذا هو موضوع الدراسة أو الهدف منها ، فلا نطلعه على
هذا الهدف ، بل نذكر له هدفاً آخر فنقول له مثلاً أننا نريد معرفة
مستوى التحصيل في مادة دراسية معينة: ونضعه مع أربعة من زملائه ونكلفهم
بحل تمارين معينة لغوية أو عددية أو أى تمرين عملي . ونكون جماعة أخرى
مماثلة في العدد ونعقد تنافساً بين الجماعتين في انجاز العمل المطلوب ونقيم

انتاج الجماعتين في النهاية فعلا .

وهنا يظن المفحوص أننا نهم بمستوى التحصيل. ولكننا في الواقع نلاحظ علاقاته الاجتماعية مع غيره ومدى سيطرته وميوله العدوانية أو تعاونه وتسامحه ومحبته أو شكه أو تردده . . . الخ .

وقد تصمم مواقف معينة يتطلب كل منها تصرفا. معيناً ثم نذكر هذه المواقف للمفحوص وتعطى له مجموعة من الحلول أو التصرفات المحتملة ليختار التصرف الملائم من بينها .

ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

إذا كنت رئيسا لإدارة حربية تضم عشرة مرعوسين لك ، وتعود واحد منهم أن يحضر متأخرا ، فاذا يكون تصرفك معه :

— هل تمثل به أو تفصله نهائيا

— تؤنبه أمام المجموعة كلها .

— تستدعيه شخصيا لحضور محاضرة عن أهمية الحضور في المواعيد .

— تناديه إليك وتحاول أن تعرف منه أسباب التأخير .

— تعقد اجتماعا عاما تشرح فيه أهمية المحافظة على المواعيد كواجب

لكل فرد .

مثال آخر .

وصل إلى علم ناظر المدرسة أن أحد الطلبة المراهقين يمارس العادة السرية

فهمل :

- يطرد التلميذ لمدة أسبوع أو أكثر ليقطع عن عاداته الذميمة .
- يستدعيه إلى مكتبه ويبدى له النصيح سرا .
- يستدعي ولي أمره ويناقشه في الموضوع .
- يزجر الطالب أمام الفصل ليكون عبرة لغيره .
- يحوله إلى العيادة النفسية .
- يطالبه بممارسة الرياضة يوميا .

وهكذا نعرض على المفحوص كثيرا من هذه المواقف بغرض اكتشاف مدى توافقه الذاتي والاجتماعي وتركيب شخصيته .

هذا وتدخل طريقة الاختبارات الموقفية المقننة ضمن اختبارات مكتب الخدمات الاستراتيجية في الجيش الأمريكي للحكم على الشخصية بطريقة كليسة .

وتبنى هذه الأحكام على ملاحظة الشخص أثناء الأيام التي يقضيها في محطة الاختبار التي تصل أحيانا لثلاثة أيام يمر فيها المفحوص في سلسلة اختبارات أهمها ما يلي :

- (١) يلاحظ الشخص عند وصوله لمحطة الاختبارات من حيث المظهر العام وفهمه للتعليمات وطريقته في التحية والأسئلة .
- (٢) يلاحظ عند تناول الطعام من حيث أحاديثه والنواحي التي تدور حولها وسهولة تعرفه بغيره ممن يتصل بهم . .
- (٣) يطلب من الشخص أن يلاحظ المباني والأراضي والمواقع المحيطة بالمبنى ثم يسأل عنها بعض الأسئلة .
- (٤) يمر المفحوص في سلسلة من الاختبارات الموقفية منها أن يطلب منه التعاون في نقل أحد الأجهزة الدقيقة من أحد شواطئ ترعة

عرضها حوالي ٨ أقدام إلى الشاطئ الآخر ، وأن يعود كل منهم حاملا بعض الأشياء الممكن إحضارها معه . . . وفي هذا يترك لهم حرية تنظيم أنفسهم في العمل وتوضع أمامهم بعض الأدوات كالحبال والبكرات والبراميل وقطع الأخشاب والصخور ويلاحظ المفحوص أثناء اشتراكه في هذه المهمة .

وموقف آخر يطلب فيه من المفحوص أن يقوم بالاشراف على اثنين من العمال المعهود إليهم بناء كشك صغير بالاستعانة بالأدوات والأخشاب الموجودة حولهم ، ويهدف هذا الاختبار لمعرفة قدرته على التوفيق بين العاملين للتعاون في العمل ويراعى في اختيار العاملين أن يكون أحدهم كسولا خاملا ، وأن يكون الثاني ميالا للتعدى ومجبا للنقد وعدم تنفيذ الأوامر . . . ويلاحظ موقف المفحوص لإزاء الشخصين وضبطه لانفعالاته وقدرته على تسير دفة العمل . ثم يوضع المفحوص في موقف القائد للجماعة أخرى عادية في عمل معين لاختبار قدرته على القيادة .

وموقف آخر يطلب فيه من المفحوص أن يقوم بدور الفاحص بطريقة المراقبة بأن يقدم له جندي هارب من معسكرات الأعداء مثلا ليستجوبه عن المعلومات التي يعرفها عن الأعداء ، ليتمكن الوقوف على قدرته على القيام بمثل هذا العمل ومبلغ ما يمكن أن يصل إليه من استنتاجات من مثل هذا الموقف .

(٥) يعطى المفحوص فرصة ١٢ دقيقة ليتذكر منها قصة خيالية ثم يتخذ من هذه القصة وسيلة لاستثارة انفعالاته بأن توجه إليه ؟ جملة أسئلة متوالية ومخرجة فيما يتعلق بهذه القصة في مقابلة من نوع مشير Stress Interview . لمعرفة سرعة الانفعال وشدته وسرعة العودة للهدوء الانفعالي .

(٦) إجراء اختبارات مختلفة لتقدير الذكاء والاستعدادات الخاصة (المواهب) وكذلك بعض الفحوص الطبية البدنية والعصبية .

(٧) يعقب ذلك وضع المفحوص مع آخر في حجرة استراحة حيث يها فيها جو يشعره بالحرية في التعبير عن حالته عقب ما مر به من اختبارات بحيث يتحدث عن رأيه بحرية كاملة في مقابلة هادئة .

والصفات المطلوب اكتشافها في كل الاختبارات السابقة ما يلي :

(١) القوة والحياة والنشاط . (٢) الذكاء واستخدامه فعلا فيما يتعلق بالأشخاص والأشياء والأفكار (٣) الروح المعنوية والجدية والاهتمام بما يقوم الشخص به من عمل (٤) الاتزان الانفعالي والقدرة على التحمل وضبط النفس والحلو من الاضطرابات العصبية . (٥) الصفات الاجتماعية كحب التعاون وسهولة الاشتراك مع الغير (٦) القيادة وتحمل المسؤولية والقدرة على التنظيم والإدارة (٧) الشعور بالأمن وعدم إذاعة الأسرار والتحفيز (٨) القدرة البدنية والجرأة وسلامة بنية الجسم . (٩) القدرة على الملاحظة وتسجيل نتائجها وتذكر التفاصيل والقدرة على عمل تقرير واف عن موضوع الملاحظة .

ويعطى المفحوص إحدى مراتب الدرجات الآتية في كل صفة من الصفات السابقة عند قيامه بكل اختبار وهي : صفر إذا كان ضعيفاً ، ٢ أقل من المتوسط ، ٣ أعلى من المتوسط ، ٤ متفوقاً ، ٥ ممتازاً .

وزيادة في الدقة توضع الدرجات بالزائد أو الناقص مثل (٤ +) أو (٤ -) فيكون المقياس مكون من ١٢ درجة . ثم يعقد الفاحصون اجتماع عام لتبادل الرأي في القياس والتفسير حتى يصلوا إلى حكم شامل عن كل مفحوص .

لا شك أن هذه الطريقة كلية وشاملة إذ تجمع بين طريقة بحث الحالات والمقابلة ومقاييس التقدير واختبارات المواقف المقننة والطريقة الاسقاطية وغيرها ، ولكنها غير اقتصادية إذ تتطلب كثيرا من الوقت والجهد والمال خصوصا لو طبقت على عدد كبير من الأفراد . أما إذا طبقت على بعض الأفراد الذين يشغلون مراكز قيادية في الجيش ، أو الأفراد الذين يقومون بعمليات فدائية ، أو استطلاعية ، فإنها تكون ذات عائد كبير جدا ماديا ومعنويا (٢٨)

(٤) طريقة دراسة الحالة الفردية : Case Study Method

طريقة كلية شاملة من طرق دراسة الشخصية الغرض منها دراسة وتشخيص وعلاج المشكلات الفردية النفسية والاجتماعية أو دراسة مكونات الشخصية لذلك فهي شائعة الاستخدام في العيادات النفسية وفي حقول الخدمة الاجتماعية في ميادينها المختلفة : المدرسية ، الطبية ، الأسرية ، النفسية ، الأحداث المنحرفين ، الاعانة المالية وغيرها .

وأهم خصائص هذه الطريقة ما يلي :

(١) التطورية : حيث يوضح فيها التاريخ التطوري للحالة كيف نشأت وتطورت للوضع الحالي وكذلك أبعاد شخصية العميل ، حتى يمكن معرفة العوامل التي أثرت عليه في الماضي والتي تؤثر عليه حاليا أو التي يحتمل تأثيرها في المستقبل .

(٢) التتبعية : للتأكد من مدى فاعلية الخطة العلاجية المطبقة .

(٣) التعاونية : وتتضح في مشاركة كل المختصين سواء في الدراسة أو التشخيص أو العلاج أو التتبع وهذا ما نجده في العيادة النفسية بين الطبيب البدني والطبيب النفسي والاختصاصي النفسي والاختصاصي الاجتماعي وغيرهم .

وكذلك في مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث وغير ذلك من المجالات ، وهذه الخاصية التعاونية تعرف بطريقة الفريق Team Work .

(٤) الكلية : حيث يستعان في طريقة دراسة الحالة بكل طرق دراسة الشخصية مثل قوائم التقدير والاختبارات والاستخبارات والمقابلات وغيرها.

ففي مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث مثلاً يستعين الاختصاصي الاجتماعي بنتائج الفحوص المختلفة البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية في كتابة التاريخ الاجتماعي للحالة .

وتتضح الكلية أيضاً في دراسة ظروف الفرد وبيئته معاً خاصة ظروف الأسرة ، وكذلك ظروف سكن العميل والحيرة الملائمة لسكنه وبيئته المدرسية والمهنية ، والاطلاع على السجلات الخاصة بالعميل سواء بالمؤسسة التي تعالج الحالة أو المؤسسات الأخرى والاتصال بكافة مصادر المعلومات ... الخ .

وهذه الطريقة تتناسب مع نظرية المجال في الشخصية القائمة على الفرض بأن الشخصية هي وحدة ديناميكية تتكون من حصيلة تفاعل قوى داخلية ذاتية جسمية وعقلية ونفسية ، وخارجية بيئية واقتصادية واجتماعية .

(٥) طريقة التداخي الحرة Free Association

والتنويم المناطيسي Hypnosis

من المقرر أن الاسترخاء بعد بذل الجهد من العوامل الميسرة للتذكر واسترجاع الماضي . فمن الملاحظ أن الإنسان إذا استعصى عليه تذكر اسم شخص أو حادثة أو تاريخ وأصر على استرجاعه لم ينفع هذا الإصرار فإذا ترك هذه المحاولة وأعمل فكره في موضوع آخر أو استرخى

قليلا فان الاسم المنسى قد يقفز إلى الذهن من تلقاء نفسه . ومن هذا المنطلق بدأ فرويد تفكيره في طريقة التداعي الحر لدراسة اللاشعور في الشخصيات المتصدعة . إذ يطلب المحلل النفسى من المفحوص أثناء جلسات التحليل النفسى أن يضحج على أريكة وأن يسترخى حتى يتسنى له أن يطلق العنان لخوابه وأفكاره وأن يذكر كل ما يطرأ على ذهنه من ذكريات قديمة وصدمات انفعالية خاصة ما يتصل بالطفولة المبكرة .

وحيث أن الصراحة هي القاعدة الأساسية في التعامل بالتحليل النفسى ، فيطلب المحلل من العميل أن يقول له كل شيء ، ليس فقط ما يستطيع أن يقوله برغبته وما من شأنه أن يريجه كالاقرار ، بل يجب أن يقول أيضاً كل شيء آخر يخطر على باله ، وكل ما يحول بذهنه سواء أكان مخجلاً أو مخيفاً أو مشيناً أو خطراً أو عديم المعنى كلية أو حتى إذا بدى كأنه أمر غير هام .

فاذا استطاع العميل أن ينفذ هذه التعليمات وأن يوفر له المحلل هذا الجو السامح الحر المشجع على الإفصاح بالمشاعر والانفعالات المكبوتة بطريقة تلقائية ويمتنع العميل عن نقد نفسه لأنه لا يمكنه أن يمدنا بكلمة كبيرة من الأفكار والآراء والذكريات الموجودة في اللاشعور أو التي تكون في الغالب من مشتقاته المباشرة . ومن هذه العادة يمكن للمعالج أن يستنتج طبيعة المادة اللاشعورية كما يستطيع أن يطلع أنا المريض عما يدور في لاشعوره فتخفف حدة الصراع النفسى اللاشعورى لأنه يدخل في دائرة الشعور وبالتالي يخضع للمنطق والإرادة والواقع بدلا من طبيعته الأولى الجبرية الشاذة .

وليس صحيحاً أن أنا العميل يقبل أن يقدم للمحلل كل ما يطلبه من مادة في طاعة وخضوع ، أو أنه يصدق تفسير المحلل له ويقبله تلقائياً إذ أن ظاهرة

التحويل Transference تعوق هذه العملية كثيرا ولكنها فى الوقت نفسه ذات قيمة تشخيصية وعلاجية كبيرة . وفى التحويل يرى العميل فى محله عودة أو تجسد شخصية أخرى هامة من شخصيات طفولته أو ماضيه، وقد يرتبط العميل معها بعلاقة الكراهية فيزيد مقاومته للمحلل ويقل افصاحه وصراحته ، أو قد يرتبط بالشخصية علاقة حب فيزداد تعاونه وحبه (وقد يتضخم الحب للدرجة الهوى والعشق أحيانا) ولكنه يكتسب أنا اعتمادى على المحلل وتضعف نزعات الاستقلال المطلوب .

وفى كلتا الحالتين (الحب والكراهية) يكون المريض قد أمد المحلل فى وضوح تام بجزء هام من مكونات شخصيته بما لا يستطيع أن يصرح به بوضوح فى غير تلك المواقف .

وهناك نافذة أخرى يطل منها المحلل النفسى على اللاشعور وهى نافذة التنويم المغناطيسى إذ يصبح العميل تحت تأثير الإحاء المحلل بلا مقاومة عقلية أو بدنية فيكشف عن خلجات نفسه الشعورية واللاشعورية .

ولقد استطاع الطبيبان الفرنسيان برنهام Bernheim (١٨٣٧ - ١٩١٩ م) وليبوات Liebault (١٨٢٥ - ١٩٠٤ م) فى مدينة نانسى بفرنسا ، أن يكتشفا العلاقة بين الهستيريا (مرض نفسى) Hysteria والتنويم المغناطيسى ، وأن يكونا النظرية القائلة بأن كليهما يحدث نتيجة الإيحاء . والهستيريا التحويلية اسم يطلق على جميع الاضطرابات البدنية والعقلية التى تطرأ على الانسان دون أن يكون هناك علل عضوية يمكن أن تسبب هذه الاضطرابات ، ومن أمثلة الأعراض الهستيرية فقدان القدرة على الابصار دون أن تكون هناك أية علة ظاهرة بشبكة العين أو بالعصب البصرى أو بمركز الابصار فى المخ . وكذلك الشلل الذى يصيب جزء من البدن دون أن تكون هناك علة عضوية بالجهاز العصبى . يمكن أن تسبب هذا الشلل .

وقد حار الأطباء في أمر هذا المرض ولم يعرفوا كيف يفسرونه وكيف يعالجونه واستطاع ليبولت وبرنهايم أن يفتنا إلى الشبه بين الهستيريا والتنويم المغناطيسى ، واعتبروا الهستيريا نوعا من التنويم المغناطيسى الذاتى Self Hypnosis تنقسم فيه النفس إلى قسمين ، قسم يلعب دور المنوم فيتلقي منه القسم الآخر الأوامر بانتحال الأعراض المرضية للتخلص من مآزق الواقع المؤلم والصراع النفسى العنيف المعلق الذى لم يستطع الفرد حله أو تجنبه أو تقبله .

والنوم المغناطيسى نوم صناعى يحدث عن طريق أمر إيجابى من المنوم للعميل بأن يسترخى جسماً إلى أقصى حد ويركز الانتباه في مجال ضيق من الأشياء ، قد تكون منبهات سمعية أو بصرية (صوت جرس متكرر أو مصباح كهربائى متحرك . . . الخ) لفترة معينة .

ومن المقرر علمياً أن الانسان يميل للنوم إذا تعرض سمعه منبه مماثل فترة طويلة نسبياً . ويحدث ذلك مثلاً عندما يكون الفرد مسافراً في قطار ويتعرض سمعه لصوت عجلات القطار لفترة طويلة وبشكل مماثل فيميل للنوم خاصة لو كان في حالة استرخاء جسمى على كرسي مريح في القطار وانعدمت مشتتات الانتباه من أصوات الباعة وغيرهم . ولذلك تكون حجرة المنوم معزولة تماماً عن العالم الخارجى . ويزداد ميل العميل للإيحاء كلما أتعبه المرض الجسمى والنفسى ، أو كان ذكاؤه ضعيفاً ، أو زادت حساسيته الانفعالية ، أو وقع تحت تأثير شهرة المعالج وزادت ثقة العميل به وفى قدرته على الشفاء وأخذ اليأس من العميل مأخذه بحيث يصبح كالغريق الذى يبحث عن قشة لتنجيه من الغرق . والإيحاء في جوهره ما هو إلا ميل الفرد لأن يصدق كل ما يقال له من الغير دون ترو أو نقد . (١٥)

ومن أهم خصائص النوم المغناطيسي ما يلي :

(١) تضخم قابلية النائم للتذكر والايحاء تضخماً كبيراً فان وضع المنوم في يد النائم عود ثقاب وأوحى إليه أن وزن العود يزداد رويدا رويدا تحاذلت يد النائم حتى لا يستطيع حمل عود الثقاب . (٢) أن ينفذ النائم بدقة بعد استيقاظه ما أوحى إليه المنوم به وينسى كل ما حدث له أثناء النوم (٣) لا يستجيب النائم لصوت أحد إلا صوت المنوم فقط .

ويستغل المنوم هذه الخصائص في أن يأمر العديل بأن يكشف عما حدث له خاصة في طفولته فلا يقاومه سواء كانت هذه الذكريات مخيفة أو مشينة أو مؤلمة وبالتالى يمكن للمعالج دراسة اللاشعور . أو أن يأمره بالكف عن الأعراض العصبية فيقلع المريض عنها ولكنه يصبح معتمداً في علاجه بعد ذلك على المعالج مما حمل فرويد عن الاقلاع عن استخدام التنويم المغناطيسى في العلاج النفسى وابتداعه طريقة التداعى الحر .

(٦) طريقة دراسة الأحلام Dream Analysis

لنرجع للحالة رقم (٢) المذكورة سالفاً في نظرية التحليل النفسى . تصف العميلة ما شاهدت في أحلامها : (. . . بدأت مشكلتى عندما لاحظت أنى أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة أحلام ملخصها جميعاً أنى لست عذراء ، وتطورت الأحلام فأصبحت أحلم أنى عارية تماماً أمام والدى وأن والدى ينظر إلى نظرة اشتها غريبة . . . ثم ذكرت العميلة واقعة مؤداها أن فتاة كبيرة قد فعلت معها شيئاً قبيحاً جداً بالرغم من صغر سنها » .

وهكذا كشف هذا الحلم عن المخاوف اللاشعورية المكبوتة فكانت

العميلة تحلم أحلاماً متكررة بأنها ليست عذراء نتيجة الصدمة الانفعالية التي حدثت لها من جراء الاعتداء الجنسي عليها من فتاة تكبرها سناً في الطفولة المبكرة . وكذلك كشف الحلم عن الدوافع اللاشعورية المكبوتة نتيجة إصابة العميلة بعقدة الكبر وتعلقها الجنسي اللاشعوري بأبيها .

وقد يكشف الحلم عن المخاوف والرغبات والعداوات المكبوتة اللاشعورية بشكل رمزي وليس بشكل صريح كما سبق وذلك لحماية النوم وراحة النائم لأن الرغبات المحظورة لو ظهرت عارية لأزعجت النائم وأيقظته . فقد يحلم الشاب الذي يحمل لأبيه كراهية لاشعورية بأنه يقتل ثعباناً أو حيواناً ضارياً أو يصارع رجلاً من ذوى السلطة كأحد رجال الشرطة . أو يرى الشخص الذي يشتهي إحدى السيدات من محارمه أنه يتصل جنسياً بخادمة في نفس حجمها وصفاتها . والزوج الذي يشعر بعجزه عن إرضاء زوجته جنسياً قد يحلم بأنه يجري وراء قطار وعبثاً يحاول أن يلحقه . والمدفوع بعقدة الذنب والدافع اللاشعوري لعقاب الذات يحلم أنه ارتكب حادثاً في سيارة ونقل للمستشفى أو أنه سقط من مرتفع شاهق .

وبعد دراسة ألف حلم للمصابين بأمراض نفسية نشر فرويد نظريته عن الأحلام في مطلع هذه القرن وبين أن الأحلام بوجه عام هي إشباع رمزي لرغبات ومخاوف وعداوات مكبوتة، وإن كان سبقه قبل ذلك بعدة قرون الطبيب العربي الكبير أبو بكر الرازي في كتابه الطب المنصوري في فائدة الأحلام في التشخيص والعلاج . فالأحلام إذن تؤدي دوراً هاماً في المحافظة على الصحة الجسمية والعقلية وهي وسيلة من وسائل إعادة التوازن النفسي عن طريق الإشباع الرمزي للرغبات المكبوتة أو الرغبات التي لا يمكن

إشباعها في حالة الصحو ، والأحلام وسيلة من وسائل التنفيس أو استئناس
لرغبات غير المشبعة الكامنة في اللاشعور . وليس الحلم في نهاية الأمر غير حل
وسط ومحاولة للتوفيق بين الرغبات المتصارعة، الرغبات اللاشعورية التي
تريد أن تظهر في الشعور والمقاومة التي تريد كبتها ومنعها من الظهور في
الشعور . فالفرد المدفوع برغبات جنسية تتصل بقرية من المحارم يحلم
بالاتصال الجنسي بأى امرأة أخرى مجهولة الشخصية ولكن في نفس حجم
وشكل القرية الأولى . وهذا التحريف أو التبديل في موضوع الدافع
المكبوت والقوة الكابتة أو المقاومة التي تحول دون ظهور الرغبة المحرمة
هو الذى يجعل النائم يستمر في النوم ولذلك ذكر فرويد أن الأحلام هى
حارس النوم وأنها الطريق السلطاني للوصول إلى اللاشعور .

كما وضع فرويد أن الأحلام ظاهرة سيكولوجية في المقام الأول لها غرض
وهدف أى لها وظيفة معينة تؤدىها كما أن لها دلالة نفسية ولها معنى وقدم لها
تفسيرا مقبولا بربط الأسباب والمقدمات بنتائجها ، أى حتمية سببية بعيدة
عن الصدفة ، فلا مصادفة في دنيا النفس . وليست الأحلام كما يقال
هلاوس كهلاوس الحمى التي تظهر الذكريات المختزنة ، وليس لها أى قوة
غيبية أو تنبؤية .

وتشترك أحلام اليقظة مع أحلام النوم في أنها تنفيس وإشباع خيالى
لرغبات استحال إشباعها في الواقع . ولكن أحلام اليقظة أكثر اتصالا
بشعور الفرد ، وأحلام النوم أكثر اتصالا بالمواد اللاشعورية ، وتضعف
رقابة العقل عادة أثناء النوم كما تضعف المقاومة التي تكبت الرغبات اللاشعورية
ولكن لا ينفصل وعى الفرد عن الواقع انفصالا تاما ، فالألم تنام نوما عميقاً
غير واعية لصوت السيارات والترام والضوضاء في الخارج ولكنها تضعف في

الحال عند سماع انين طفلها ، مما يدل على أن بعض أجهزة المخ تظل في حالة نشطة لالتقاط مثل هذه المنبهات المنتقاه مما يثبت أن النوم له صلة بدوافع النائم الهامة وهنا يبرز دافع الأومة .

والنوم الذى تصحبه أحلام هو النوم التقيضى Paradoxical Sleep وهو الذى يصحبه حركات العين السريعة مما يدل على أن النوم فى هذه الفترة يكون خفيفاً ويصاحب حركات العين السريعة فى رسم المخ الكهربائى موجات سريعة وقصيرة تظهر فى شريط رسام المخ على هيئة أسنان المنشار .

وتشير الأبحاث الحديثة فى مجال اضطراب النمو والأحلام على الصلة بين هذه الاضطرابات بالعلل العضوية والموضوعات النفسية، فكابوس النوم والفرع الليلي Nightmares and Night Terrors قد يكون سببه التهابات الحلقى أو امتلاء فى المعدة أو تعاطى كمية كبيرة من عقار Tryptophane وهو أحد الأحماض الأمينية وأحياناً بعد أخذ العقاقير المنومة أو المطمئنة .

كما قد يحدث الكابوس وفرع الليل عند الأطفال من قراءة القصص أو مشاهدة الروايات المخيفة أو خوف الطفل من قسوة الوالدين أو من صراع شديد ناتج من اختلاف شديد فى طباع الوالدين أو قسوة وعنف أحدهما ويعتقد فرويد أنه ينتج من رؤية الطفل للجماع بين والديه وما يحدث فى نفسية الطفل من أثر ذلك . وكثرة النوم Somnolence والأحلام غير السارة قد تكون عرضاً لبعض الأمراض البدنية مثل نقص الفيتامينات أو الحمى الخفية أو الالتهاب السحاقى أو تعبيراً عن صراع نفسى وفى هذه الحالة يكون النوم نوعاً من أنواع التكوؤ الذى يجعل الفرد بعيداً عن آلام الحياة الخارجية . وكذلك شلل النوم Sleep Paralysis وما يصحبه من أحلام مفزعة وهى حالة

من فقدان المقدرة على الحركة تنتاب النائم وهو بين النوم واليقظة تستغرق من ثواني إلى دقائق ولكن الثواني تمر ببطء شديد ، وكذلك قفزات النوم Startling وهى تحدث عند بداية النوم، ويحلم المريض أنه يسقط من مكان مرتفع وتتفرض كل عضلات جسمه ، والجوال الليلي Sleep Walking ويقصد به السير أثناء النوم ويسير النائم أحيانا مغلق العينين وأحيانا تكون عينيه مفتوحة بل وأحيانا يرد على بعض الأسئلة ، وقد لوحظ أن البعض يحاول الانتحار أو الاعتداء على الغير أثناء نومه نظرا لنشاط دوافعه العدوانية والتكفيرية وضعف الرقابة العقلية فهو شبه نائم . وهذه الحالة تدل على وجود صراع نفسى لا تظهر أعراضه إلا أثناء النوم نظرا لقوة الحيل الدفاعية النفسية أثناء اليقظة، ويعتبر الجوال الليلي أحد أعراض الهستيريا ، والاعتقاد الشائع بين الناس أن إيقاف هؤلاء المرضى خطأ ولكن هذا غير صحيح ، والأرق وما يصحبه من أحلام متقطعة أو غير سارة يصاحب بعض الأمراض النفسية والعقلية فالإكتئاب النفسى يصطحب بأرق فى أول الليل ونوم فى الصباح ، أما مريض الإكتئاب العقلى (ذهان) فيجدهم ينامون فى أول الليل ويستيقظون حوالى الثالثة أو الرابعة صباحا ولا يستطيعون العودة للنوم ثانية ومعظم الأعراض السابقة لا تدل على اضطراب إذا كانت عارضة أما إذا استمرت وتكررت طويلا فتشير إلى حالات وأمراض نفسية .

(٧) المقابلة Interview :

الأرقام لا تتحدث عن نفسها ، والاختبارات أو الاستخبارات أو موازين التقدير وغيرها من مقاييس الشخصية لا تعطينا سوى أرقام ، والأرقام لا تدلنا على تركيب الشخصية .

نفس الحال في الطب فقياس الحرارة (الترمومتر) أو مقياس الضغط لا يعطى سوى أرقام ويحتاج الأمر لعملية تشخيص من الطبيب لمعرفة نوع المرض المصاب به العميل.

وعملية التشخيص في الطب يقابلها في عالم النفس الحكم على شخصية الفرد أى تحديد أبرز سماته التى تميزه عن غيره من الآخرين وأسلوبه في حل مشاكله وعلاقاته مع نفسه ومع الغير ، وهذا لا يتأتى إلا بالمقابلة ويرى كثير من علماء النفس والخدمة الاجتماعية أن المقابلة لا تعد لها طريقة أخرى من طرق دراسة الشخصية سوى خير وسيلة للجمع بين العمليات المستمدة من كافة طرق دراسة الشخصية السابقة تمهيدا لإصدار الحكم الأخير على الشخص .

والمحور الرئيسى سواء في العلاج النفسى أو الخدمة الاجتماعية هو تكوين علاقة متبادلة وثيقة بين فردين ، وهذه العلاقة ترمى إلى هدف إذ يقوم فيها أحدهما وهو المعالج النفسى أو الاخصائى الاجتماعى بحكم مرانه وخبرته على مساعدة الشخص الآخر وهو العميل حتى يغير من نفسه ومن بيئته ووسيلة هذه العلاقة الرئيسية هى المقابلة وجها لوجه بين الاخصائى والعميل ويتم التفاعل اللغوى في هذه المقابلة .

وعلى ذلك فالمقابلة عبارة عن اجتماع بين الاخصائى والعميل أو غيره وجها لوجه وبغرض دراسة وتشخيص وعلاج مشكلة يعانى منها العميل وتكوين صورة عن تكوين وتطور شخصيته .

وقد يقابل الاخصائى الاجتماعى العميل بالمؤسسة الاجتماعية أو بالعيادة النفسية أو يقابله في منزله ويطلق عليها الزيارة أو يقابل مصادر المعلومات من المتصلين بالعميل ، وقد تكون المقابلة للبت في قبول طلب العميل ، أو

أثبت استحقاقه للخدمات المؤسسية ، أو مقابلة دراسية أو تشخيصية أو علاجية أو مزيج من كل ذلك . وقد تكون المقابلة فردية تجمع بين فاحص ومفحوص واحد ، أو جماعية فيها أكثر من فاحص ، والمقابلة الجماعية تتيح فرصة للاستفادة بخبرات وثقافات متعددة كما تمدنا بأحكام متعددة عن مفحوص واحد مما يقلل من قصور الحكم الفردي في التحيز . وهناك المقابلة المقيدة أو المقتنة Structured Interview ، وهي المحددة بأسئلة مباشرة معدة سلفاً في ضوء دراسة المشكلة التي يعاني منها المفحوص ، أو تكون مقيدة باعطاء اختبارات نفسية معينة ، أما المقابلة الحرة Unstructured Interview فتسير فيها المناقشة سيراً طبيعياً دون قيود ، والمعلومات التي يريدها الفاحص تؤخذ بطريقة غير مباشرة دون شعور المفحوص بذلك أثناء الحديث ، واذن هي تتصف بالتلقائية والتعديل والمراجعة في المعلومات التي يدلي بها المفحوص .

ولكل من المقابلة المقيدة والحرة مميزات وعيوب :

فمن مميزات المقابلة المقيدة أنها توفر الجهد والوقت ونحني المقابلة من التفرع والتشعب وتسهل جمع المعلومات الضرورية وتسمح بمقارنة إجابات الأفراد المختلفين على نفس الأسئلة . ومن عيوبها أنها لا توفّر جواباً طبيعياً للمفحوص مما يؤثر على أجابته ولا تتيح له فرصة في الإدلاء بمعلومات إضافية هامة من وجهة نظره .

ومميزات المقابلة الحرة أنها تسمح بتوثيق العلاقة والتجاوب أو التأخر بين الفاحص والمفحوص ، وتسمح بأكثر قدر من الصراحة والمكاشفة والتفريغ الانفعالي والاستبصار نتيجة المناقشة الهادئة التدريجية ، ومن عيوب المقابلة الحرة أنها لا تسمح بمقارنة إجابات الأفراد وتحتاج لخبرة ومران

طويل وإلا كانت مضیعة للوقت والمجهود، والمقابلة الحرة فيها مجال أكبر لاسقاط عيوب الفاحص على المفحوص خاصة الدوافع المستكرهه للنفس وللناس المكبوتة ، وكثيرا ما يبالغ في تقدير هذه السمات المعیبة عند من يحكم عليهم . والانطباعات الأولى للفاحص من السهل تعمیمها على باقى صفات المفحوص فان كانت الملاحظات الأولى تشير بأن المفحوص قلق أو متسرع مال الفاحص إلى وصف المفحوص ككل بالتسرع والقلق . كما أن الفكرة العامة أو الشائعة عن المفحوص سواء أكانت سلبية أو إيجابية يتزع الفاحص إلى تعمیمها على جميع صفات المفحوص بصرف النظر عن طبيعتها الفعلية وتعرف هذه الحالة بخطأ الهالة .

وهناك نوع آخر من المقابلات يسمى بمقابلات التأزیم (Stress Interview) وهی ترمى أساسا إلى الكشف عن قدرة المفحوص في التحكم في انفعالاته أو تحمل الضغط الذهني الشديد ومدى سرعته في العودة إلى الهدوء والاتزان بعد زوال المؤثر ، وتضم عدة طرق لتحقيق هذا الغرض ، فقد يطلب من الشخص أداء عمل معين وبصرف النظر عن مستوى الأداء ينتقده الفاحصون عمدا بشدة وبألفاظ مخرجة ، ثم يطلبون منه أداء عمل آخر وبصرف النظر عن مستوى الأداء يثنون عليه ويمدحونه ، ومن خلال هذه العمليات يلاحظ سرعة الانفعال وشدة الانفعال ومدة الانفعال وسرعة العودة إلى الاتزان والهدوء .

وأحيانا يسلط على وجه المفحوص ضوء شديد ولا يسمح له بإدارة وجهه بعيدا عن الضوء ثم توجه له سلسلة من الأسئلة السريعة المخرجة غير المنتظرة ويطلب منه الاجابة دون تمهل وإلا عنفوه وبعد حوالی (١٠) دقائق يأمره بالانصراف ، بعد أن يكون الفاحصون قد قدروا له درجة أثناء المقابلة في النواحي الانفعالية السابقة .

٢٣٤ -

ص ومجمل القول، بأن المقابلة وسيلة فعالة وضرورية للتأليف بين المعلومات التي تجمع من الفرد من مصادر مختلفة ، كما أنها ضرورية كأداة للحكم على الفرد في جملته بعد أن تكون الاختبارات والاستخبارات المختلفة قد تناولته من زوايا خاصة ، فضلاً عن أن المقابلة تعيننا على التحقق من صحة المعلومات والاجابات التي نشك فيها ، كما أنها تزودنا بمعلومات عن الفرد لا تعطيها الوسائل الأخرى ، زد على ذلك أن اختبارات الشخصية لا تزال على درجة ليست عالية من الصدق والثبات والتقين مما يحتم علينا اللجوء للمقابلة (٢٠) .

ولأن المقابلة أكثر من مجرد حديث بين الفاحص والمفحوص فانها تتيح فرصة للملاحظات التعقيدات الوجهية ، وحركات الجسم ونبرات الصوت التي لها مدلولات انفعالياً، كما تتيح فرصة للملاحظة الصوت المفاجيء وذلات اللسان والقفز من موضوع لآخر والتردد وتكرار العبارات الخاصة مما يلقى الأضواء على مشكلة المفحوص (فرصة لفهم وتأويل الحيل النفسية اللاشعورية) أو مكونات شخصيته . وغالباً ما نجد أن لكل مقابلة بداية ونهاية ووسط ، وتخصص غالباً بداية المقابلة لتوفير الجو الودي بين الفاحص والمفحوص (التآصر) ولتوضيح أغراض المقابلة ، ويوجه وسط المقابلة لجمع البيانات أو استكشاف الحلول المختلفة للمشكلة أو استكشاف أبرز سمات الشخصية التي تميز المفحوص عن الآخرين ، وفي النهاية يلخص الفاحص فيها النقاط الأساسية .

الآراء المختلفة في تفسير استواء الشخصية واعتلالها

فهم معنى السواء والشذوذ في الشخصية الانسانية ليس بالأمر السهل نظرا لاختلاف التخصص التعليمي لمن يحكم على الشذوذ والسواء من جهة ، واختلاف ثقافة كل مجتمع عن آخر من جهة أخرى ، علاوة على تداخل الشذوذ في السواء كما تتداخل فصول السنة دون تحديد الحد الفاصل بينهما .

فالأطباء البشريون يفهمون استواء الشخصية واعتلالها في ضوء الإصابة بالمرض الجسمي أو البرء منه . في حين نجد النفسيون يركزون على الإصابة بالصراع النفسي غير المحسوم أو القدرة على حله ، والاجتماعيون يرون أن الأمراض الاجتماعية هي السبب في الشذوذ كالصراع الطبقي والديني واللوني أو جمود العادات والتقاليد ، والسياسيون يركزون على علاقة الحاكم بالمحكوم هل هي ديمقراطية أو دكتاتورية أو سائبة ، وفي حالة العلاقة الدكتاتورية يحدث استواء الشخصية وفي حالة العلاقة الدكتاتورية أو السائبة الفوضوية يحدث اعتلال الشخصية ، والقانونيون يركزون على الخروج على القانون أو التوافق معه كأساس في الحكم على الشذوذ والسواء ، ورجال الدين يركزون على المسيرة أو التصادم مع المعايير الدينية ، والاقتصاديون يركزون على عدالة أو ظلم توزيع الثروة ، وعلى مستوى الدخل والخدمات الذي يحصل عليه الفرد، فزيادة الدخل والخدمات تستوي الشخصية وبقصور الدخل والخدمات تعتل الشخصية . وهكذا يلعب التخصص التعليمي للدارس دورا رئيسياً في فهم الشذوذ والسواء في الشخصية الانسانية

وعامل آخر يتدخل في فهم معنى السواء والشذوذ هو ثقافة المجتمع . فغشاء البكارة مثلا أمر لا أهمية له عند الرجل أو المرأة الأمريكية أو

الأوروبية . والعكس بالنسبة للرجل الشرقى العربى المتسدين — غير المتأمر — لإختلاف المعايير الثقافية الأمريكية والعربية . وحتى الحكم يختلف فى المجتمع الواحد من وقت لآخر . فالمرأة غير المحجبة أمر عادى ومقبول اليوم فى مصر . فى حين أن رفع الحجاب عن الوجه قبل خمسين سنة يعتبر شذوذاً فى شخصية المرأة المصرية .

وتداخل الشذوذ فى السواء أمر يجعل الحكم عسيراً أيضاً . فالشخص العادى ذو الشخصية السوية بكل المقاييس قد يتصرف كالمجنون عند الغضب العنيف الطارئ أو السرور الزائد عن الحد . وكذلك الشخص المجنون الذى لا يعرف اسمه أو الزمان أو المكان قد يتحدث بمنتهى الحكمة والمهدوء لفترة . ثم يعود لذهانه خاصة بعد أخذ الصدمة الكهربائية . لذلك يقال إن الشذوذ أو السواء هو اختلاف فى الدرجة لا فى النوع .

والموقف الآن إزاء هذا التصادم فى الآراء هو البحث عن رأى مشترك يرضى جميع الآراء المتصارعة لإرضاء متزنا ، أو رأى يرضى جميع الحكام على اختلاف تخصصاتهم التعليمية واختلاف ثقافتهم . أو البحث عن قاعدة صلبة فى فهم السواء والشذوذ صامدة فى الدفاع عن نفسها أمام النقد على أساس المنطق والتجربة العلمية ، وتعطى صورة شاملة عن حالات الاعتلال والسواء، ونعرض فيما يلى الآراء المختلفة فى هذا الموضوع .

(١) الراى الثانى :

يرى أن الشخصية السوية هى التى وصلت لحد الكمال الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى ، والشخصية الشاذة هى البعيدة عن الكمال . وبتطبيق هذا الرأى نجد أن أغلبية الناس شواذ الشخصية والقليل جداً منهم — إن وجدوا — هم الأسوياء وهذا أمر يخالف المنطق والواقع . وصدق رسول الله

صلى الله عليه وسلم بقوله (كل بنى آدام خطاء ، والتوابون خير الخطائين) .

(٢) الرأى الرضى :

يرى أن الشخصية السوية هى التى لا يظهر فيها على صاحبها أى انحراف نفسى يجعله خطرا على نفسه أو على الناس ، والعكس فى الشخصية الشاذة .

وهذا الرأى يتصف بالحكم الموضوعى إذ يمدنا بمقياس يمكن ملاحظته بواسطة الغير وهو السلوك الخطر أو السلوك المتوافق ، والسلوك الخطر للنفس أو الغير هو أساس الشذوذ فى الشخصية ، والسلوك المتوافق هو أساس الاستواء .

ولكن العيب فى هذا الرأى هو عدم الشمول ، إذ ينطبق على فئة قليلة من الحالات المرضية الشاذة دون سائر الحالات . فالإجرام خطر على الغير ، والانتحار خطر على النفس لذا فهو اعتلال فى الشخصية دون شك . ولكن هناك عديد من أنماط الشخصية لا تعتبر شاذة طبقاً لهذا الرأى فى حين أنها تتضمن انحراف نفسى صريح . فالشخصية المصابة بعصاب القهر مثلاً - وهذا انحراف نفسى لا نقاش فيه - تعتبر سوية فى هذا الرأى على أساس عدم وجود الخطر . فالوساوس الذى يخاف خوفاً زائداً عن الحد من التلوث أو المرض ، أو يعد سلام المنزل أو أعمدة المصابيح عدة مرات خوفاً من الخطأ أو النسيان ، أو يغسل يده عدة مرات لا تقل عن عشرين مرة عند السلام على الغير ، أو يغسل الصابونة بالصابونة عدة مرات لتنظيفها جيداً . هذه الأعراض ليس فيها خطر على النفس أو الغير ولكنها شاذة دون شك .

(٣) الرأى القانونى :

يرى أن الشخصية السوية هى التى يسلك صاحبها على نحو يقره القانون ،

والعكس مع من يتصادم سلوكه مع القانون . والعيب في هذا الرأي رغم موضوعيته أيضاً ، هو عدم الشمول لكل الأفراد أو كل الظروف أو كل المجتمعات ، لذا فهو رأى نسبي يتوقف على الظروف والمواقف .

ففي بعض الظروف البيئية الفاسدة يكون القانون فيها جائراً ظالماً والثورة على القانون الجائر لتحقيق العدل والسلام أمر مرغوب فيه وليس فيه أى شذوذ كما يدعى هذا الرأي .

كما أن تجريم السلوك أمر يتوقف على ثقافة المجتمع فالربح الفردى في المجتمع الرأسمالى فضيلة يحميها القانون ولكنه رذيلة ضد القانون في المجتمع الشيوعى .

وما يقال في هذا الرأى ينطبق على الرأى الاجتماعى والثقافى الذى يتخذ من التوافق مع النظام الاجتماعى أو الثقافى القائم معياراً للاستواء ، والتصادم مع النظام معياراً للاعتلال في الشخصية .

(٤) الرأى الاحصالى :

يرى هذا الرأى أن الشخصية السوية هي الشائعة أو المتوسطة أو العادية ، أما الشخصية الشاذة هي المنحرفة عن المتوسط بدرجة كبيرة . أى تخرج عن مستوى الاعتدال الذى يقع في وسط توزيع تكرارى لعينة كبيرة من الأفراد حيث نجد الشذوذ في طرفي التوزيع بين أقصى درجات الانحراف وأقل درجات الانحراف .

فالعمالقة والأقزام شواذ في حين أن متوسطى الطول معتدلين ، والعاقة وضعاف العقول شواذ والمتوسطين هم المعتدلين ، والانفعال الشديد جداً أو البسيط جداً شذوذ أما الانفعال المتوسط هو المعتدل وهكذا .

ومع اسن هذا الرأى يمكن حصرها فيما يلى : (١) . مراعاة التدرج

بعيد ، دائماً وغالباً ونادراً ونادراً جداً ، أو انحراف نفسى شديد أو متوسط أو خفيف . . . الخ وفى كل حالة يمكن أن تقاس درجة البعد عن المتوسط فى صورة كمية أو رقمية ، (٢) الموضوعية أى يعطينا شيئاً يمكن ملاحظته وقياسه ، والشئ المقاس لا يختلف باختلاف الباحثين أو الحكام .

وأهم عيوب هذا الرأى : ما يلى : (١) يمكن تطبيقه على الصفات الانسانية التى يمكن قياسها بوحدات ثابتة كالطول والذكاء والقوة الجنسية . . . الخ ، ولكن هناك صفات من الصعب قياسها كالسلوك الجنسى مثلاً ، (٢) اعتبار أن الذكاء الشديد أو العبقريّة شذوذ وهذا المنطق لا يستسيغه بعض علماء النفس ، (٣) التطابق بين سمات فى الشخصية تشابه فى المظهر ولكنها تختلف فى الأسباب ، فاليسل للسيطرة قد يتساوى عند فردين فى الدرجة ، ولكن الأسباب مختلفة تماماً ، فالسيطرة فى الأول قد تكون بدافع حب التملك ، والسيطرة فى الثانى قد تكون بدافع الانتقام .

(٥) الرأى التكاملى أو الطبقي :

يرى هذا الرأى أن استواء أو اعتلال الشخصية لا يرجع لعامل واحد ذاتى أو بيئى ، ولكن لعدة عوامل متفاعلة ذاتية جسمية نفسية عقلية وبيئية مادية واقتصادية واجتماعية مع اختلاف الأهمية النسبية لكل عامل فى كل حالة على حدة وأن كل عامل يؤثر فى الآخر ، فالعامل الذاتى يؤثر فى البيئى والعكس صحيح ، والعامل الجسمى يؤثر فى النفسى والعكس صحيح .

كما يرى هذا الرأى أن العامل المشترك فى الانحراف النفسى فى كل الثقافات والمجتمعات هو الصراع النفسى اللا شعورى القديم الذى أبقظته الظروف البيئية الجديدة المؤلمة ، أو أن الانحراف النفسى يكون أساسه قصور فى الجهاز العصبى بفعل عيب وراثى كالضعف العقلى أو عيب مكتسب كالتسمم الكحولى أو التلوث الميكروبي .

وأقصى أنواع الصراعات النفسية اللاشعورية هو ما يرجع إلى تربية أسرية خاطئة أو صدمة انفعالية في الطفولة المبكرة . هذا الصراع النفسى يجعل الاستعداد الشخصى للجريمة أو للإصابة بالمرض النفسى أو العقلى كبيراً حتى لو كان الاحباط فى الكبر صغيراً . فمن تربى فى ظل التقييد الزائد عن الحد فى طفولته ينشأ مستعداً للثورة على القانون فى كبره أكثر من غيره خاصة لو كانت وراثته شاذة أو أن جهازه العصبى به تلف . ومن كانت تربيته مرعوبة ، أو حارمة أو خالية من الحب ، أو ظالمة تفتقر للعدل بين الإخوة ، أو متزمتة تثير عذاب الضمير لانفقه الأسباب ينشأ ميالاً للإصابة بالمرض النفسى أو العقلى لو أثقلت الدنيا عليه بهومها بعد ذلك حتى لو كانت هذه الهوم محتملها أى فرد عادى .

إن القلب المحروم من الحب يفتح الباب لأول طارق حتى لو كان طارقاً شاذاً ، والنفس المعذبة المقيدة بسلاسل الأوامر والنواهي الأسرية الزائدة عن الحد توافقه لآى نسمة من الحرية حتى لو كانت حرية فوضوية .

هذا الرأى يتمتع بقبول عام لدى كثير من العلماء لأنه جمع بين عدة عوامل جسمية ونفسية وعقلية ومادية واجتماعية واقتصادية ولم يتغافل الوزن النسبى لآى عامل فى كل حالة فردية .

وبرغم ترجيح الرأى الطبى (تلف فى الجهاز العصبى) والرأى النفسى (صراع لاشعورى) على أساس أنها يكونان الاستعداد الشخصى أو الحساسية للانحراف النفسى إلا أنه لم يغفل أثر العوامل البيئية المادية والاجتماعية والاقتصادية كمثيرات للعوامل النفسية ، إذ يندلع فى أعقابها الأمراض النفسية والعقلية الشائعة فى جميع المجتمعات كأبرز ما يدل على انحراف الشخصية وتفككها .

مبادئ تشخيص اعتلال الشخصية الانسانية

التشخيص فى علم النفس عبارة عن صورة وصفية توضح العلاقة بين أعراض الانحراف النفسى وأسبابه مع بيان الوزن النسبى لكل سبب من الأسباب وبعبارة أخرى هو توضيح كيف تفاعلت العوامل الذاتية جسمية وعقلية ونفسية مع العوامل البيئية مادية واقتصادية واجتماعية حتى حدثت أعراض المشكلة الحالية .

وقد تكون هذه العوامل وهمية تنبع من خيال العميل أو حقيقة تنبع من الواقع ، فقد يتوهم العميل مرضاً يعزو إليه فشله الدراسى ، وقد يكون هناك مرض جسمى كحقيقة موضوعية تثبتها الاختبارات الطبية .

وقد تكون الدوافع شعورية أو لاشعورية . فالفرد يأكل مثلاً لأنه يشعر أنه جوعان ، هنا دافع الجوع شعورى . وقد يأكل الفرد بنهم قهرى رغم كراهيته البدانة الزائدة عنده ، ويكشف التحليل النفسى أن هذا المريض قد استخدم الإرضاء الحسى كبديل للإرضاء النفسى المحروم منه . أى أن الأكل الزائد عن الحد قد استخدم كتعويض للحرمان من الحب المفقود . وهنا لا يشعر الفرد بوجود دافع الحب المفقود فهو مكبوت لاشعورى ، ولا يدرك صلة هذا الدافع اللاشعورى بسلوكه الشاذ المتصل بالافراط فى تناول الطعام فهو رغم كراهيته فعل ذلك .

وغالباً ما يحدث الانحراف النفسى نتيجة تضافر عدة عوامل لا بسبب عامل واحد ، ولكن هذا لا يمنع من أن يبرز أثر عامل واحد عن العوامل الأخرى مما يجعل التركيز فى العلاج ينصب على هذا العامل أكثر من غيره فقد يسرق الحدث الطعام نظراً لأنه مصاب بدودة شريطية تدفعه لمزيد من الطعام لا تملكه يده . وهنا يبرز العامل الجسمى عن (١٦)

العوامل الأخرى ونركز عليه في العلاج أكثر من غيره . وقد يسرق الحدث رغبة في تشويه سمعة عائلته والإضرار بها بسبب دوافع عدوانية لا شعورية تدفعه للانتقام من أسرته التي صدته وحرمته وأهملته . وهنا يبرز أثر العوامل النفسية دون سواها . وقد يسرق الحدث ساعة والده ويبيعها لأن والده شديد التقدير والبخل وهنا يبرز أثر العامل البيئي الاجتماعي أكثر من غيره وهكذا .

ويختلف التشخيص في علم النفس عن التشخيص في الطب البشري ، فالتشخيص في الطب عبارة عن (كلمة تشخيصية) ، أما التشخيص في علم النفس يكون في صورة (عبارة وصفية) . فحينما يسفر الفحص الطبي مثلاً أن فرداً يشكو من صداع ورشح بالأنف وارتفاع في درجة الحرارة تشخص الحالة المرضية بكلمة واحدة هي : (إنفلوانزا) ، أما في علم النفس فالتشخيص يكون عبارة وصفية توضح كيفية تفاعل العوامل الممهدة والمعرزة والمعجلة حتى أدى ذلك الانحراف النفسى .

ويختلف التشخيص في علم النفس أيضاً عن التشخيص في الخدمة الاجتماعية . فالتركيز في تشخيص الخدمة الاجتماعية يكون على العوامل البيئية الشعورية ، أما التركيز في علم النفس يكون على العوامل الذاتية اللاشعورية .

والمقاييس في الطب الجسمي تدل على الأعراض ولا تدل على المرض . فالترموتر يدل على ارتفاع في درجة الحرارة ولكن لا يدل إن كانت ارتفاع درجة الحرارة بسبب إنفلوانزا أو تيفود ، ويقتضى الأمر لقاء الطبيب مع المريض في الكشف حتى يمكن تحديد المرض العضوى ، وكذلك الحال في علم النفس يقتضى الأمر للتفاعل اللغوى بين المعالج والعميل بجانب استخدام المقاييس .

ومن الثابت أن أعراض المرض الجسمي هي محاولات للشفاء كما أنها أدلة

على وجود المرض . فارتفاع درجة حرارة الجسم مثلاً دليل على وجود مرض جسمي فضلاً عن كونها محاولة للشفاء كما في الإصابة بالحمى مثلاً . فالجسم يقاوم المرض الميكروبي بوسائل دفاعية هينة في بادئ الأمر ثم يلجأ إلى وسائل شديدة حينما يشتد الغزو الميكروبي ، ونتيجة هذه المقاومة الشديدة ارتفاع درجة الحرارة وظهور علامات أخرى هي أعراض المرض .

كذلك الحال عند الإصابة بالانحراف النفسي . يبدأ بمرور الفرد بأزمة نفسية أو ما يسمى إحباط (عوز حرمان إعاقه صدام ... الخ) . وهنا يحاول الفرد الحل بطرق توافقية سوية مثل زيادة الجهود أو تغيير طريقة حل المشكلة أو تغيير الهدف . فان استمر اختلال توازنه لجأ إلى الطرق اللاوافقية الشاذة منها الحيل النفسية الدفاعية . وان استمرت الشدائد وزادت عن طاقة الفرد في الاحتمال أصبح معرضاً للأمراض النفسية أو العقلية ، وفي هذه الحالة تكون هذه الاضطرابات السلوكية أو الأمراض النفسية أو العقلية من قبيل المحاولات الشاذة لحل الأزمة المستحكمة كما أنها تكون أعراضاً للمرض

ونوعية أعراض الانحراف النفسي أمر يتوقف على وراثته الفرد ، ومدى سلامة جهازه العصبي ، وعلى أسلوب تربيته في طفولته وعلى الصدمات الانفعالية التي بها . وهذا ما يولد الاستعداد الشخصي للإصابة بالانحراف ثم نوعية الإحباط في الكبر أي ما تعرض له الفرد من العوز والحرمان والاعاقه والإذلال والفشل والصراع النفسي غير المحسوم .

ونجد تضافر العوامل الممهدة والمعززة والمعجلة في معظم الانحرافات النفسية ، ففي حالة الإدمان على المسكرات مثلاً نجد العوامل الممهدة اللاشعورية التي تكون الاستعداد للانحراف أو الانحراف النفسي الكامن في شكل تثبيت

نفسى قوى على الطور الفمى من أطوار الغريزة الجنسية في مرحلة الطفولة (الطلقة في ساقية المسدس) .

فن المعروف أن الطفل في مرحلة الرضاعة يبدأ قلقه حينما يرضع ويمص اللبن من ثدى أمه كما يرتاح للعطف والحنان أثناء عملية الرضاعة . فقدم الخمر شخص لاقى اشباعا شديدا أو حرمانا شديدا في هذا الطور الفمى ، فقد تكون الرضاعة زائدة عن الحد تقوم بها الأم كاملا بكى الطفل في فترات متلاحقة أو يتأخر الفطام عن سنتين . وقد يكون الحرمان بسبب الرضاعة الشحيحة أو العسرة أو المرتبطة بسخط الأم وغضبها وقد يكون الفطام متعجلا أو قاسيا أو مفاجئا .

والحرمان يؤدي للبحث عن الممنوع (هنا الممنوع اللذة الفمية) أو التثبيت على موضوع الحرمان . والشبع الزائد يؤدي للنكوص أو الارتداد إلى موضوع الشبع في تطور الغريزة الجنسية ، حيث يجد الفرد السكر لذة في مص الخمر من الكأس عزاء وبديلا عما يعانيه من حرمان مص الثدي وحنان الأم . والحرمان يؤدي إلى كبت الدوافع التي حرمانا من اشباعها ، والشبع يؤدي للتعلى اللاشعورى بموضوع الشبع . وهذا الكبت العنيف في الطفولة المبكرة أو التعلى اللاشعورى هو الذى يدفع الفرد دفعا لاجيلة له فيه مهما استخدم المنطق أو الإرادة في الكف عن الخمر . وإذا فرض أنه كف عن الخمر سعى لإشباع اللذة الفمية عن طريق آخر كالافراط في التدخين أو الافراط في الأكل وما شابه ذلك .

ومما يجعل الفرد يرتد أو ينكص إلى طور الإشباع الطفلى هو الإحباط الذى يحدث في الكبر وهذه هي العوامل المعجلة . فقد يحدث في هذه الحالة إفلاس مادي أو فضيحة اجتماعية تدعو للعار أو فقد عزيز ، أو فشل في حب مما يدفع الفرد للتخفيف من الضغط النفسى المرتفع عن طريق الخمر .

والأسباب المعجلة هي الأسباب التي يندلع في أعقابها الانحراف النفسى .
أما الأسباب المعززة فهي التي تتوسط بين الأسباب الممهدة والمعجلة .

ومن هذه العوامل المعززة قد يكون الإصابة بمرض مزمن فيلجأ الفرد للخمر لتسكين الآلام الجسدية المبرحة ، أو يكون عمل السكير مجهد فيتناول الخمر للتخفيف من التعب ، وينتابه الملل و الأرق فيتناول الخمر للتخفيف من ذلك ، أو قد يعانى من الشعور بالنقص نتيجة أن عمله فوق قدراته ، أو أن مستوى طموحه أعلى من مستوى إقتداره فيلجأ للخمر للتخفيف من قلق العجز والفشل ، أو قد يكون قد ارتكب عملاً مشيناً ظلم فيه الغير فيشغل عذاب الضمير مما يدفعه للخمر لتسكين آلام الشعور بالذنب أو لخفض الحاجة لعقاب الذات ، وفي شرب الخمر اهتان شديد للذات جسدياً أو نفسياً .

ويلاحظ هنا أن العوامل المعجزة والمعززة (زناد المسدس الذى يفجر الرصاصة) هي عوامل مساعدة وليست عوامل مسببة . فالزناد لم يخلق الرصاصة بل فجرها ، ولولا وجود الرصاصة ما كان هناك تأثير لضربة الزناد .

وعموماً تحكنا المبادئ التالية في عملية التشخيص النفسى :

١ - أعراض العصاب ما هي إلا وسائل شاذة للتكيف تتمثل في حيل دفاعية يلجأ إليها المريض للتخلص من القلق الذى يسببه الصراع النفسى .

٢ - الأعراض العصابية إما أن تكون : (أ) اشباعاً بديلاً فعلياً أو خياليا لبعض الدوافع المكبوتة المستكرهة للنفس أو للناس (ب) وإما أن تكون وسائل لمنع هذا الإشباع ، (ح) وإما أن تكون وسائل للتوفيق بين رغبة الاشباع ورغبة المنع ، أى التوفيق بين الرغبة الدافعة والقوة

المانعة ، (د) أو أن تكون انتكاسا لطور من أطوار نمو الغريزة الجنسية حدث فيه إشباعا زائدا عن الحد (طور فنى ، شرجى ، نرجسى ، جنسية مثلية أوديبى جنسية غيرية) .

والأمثلة التى تؤيد ما سبق متعددة منها . ما نجده فى الاستمناء (العادة السرية) من إشباع بديل للدوافع الجنسية المستكرهة لانفس أولئناس فى حالة الرغبة فى إشباعها دون زواج . وكذلك الحال بالنسبة للفسق فى الحيوانات أو الاتصال الجنسى بفرد من نفس الجنس . ونجد فى الاستمناء أيضاً توفيقاً بين صراع الرغبة الدافعة والقوة المانعة . فالإنسان حينما تدفعه رغبة جنسية للاتصال بامرأة دون زواج يتصادم ذلك مع القواعد الدينية والإخلاقية والاجتماعية ، وهذه هى القوة المانعة ، فالفرد هنا يريد لذة الجنس ويخاف من عقاب القانون أو الضمير ، وهنا ينبعث القلق بسبب الصراع النفسى ، والاستمناء يخفف من هذا الصراع والقلق فيحقق بعض اللذة الجنسية ولا يعرض الفرد للتصادم مع القانون أو مع الضمير ، والفشل فى التكيف هنا سببه أن الحيلة الدفاعية (الاستمناء) تخفف القلق ولكنها لا تحل الصراع النفسى .

والاستمناء أو الايصال الجنسى بفرد من نفس الجنس يحقق إشباع فعلى جزئى .

وقد يحقق الفرد الدافع المكبوت عن طريق الخيال كما فى حالة الاستغراق فى أحلام اليقظة .

والعانس التى فاتها قطار الزواج وحرمت من إشباع الدافع الجنسى ودافع الأمومة عن طريق الزواج وهى راغبة فيه وعانت من احباط الفشل فى الحب مرارا وتكرارا قد تلجئ إلى سرقة ملابس الأطفال بشكل

قهري متكرر برغم ثروتها وغناها . وفي ملابس الأطفال بالذات ما يشير إلى رغبتها المكبوتة في الزواج وانجاب الأطفال . والاشباع هنا رمزي خيالي .

والوساوس ، والأفعال القهرية في عصاب القهر ، مثل الانشغال بوسواس أن أحدا سيهجم على المريض ويخلع ملابسه بالكامل ، أو تحاصره فكرة أنه ذو مركز مرموق ويظل يوزع الألقاب والمسؤوليات على أصدقائه ، أو ينشغل المريض بفكره صنع المنضدة من ثلاث أرجل بدل أربعة لتوفير الخشب ، وغير ذلك من الأفكار القهرية المستكرهة للنفس أو الناس ، أو ينشغل المريض بشكل زائد عن الحد بأعمال سخيفة قهرية كعد النقود أو عد السلام أو تكرار بعض الكلمات أو تكرار غسل اليدين أو الاستحمام بشكل زائد عن الحد رغم كرهه فعل ذلك.

تفسير هذه الأفكار أو الأعمال القهرية بأنها وسائل شاذة للتكيف يلجأ إليها المريض لشغل ذهنه وتحويل إنتباهه من أفكار ورغبات أخرى تسبب له كثيرا من القلق . وبذلك تكون هذه الوسواس والأعمال القهرية وسائل مانعة أو شاغلة عن اشباع دوافع مكبوتة مؤلمة أو مخيفة أو مشينة وظهورها يسبب الصراع المقلق مع الضمير أو الدين أو المجتمع .

وقد يتحول خوف الانسان من الانتحار إلى صورة خوف من الأماكن العالية ، وبذلك يتجنب الانسان هذه الأماكن العالية التي يمكن أن تستخدم في الانتحار بالقاء نفسه منها . ودوافع الانتحار تتضمن حاجة مكبوتة لعقاب النفس للتكفير عن سيئات حقيقية أو متوهمة تثير عذاب الضمير .

وقد يعاني المريض من شعور العداء والكرهية المكبوتة بسبب الصراع

النفسى الذى لم يمكن حله أو تأجيله أو قبوله ، فتجد فيه الرغبة فى الانتقام من فرد ما والخوف من نتائج هذا الانتقام (صراع الإقدام الإحجام) .
والصراع المعلق غير المحسوم مولد للقلق ، وقد يخفف المريض هذا القلق والصراع النفسى عن طريق الخوف القهرى من السكاكين أو الأسلحة بوجه عام وبذلك يتجنبها فلا يستطيع الاعتداء على الشخص المكروه .

ويبدو النكوص إلى الجنسية الطفلية بشكل واضح فى الانحرافات الذهانية كما فى مرض (الشيزوفرينيا) مثلا ، حيث نجد عادات الطفولة المبكرة شائعة رغم أن المريض راشدا سبق له استخدام العادات الصحيحة الملائمة لسن الرشد . ولكننا نجد فى أعراض الذهان انتكاس للجنسية الطفلية مثل التلذذ من القم باصرار المريض على وضع برازة فى فمه لا يتركها مطلقاً (انتكاس إلى طور فى) ، أو التلذذ من التبول والتبرز (انتكاس للطور الشرجى) ، أو التلذذ من كشف العورة (الانتكاس للطور الترجسى واللعب الجنسى الطفلى الخ) .

وفى ما يلى طريقة توضح طريقة كتابة التاريخ الشخصى للانحراف النفسى كأساس لفهم شخصية الفرد المضطرب سلوكيا وتشخيص مشاكله وعلاجها . ويمكن تعديل الأسئلة فى هذا التاريخ حسب مقتضيات الحالة وبقدر ما يسمح به الوقت .

مع العلم بأن هذا التاريخ ليس بديلا للمقابلات أو اجراء الاختبارات النفسية ولكن مكمل ومدعما لها :

أولا : الإطار العائلى Family Background :

١ - السن ، مكان الميلاد ، مهنة الوالدين .

٢ — كيف تصف السمات المزاجية لوالديك (مكتئين ، مرحين ، تسهل استثارتهما ، ذوى ضمير حساس ، غير مباليين ، يغاليان فى اصطناع اللياقة والتأدب ، متساهلين ، متفائلين ، متشائمين ، عديمى الحس ، محبين ودودين ، يفهمان الآخرين .

٣ — هل تعتقد أن نظرتها إلى الحياة شاملة أو ضيقة ؟

٤ — هل يشجعان مشروعاتك ، وهل يمتدحان ما تحققة من نجاح ويكافئانك عليه ؟

٥ — هل ترى أنك من عائلة حسنة التوافق ؟

٦ — هل ينطوى اتجاهها على أى شعور بالنقص ؟

٧ — هل يتضمن اتجاهها تبنيًا لأى من مثلك العليا ؟

٨ — هل فى تاريخ أسرتك أى حالات صرع أو ضعف عقلى أو فصام أو إدمان على الخمر أو المخدرات أو جرائم متكررة ؟

ثانياً — النمو الشخصى المبكر Early Personal Development

١ — ما الذى ذكر لك عن تقدمك فى الرضاعة والقطام والمشى والكلام والتسنين والتغذية والنوم والتدريب على ضبط المثانة وعادات النظافة .

٢ — ما الذى ذكر لك عن وقائع نموك المبكرة البارزة ، كمص الا بهام وقرض الأظافر وعض الأقلام ، نوبات الغضب ، اختناق التنفس ، بلل الفراش ، تشنجات ، قزح ليلي ، عادات خاصة مميزة تتعلق بالطعام ، مخاوف الخ .

٣ — هل أنتابك أى مرض أثناء طفولتك ترك تغيراً بدنياً أو نفسياً أو عقلياً ؟

ثالثاً - الاتجاهات نحو الأسرة attitudes toward the family

- ١ - هل تعلقت تعلقاً خاصاً بوالدك أو والدتك ؟
- ٢ - هل أحسست شيئاً من التهيّب أو العداء نحو أحد والديك ، وإذا صح هذا فمتى ، ولم كان يحدث هذا ؟
- ٣ - هل كان تعاملك مع والديك يقوم على الصراحة أم يتبع أسلوباً رسمياً ؟
- ٤ - هل أنت طفل وحيد ؟ وإذا لم تكن كذلك فما هو ترتيبك بين إخوتك وأخواتك ؟
- ٥ - هل تعتقد أن ترتيبك بين إخوتك كان له أثر في مصيرك ؟
- ٦ - هل علاقتك ودية بإخوتك وأخواتك ؟ وإن لم يكن كذلك فما أسباب هذه الصعوبات ؟ وهل كان أحد أشقاءك أو شقيقاتك مما يكبرونك على علاقة ودية خاصة بك ومصدر الهام لك ؟
- ٧ - كيف كنت تقابل أحداث الفقدان (فقدان مال ، شخص عزيز ، فقدان حب الخ) .
- ٨ - هل تحس بالتححرر من المنزل والوالدين ؟
- ٩ - ما هي الأمور التي لا زالت تجعلك تولى وجهك شطر المنزل طلباً للنصح وحسم الرأي ؟
- ١٠ - أى الأشخاص كان له أعظم الأثر في حياتك سواء داخل الأسرة أو خارجها ؟
- ١١ - هل لعب جدك أو أعمامك أو إخوانك أو أبناء أو بنات عمومك أو أى من أصدقاءك دوراً هاماً في طفولتك ؟

رابعاً - التوافق الاجتماعي في المدرسة Social Adjustment in the School

١ - هل واجهتك أى صعوبة في ترددك على المدرسة بسبب المرض ،
أو عدم الرغبة في الذهاب أو الهروب الحقيقي أو أى سبب
آخر ؟

٢ - هل رسبت في إحدى السنوات أو في عدد من السنوات ، أو
كانت درجاتك فيها منخفضة دائماً بدرجة تتعارض تعارضاً
واضحاً مع قدرتك المعتادة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل
تستطيع ابداء سبب لذلك ؟

٣ - هل عانيت أى ضعف خاص في قدرتك على التعلم ، كعدم
القدرة على التذكر ، أو عدم القدرة على استخدام الأرقام
الحسابية . . . الخ .

٤ - هل حدث أثناء حياتك المدرسية أن كان هنالك مدرس تعلقت
به تعلقاً غير عادى ، وهل كان هناك لك أحد تكن له كراهية
خاصة ؟ وإذا صدق ذلك فالى أى جنس كان هذا المدرس
ينتمى ، وكيف تفسر هذا الإحساس ؟ .

٥ - هل كنت تشترك أثناء سنوات دراستك في إيقاع الأذى بالجيرار
أو في جناح حقيقى كالسرقة أو تخطيم الأشياء أو إشعال النار الخ ؟
وإذا كان ذلك فهل كان مرده ميلك الخاص أم تأثير
الجماعة .

٦ - إلى أى حد كنت تستطيع مخالطة الآخرين ؟ وهل كنت عضواً
إيجابياً في الجماعة ؟ هل كنت تابعاً أم قائداً ؟ أم كنت تكره
كلية نشاط الجماعة وتتجنبه ؟

- ٧ - كيف تنظر بقية الأطفال إليك هل كانوا يعمدون إلى إغاظتك وتصغيرك أم يتطلعون إليك في إعجاب ؟ .
- ٨ - هل كانت حياتك المدرسية توازنا مقبولا من النشاط الاجتماعي والرياضي والتحصيـل المدرسي ؟ وإن لم تكن كذلك فهل ترى أنه يوجد الآن ثمة سبيل يمكن تحقيق ذلك عن طريقه .

خامساً - النمو الجنسي Sexual development

- ١ - في أى وفي أى المناسبات حصلت على معلوماتك الجنسية ؟
- ٢ - هل أتاحت لك بيتك فرصة التوجيه الجنسي ؟
- ٣ - هل هناك كثير من المعلومات أو التفسيرات الخاطئة ؟
- ٤ - هل تشعر بخجل شديد وسرية في أمور الجنس ؟
- ٥ - كيف كان إحساسك الخاص عندما أدركت مرحلة البلوغ
- ٦ - ما هى الاهتمامات الجنسية ، أو المغامرات الجنسية التى وقعت لك قبل البلوغ أو أثناءه أو بعده ؟ وما هو تقديرك لما تخلف عنها من آثار عليك ؟
- ٧ - هل كان الاستمنا (العادة السرية) مشكلة خاصة بالنسبة لك ؟
- ٨ - هل كان الاحتلام (القذف الليلي) مصدر قلق لك .
- ٩ - هل أثر في اتجاهاتك الجنسية أى شخص أو حادثة معينة ؟
- ١٠ - إلى أى حد تشغلك التغيرات الجنسية وما نوعها ؟
- ١١ - ما هى نظرياتك أو وجهة نظرك نحو الجنس ؟
- ١٢ - هل تتناكب الكثير من الأحلام المتعلقة بالأمور الجنسية ؟

١٣- هل كانت لك أى خبرات جنسية مع نفس جنسك أو أى خبرات من أى نوع تعتبرها شاذة أو أى ميل نحو شىء من هذا؟

١٤- هل أثار فيك أى جانب من نشاطك الجنسي شعورا بالإثم؟

١٥- هل يعرقل التوتر الجنسي عملك؟

١٦- إلى أى مدى دخلت فكرة تكوين أسرة نطاق اهتماماتك؟

١٧- ما هو مفهوم الحياة الجنسية النموذجية عندك؟

١٩- ما هو اتجاهك نحو أحادية الزواج (الزواج بواحدة فقط)؟

٢٠- هل تحس أنك تعاني الآن مشكلة جنسية؟

٢١- هل تعتقد أنه يجب تزويد الأطفال بالمعلومات الجنسية؟ وفى أى عمر؟

سادسا - الاستجابات الوجدانية Affectional Reactions

١- هل أنت مبهج بطبعك أم تميل للشك أو الاكتئاب ، أو أنك تختلف من وقت لآخر؟

٢- هل تظن عادة إلى ما يودى إلى التغييرات أم أنها تبدو كما لو كانت تأتي من مكان مجهول؟

٣- هل أنت متفائل أم متشائم؟

٤- هل تغلب عليك روح المرح ، وهل أنت عنيد؟

٥- هل أنت جاد أم تميل لتوافه الأمور؟

٦- هل تمسك بزمَام غضبك؟

٧- كيف تستجيب لمواقف الفشل أو الاعاقة أو المنافسة؟

- ٨ - هل يسهل استئثارك أو ينفذ صبرك ، أو تتعقب أخطاء الآخرين ؟
 - ٩ - إلى أى حد تتأثر بانفعالات الآخرين وحالاتهم الوجدانية وإذا كان ذلك فكيف ؟
 - ١٠ - ما الذى توحى به لك كلمة عاطفة وما هى أهم عواطفك ؟
 - ١١ - هل تخاف مما يمكن أن تنتهى إليك مشروعاتك من نتائج .
 - ١٢ - هل يمكن اخافتك بسهولة ؟ وهل أنت سريع الانفعال ؟
 - ١٣ - هل يمكن جرح شعورك بسهولة ؟
 - ١٤ - كيف تستجيب لنجاح الآخرين ؟ وهل من السهل عليك أن تهتهم ؟
 - ١٥ - هل تستطيع أن تواصل العمل بثبات عدة ساعات مرة واحدة أم أنك تجد صعوبة فى التركيز ؟
 - ١٦ - فى أى الظروف تحسن العمل : فى وجود حوافز مالية أم معنوية ، نتيجة لضغط ، فى حالة وجود جدول مرسوم .
 - ١٧ - هل تجد دائما الطاقة التى تريدها ؟
 - ١٨ - هل تستفيد من فترات الراحة والعطلات ؟
 - ١٩ - كيف تمضى أيام العطلات العارضة ؟
 - ٢٠ - هل يسهل تشتيت انتباهك ؟
 - ٢١ - هل تستطيع إصدار الأحكام بسهولة أم أنك تردد كثيرا ؟
- سابعا - القدرة على التكيف الاجتماعى

The Ability to Social Adjustment

- ١ - هل أنت هياب أو تخجل فى حضرة الجنس الآخر ويتعقد لسانك

- ٢ - هل ترتاح في حضرة المسنين كبار السن ؟
- ٣ - ما هي استجابتك للسلطة ؟ هل تبعث فيك الرغبة في التصادم أو التوافق ؟
- ٤ - هل تصدر قراراتك الخاصة أفكارك عن استقلال أم أنك تميل إلى طلب العون دائماً ؟
- ٥ - هل تصدر قراراتك عن اندفاع أم عن ترو أم تحت املاء الظروف أم بعد تفكير ؟
- ٦ - ما نوع صداقتك كثيرة قليلة ، دائمة ، متغيرة حارة ، باردة ، تقوم على الثقة أم التحفظ ، تقوم على منح الحماية ، أم الاعتماد على الآخرين .
- ٧ - هل أنت متزوج أم خاطب فاذا لم يكن كذلك ففى وفي ظل أى ظروف ستذكر في الزواج ؟
- ٨ - هل تهتم بأن تكون والدا لأطفال ؟
- ٩ - إلى أى حد تشعر في نفسك بالأنانية أو الايثار ؟ وهل اختبرت هذا الشعور اختباراً فعلياً .
- ١٠ - كيف تتقبل النصيح أو النقد ؟
- ١١ - هل تميل إلى طلب العطف أم أنك تؤثر أن تحض نفسك بإشفاقك ؟
- ١٢ - هل تتجاوز الحد في تواضعك أو في ثقتك بنفسك ؟
- ١٣ - هل تحس كثيراً بالخذلان عندما تقارن نفسك بالآخرين ؟
- ١٤ - هل أنت راض عن الطريقة التي يعاملك بها العالم إلى حد بعيد ؟

- ١٥ - هل تكره أن تكيف نفسك للظروف الجديدة ؟
 - ١٦ - هل تجبّد التعاون مع الآخرين ؟
 - ١٧ - هل تعتقد أنك على صواب دائماً ؟
 - ١٨ - هل تحب الحديث عما تحققه ؟
 - ١٩ - ما رأيك وما تجربتك الخاصة مع الصدق ، الأمانة ، العطف ، البر بالوالدين ، نصرة المظلومين والضعفاء .
- ثامنا - الإحساس بالواقع Reality Sense :
- ١ - ما هي العوامل التي جعلتك تختار مهنتك ، زوجتك ، صديقك نوع تعليمك ؟
 - ٢ - إلى أي حد تعتقد أن النجاح يتوقف على بذل الجهد ، وإلى أي حد يتوقف على المصادقة وإلى أي حد يتوقف على المحسوبة ؟
 - ٣ - هل ترى أنك خيالي أم عملي ؟
 - ٤ - هل تؤمن بالخرافات : الطالع ، المنديل ، الزار ، فتح الكتاب قراءة الكف ، ضرب الودع ، فتح الفئجان ... الخ .
 - ٥ - هل تحب المسؤولية أم تكرهها ؟
 - ٦ - هل تستطيع أن تعترف بالخطأ وتحاول إصلاحه . ؟
 - ٧ - هل تحققت جميع خططك حتى الآن كما كنت تحب أم أنك شعرت بخيبة الأمل ؟
 - ٨ - هل من المألوف أن ينشد الآخرون نصيحتك ؟
 - ٩ - ما هو اتجاهك نحو المال ، هل أنت ممسك أم مبذر أم مقتصد أو تنفق بحكمة وهل أنت كريم ؟ وإلى أي حد تجعل من كسب المال هدفاً لك وكيف تستجيب للإضطراب الاقتصادي

تاسعا — الصحة الجسمية Hygiene :

- ١ — ما هي الأمراض والعمليات الجراحية والحوادث والظروف التي أدت إليها ؟ .
- ٢ — ما طول مدة النقاهة ؟ وما السن الذي ظهر عنده كل مرض ، وكيف كانت صحتك البدنية آنحر مرة ؟
- ٣ — هل هناك أحد يلومك أو لا يشاركك شعورك في مرضك ، هل تعتقد أن أمراضك جسمية ، ما هو شعورك نحو أى مريض آخر ؟

عاشرا — الميول العصائيسية Neurotic Tendencies :

- ١ — ما هي الظروف التي تجعلك تشعر بالضيق أو مس الكرامة أو الشعور بالعسار أو الذنب ، أو الحجل ؟
- ٢ — كيف تستجيب للإصابة بالمرض أو للاستفسار عن صحتك ؟
- ٣ — هل تعاني من أمراض جسمية متقلة مستعصى شفاءها ؟
- ٤ — هل تشعر بضعف واجهاد عام أو خوف من الموت دائما ؟
- ٥ — هل تشعر بالعجز عن التوفيق بين مطالب ضميرك ومطالب المجتمع وشهواتك الحسية ؟
- ٦ — هل تهتم اهتمام خاص بأى عقيدة أو فلسفة أو أسئلة حائرة في الإجابة عنها ، الحياة ، الموت ، الآخرة ، ... الخ .
- ٧ — هل تشعر بالتوفيق بين مطالب الدين والواقع ؟
- ٨ — ما هي اهتماماتك الفعلية بالمشاكل الاجتماعية ؟
- ٩ — هل تهتم بالسياسة ، الاجتماع ، الأدب ، الفن ، العلم ، الموسيقى وما هو موضوع اهتمامك المفضل ؟

- ١٠ - ما هي الألعاب الرياضية التي تهتك ، وهل انغمست في نوع منها بدرجة شديدة ؟
 - ١١ - هل تتنابك أفكار أو أفعال أو عادات تشعر أنها شاذة ولا تستطيع الإقلاع عنها أو تعتبر مصدر شك أو ندم أو قلق بالنسبة لك؟
 - ١٢ - هل تهتم بشكل زائد عن الحد بالنظافة ، بالترتيب ، بتكرار عد الأشياء ، المحافظة على تسلسل أشياء أو أفعال بوضع معين ... الخ .
 - ١٣ - هل تتنابك مخاوف شاذة ، أو قلق ، أو أوهام تؤرقك ؟
 - ١٤ - هل تعاني أسباكا أو اسهالا أم حموضة زائدة بالمعدة دائما ؟
 - ١٥ - هل تتعاطى أدوية دائما أو خمورا أو مخدرات أو مولع . بالمقامرة ؟
 - ١٦ - هل أنت كثير الأكل أم قليله أم متوسطه ؟
 - ١٧ - إلى أى حد تهتم بالنوم والأكل والترويح ؟
 - ١٨ - هل تتجاوز حساسية ضميرك الحد ؟ وهل تؤمن بالخرافات في حل مشاكلك ؟
 - ١٩ - ما هي أفكارك عن العادة السرية ، الاحتلام ، السزنا ، الدعارة ، العشق ... الخ .
 - ٢٠ - هل تؤدي العادة السرية إلى الجنان ، فقد الذاكرة ، عذاب الآخرة ، الإصابة بالسل ؟
- احدى عشر - أسئلة عامة :
- ١ - هل تحس أنسجاما معقولا في شخصيتك ، مع توزيع مناسب

للطاقة بين العمل واللعب والراحة والخيال والأدب والفن والدين
والفلسفة والعلم والحياة المادية ؟

٢ - ما هي أشد صعوباتك وجوانب النقص فيك ؟ وإلى أى مدى
استطعت تتبع آثارها إلى الخبرات المبكرة ؟ وإلى أى حد
حاولت التعويض عنها لاسترداد توازنك ؟

٣ - هل يتسنى لك أن تجد أى مصادر تستمد منها الراحة عندما
يحدث لك اخفاق أو فشل أو حرمان أو إذلال أو إعاقة ؟ وكيف
تؤدى هذه المصادر ذلك ؟

٤ - ما هو أسلوبك الغالب في حل مشاكلك وعلاقتك مع الآخرين ؟
مضاعفة الجهد ، تغيير أسلوبك ، تغيير هدفك ، إنكار ،
خداع ، هروب ، عرفان ، تمارض ، خيال الخ .

٥ - أذكر صعوبة أو صعوبتين حدثت لك وأسلوبك في حلها .

الشخصية السيكوباتية Psychopathic Personality

الشخصية السيكوباتية ما زالت النتائج العلمية فيها ليست قاطعة تصنيفاً وتشخيصاً وعلاجاً . فالمرضى السيكوباتي ليس مريضاً عقلياً لأنه متصل بالواقع تماماً ، كما أنه ليس مريضاً نفسياً لأنه لا يعاني أدنى قلق الشائع في الأمراض النفسية ، كما أنه ليس ضعيفاً عقلياً لأن ذكائه عادي أو فوق المتوسط غالباً . ورغم ذلك فعذوانه على الغير لا حدود له سواء على الأعداء أو الأشخاص أو الأموال أو الممتلكات ولا ينفع معه أقسى أنواع العقاب ولا يستفيد من الخطأ ولو مرة واحدة ، ورغم تظاهره بأنه مظلوم أو متورط في الجريمة واعتذاراته المصحوبة بالدموع كصنوبر لا ينقطع ولكنها دموع التماسيح التي تدل على استعداد لعذوان جديد . وهو يفهم تماماً أسباب خطئه ولكنه لا يهتم ولا يفهم ما يترتب على جرائمه من أضرار للغير أو عقاب للذات ، فهو لا يعوزه البصيرة في أسباب سلوكه المضاد للمجتمع ولكن تعوزه البصيرة في نتائج أعماله . وهو لذكائه فجرائمه من النوع المخطط تخطيطاً عميقاً ومن الجرائم التي تروى الرأي العام وتهز مشاعر الجماهير من هول المصائب التي يسببها للغير . أو شذوذ تصرفاته الزائد عن الحد ، وإصراره على العذوان على المجتمع فهو مجرم عائد معتل الشخصية إلى أبعد حدود . ومن السيكوباتيين فئة تميل للتأنق وتجيد عديد من المهارات الاجتماعية كلعب الورق والرقص والعزف على الآلات الموسيقية واتقان عدة لغات أجنبية مما يسهل لها الاندماج في العائلات وحيل الخرائم المروعة . ومن السيكوباتيين من هو مولع بالإدمان على المسكرات والتخدرات أو المنحرف جنسياً الذي يهيم بجناح الأطفال أو عرض أعضائه الجنسية على الغير أو سرقة الملابس الداخلية للسيدات (جنون

(السرقة) ، أو مولع باشعال الحريق في ممتلكات الغير دون سبب (جنون الحريق) ، أو مولع باختلاق وادعاء التهم المروعة للناس بلا أدنى جريرة (جنون الاختلاق) .

وأبرز ما يميز شخصية السيکوباتى المعتلة أنها قمة فى القدرة على التمثيل والتناقض السلوكى فهو يتوسل ويعتذر لفظا ويحرق ويدمر فعلا ، كما أنه يطبق قانون البحث عن اللذه الفورية بأى ثمن يصرف النظر عن القواعد الاخلاقية أو الدينية أو الاجتماعية ، وبصرف النظر عما حدث له فى الماضى أو ما سيحدث له فى المستقبل فلا سيطرة له على أهوائه أو شهواته إطلاقا ، والمهم أن يعيش فى يومه فقط دون أدنى اعتبار لما فات أو ما هو آت .

المحاولات التشخيصية والعلاجية للشخصية السيکوباتية :

١ - البعض يرى أن أسباب السلوك السيکوباتى وراثية لأن الأعراض تبدو منذ الطفولة ، وتظل ملازمة للفرد طول حياته ، وغالبا ما تبدوا على عدة أفراد من الأسرة ذاتها ، كما أن الأعراض حتى الآن ما زالت مستعصية على العلاج .

ولكن هذه المبررات مردود عليها على أساس أن الفرد فى طفولته ممكن أن يكتسب عديد من عاداته السلوكية ومنها العادات السيکوباتية ، وقد تستمر هذه العادات الشاذة المكتسبة طوال حياته وتستعصى على العلاج ، وما يبدو على أفراد العائلة من أعراض تماثل أعراض السيکوباتى يمكن أن تكون قد انتقلت للسيکوباتى بالعدوى الاجتماعية لا بالوراثة الجينية .

٢ - يرى البعض أن أسباب السلوك السيکوباتى جيلية الأصل (Constitutional) ترجع إلى خلل فى المراكز العصبية العليا فى الحاء المخ فضعفت وظيفتها فى ضبط المراكز السفلى . هذا الضعف منشؤه إما

شذوذ وراثي أو أسباب مكتسبة (وراثية أو مكتسبة = جليسة) . ترجع إما للزهرى أو لإصابة في المسخ . والمعروف فسيولوجيا أن المراكز العليا هي الضابطة والمتحركة في المراكز السفلى . ولقد أورد بافلوف والعديد من أتباعه في علم النفس الفسيولوجي أن المراكز العليا هي مفتاح التعلم والعمليات العقلية العليا أما المراكز السفلى فيرجع إليها السلوك الغريزي والشهوات الحسية . ولقد دلت دراسات (سيلفرمان) Silverman على ٧٥ مجرم سيكوباتي أن ٨٠٪ منهم لهم موجات كهربائية شاذة عند فحصهم برسام المخ الكهربائي ووجد تقارب شديد بين هذه الموجات والموجات التي تنبعث من مخ المصابين بالصرع . وأيد هذه الدراسة كل من ديثلم ، diethelm وهودج Hodg ، نوت Knott .

ولكن هذه النتائج ما زالت غير نهائية حيث أورد سيلفرمان نفسه في دراسة أخرى أن ٦٠ مجرم سيكوباتي من ٧٥ نشأوا في أحضان بيئة أسرية فاسدة ، ١٥ فقط أتوا من بيئة أسرية صالحة . وهكذا يعود تصارع الأسباب الوراثية والبيئية من جديد (٣٣) .

٣ - يرى أتباع مدرسة التحليل النفسي أن للأسباب العصابية الأصلية مشتركة في السيكوباتي والمريض النفسي فكلاهما يقوم على صراعات لا شعورية قديمة مكتوبة ، وكلاهما لا يخضع لإرادة المريض ولا التفكير المنطقي ، وكلا الأعراض محاولات شاذة لحل أزمة نفسية من جراء أحباط شديد في الحاضر . والاختلاف الرئيسي في الأعراض لا في الأسباب حيث نجد أن الشحنات الانفعالية الشاذة تكبت داخل الذات في الشخصية العصابية وتنطلق متفجرة خارج الذات في الشخصية السيكوباتية دون ضبط أو تحكم ، وتسمى هذه العملية برد الفعل الخارجى Acting-out أو الفعل

الإنفجاري Impulsive act . فالعصابى الوسواسى يظل محصوراً ومشغولاً بفكرة أو رغبة شاذة ، مثلاً يريد أن يضرب كل فرد يقابله على قفاه ، ولكنه رغم انشغاله الزائد عن الحد بهذه الفكرة الشاذة لا ينفذها فى البيئة الخارجية إطلاقاً ، أما السيکوباتى فينفذ هذه الفكرة فوراً بصرف النظر عما حدث له فى الماضى أو ما سوف يحدث له فى المستقبل ، والفرق الثانى أن العصابى يقنع باشباع دوافعه اللاشعورية إشباعاً خيالياً أو بديلاً ولكن السيکوباتى يشبع دوافعه المكبوتة اشباعاً حقيقياً أصلياً . فالعصابى المنحرف جنسياً قد يستبدل موضوع الجنس الأصلى (المرأة) بيده فى الاستمراء أو التلذذ الجنىسى بالرؤية (مرض الرنو) أو التلذذ الجنىسى بالمكالمات التليفونية القبيحة ، ولكن السيکوباتى سرعان ما ينخرط ويستمر فى سلك الدعارة أو الاغتصاب الجنىسى بشكل مباشر صريح .

٤ ويؤمن اتباع مدرسة التحليل النفسى أن السيکوباتى دون شك يفتش باصرار عن عقاب الذات أو يلتمس العقاب التماساً بل كأنه يجد لذة فى العقاب . والتفسير المعقول لذلك هو انطلاق دوافع التكفير اللاشعورية بشدة باحثة عن عقاب الذات دون إرادة أو تفكير من جانب السيکوباتى ، ولا يشعر السيکوباتى بوجود هذه الدوافع ولا يدرك صلتها بسلوكه العدوانى الشاذ ، شأنه شأن أى عصابى آخر . والسبب فى وجود دوافع التفكير والبحث عن عقاب الذات هو الإحساس بالذنب نتيجة أسلوب أسرى خاطيء فى التربية قائم على قسوة السلطة الوالدية وصرامتها . والتناقض بين أقوال وأفعال السيکوباتى مرجعه تناقض أسلوب التربية بين الأب والأم ، فالأم ، فالأم على عكس الأب تماماً تميل للتدليل الشديد والاهتمام باشباع رغبات الطفل مهما كانت النتائج ، لذلك نجد الاعتذار والأسف والندم والبكاء المر

على لسان السيکوباتى والعدوان المدمر فى فعله ، متناقض الأب والأم فى الصغر قد تحول إلى تناقض القول والفعل فى الكبر . والتدليل قد خلق أسلوب البحث عن اللذة الفورية (ابن وقته) مهما كانت النتائج . والقسوة الوالدية خلقت الضمير الصارم والإحساس بالذنب ودوافع التفكير والبحث عن عقاب الذات لا شعوريا ، وزيادة القيود الأبوية الزائدة عن الحد من أوامر ونواهى قد خلقت الثورة على القوانين الدينية والأخلاقية والاجتماعية فى الكبر . ويؤكد ذلك ما وجدته الباحثون فى استقصاء الحقائق فى التاريخ الاجتماعى للمجرمين السيکوباتيين ؛ ومنهم على سبيل المثال العالم Levy إذ وجد اتجاهات والديه سائدة فى عائلات السيکوباتيين أهمها : (١) الصد والقسوة الأبوية الزائدة عن الحد ، (٢) التدليل المسرف من جانب الأم خصوصا فيما يتصل باطلاق العنان للجنس والعدوان ، (٣) التناقض العلنى أمام الطفل بين الأب والأم وإصرار كل منهما على موقفه .

Levy, David M., " Psychopathic Behavior in Infants and Children " American Journal of Orthopsychiatry, 1951 , 21 .
250 - 254.

والطريق المرجح للعلاج لدى كثير من علماء التحليل النفسى هو إعادة بناء شخصية الطفل أو المراهق السيکوباتى من جديد فى مؤسسة علاجية داخلية يتواجد فيها لفترة طويلة كافية ، ويوضع تحت نظام تروى بين أب وأم مشرفة معالجة أهم ما يميز سلوكها هو الوحدة فى أسلوب التربية الجديدة بالنسبة للأب والأم وبالنسبة للقواعد الأخلاقية والدينية والاجتماعية ، هذه الوحدة أساسها الحزم مع العطف ، الحشية والحب الذى يؤدى للطاعة والافتناع بحكمة القواعد الأخلاقية والإحساس بالمسئولية الاجتماعية . تربية

تروض دوافع الجنس والعدوان خاصة ترويضاً حكيماً لا نجور فيها على حق الفرد في الله ولا يجعله يتصادم مع المطالب الضميرية أو المطالب الدينية أو المطالب المجتمعية . هذا مع الأطفال والمراهقين السيكوباتيين ، أما السيكوباتيين الكبار فلم يتفق على نظام علاجي لهم وما بقي هو الأسلوب العقابي الذي لم يثمر خطوة واحدة في تقبل تغيير السيكوباتي لسلوكه العدواني ، والفائدة الوحيدة للعقاب والسجن هو حماية المجتمع من جرائمه المروعة ، أما العلاج الجراحي في لحاء المنخ ما زال في الطفولة حتى الآن .

المراجع العربية والانجليزية بحسب تساميل وودها بالكتاب

- ١ - أسس خدمة الفرد للاستاذ صالح الشيكشي ، الطبعة الأولى ، ص ١٥ .
- ٢ - الرعاية الاجتماعية للمعوقين للاستاذة عطيات ناشد واخرين مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ص ٣٣ .
- ٣ - خدمة الفرد في محيط الخدمات الاجتماعية للاستاذة فاطمة الحاروني الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ص ١٥ .
- ٤ - خدمة الفرد في محيط الخدمات الاجتماعية للاستاذة فاطمة الحاروني الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ ص ٣٥٥ - ٤٠٦ .
- ٥ - تحليل الشخصية للدكتور محمد خليفة بركات مكتبة مصر ص ١٩ - ١٦٧ .
- ٦ - أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح الطبعة الثامنة ١٩٧٠ ص ١٦١ .
- ٧ - Shaffer and Shobon., the Psychology of Adjustment, Second Edition, p. 598.
- ٨ - المرجع رقم ٦ ص ٤٦١ ، ص ٤٣١ .
- ٩ - المرجع رقم (٥) ص ١٦٦ .
- ١٠ - Colman, James C., "Abnormal Psychology and Modern Life 2 ND Edition, Scott, Foresman and Company, U.S.A. 1951 p. 111.
- ١١ - Sheldon, William H, the Varieties of Human Physique New York, Harpor 1940.
- ١٢ - Sheldon, William H., the varieties of temperaments New York, Harper, 1942.
- ١٣ - المرجع رقم (١٠) ص ١١٢ .
- ١٤ - المرجع رقم (٦) ص ٤٧٢ .

١٥ — علم النفس الحديث للدكتور مصطفى سويف ١٩٦٧ مكتبة الانجلو المصرية
القاهرة ص ١١٩ — ٢٦١ .

١٦ — المرجع رقم (٦) ص ٤٦٣ ، ص ٤٩٣ .

١٧ — علم النفس في حياتنا اليومية للدكتور محمد عثمان نجاتي أستاذ علم النفس
بجامعة القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٦٤ ص ٢٧٧ — ٢٨١ .

١٨ — S. Freud, Some Elementary lessons in Psycho - Analysis
IN C.P. london 1950, 382.

١٩ — المرجع رقم ١٧ ص ٢٦٥ — ٢٦٨ .

٢٠ — S. Freud, An Outline of Psychoanalysis New York
W.W. Norton & Co. Inc., 1949.

بدأ فرويد كتابه هذا المؤلف في ٢٢ يوليو عام ١٩٣٨ في مدينة لندن
وتوفي في العمام التالي قبل أن يتم الفصل الأخير منه ، وقد قام
بترجمة هذا الكتاب الأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي ، مكتبة النهضة
المصرية ١٩٥٥ .

٢١ — الأمراض النفسية والعقلية للدكتور أحمد عزت راجح الطبعة الأولى سنة
١٩٦٥ دار المعارف ص ٢٠٧ — ٣٠٨ .

William Mc Dougall, "Social Psychology london p. 535.

٢٢ — الشخصية — كالفن هال بتحليل فرويد ترجمة الدكتور محمد فتحى الشنيطى
ص ١٩٦ — ٢٠٦ .

٢٣ — التقويم في التربية الحديثة تأليف دايتستون وجاستمان ترجمة الدكتور وهيب
سمعان وآخرين مكتبة الانجلو المصرية ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

٢٤ — المرجع رقم (٦) ص ١٥٧ — ١٥٨ .

٢٥ — Murphy, C., Personality, New York, Harper &
Brothers 1947.

— ٢٦٩ —

- ٢٦ — التكوين في التربية الحديثة تأليف رايتستون وجستان ترجمة الأستاذ محمد عاشر والدكتور وهيب سمعان وآخرين ص ٢٧٠-٢٧٧ .
- ٢٧ — الاختبارات والمقاييس العقلية للدكتور محمد خليفة بركات مكتبة مصر بالقاهرة ص ٢١٠ .
- ٢٨ — المرجع رقم (٢٧) ص ٢٢٤-٢٢٨ .
- ٢٩ — علم النفس الفسيولوجي للدكتور أحمد عكاشة ، دار المعارف رقم ١٩٦٨ ص ٢٤٤-٢٤٨ .
- ٣٠ — المرجع رقم (٦) ص ٤٨٥-٤٨٨ .
- ٣١ — الدكتور عمر شاهين والدكتور يحيى الرخاوى : علم النفس تحت المجهر - ١٩٦٨ ص ٢٥٢ .
- ٣٢ — ه.ج. أيزنك : الحقيقة والوهم في علم النفس ترجمة الدكتور رؤوف نظمي وقدرى حنفى دار المعارف ص ٥٥-٩٣ .
- ٣٣ — المرجع رقم (١٠) ص ٣٤٠ .

(مراجع عامة)

- ١ — الدكتور صبرى جرجس : مشكلة السلوك السيوكياتى دار المعارف الطبعة الثالثة
- ٢ — ك. هول وج. لندزى : ترجمة د. احمد فرج . قدرى محمود حنفى . لطفى محمد فظيم مراجعة د. لويس كامل مليكه .
- (3) Bert R. Sappenfield, "Personality Dynamics" New-York Alfred A. Knoph 1961.
- (4) E. Kuno Beller, "Clinical Process" The Free Press of Glencoe, Inc. 1962.

١٢٦٣٢٨/ ٠١

٢٢٥ قرشاً

دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة
منطقة الاسكندرية ٤٢ ش سعد زغلول - ٢ ميدان التحرير (المنشية)